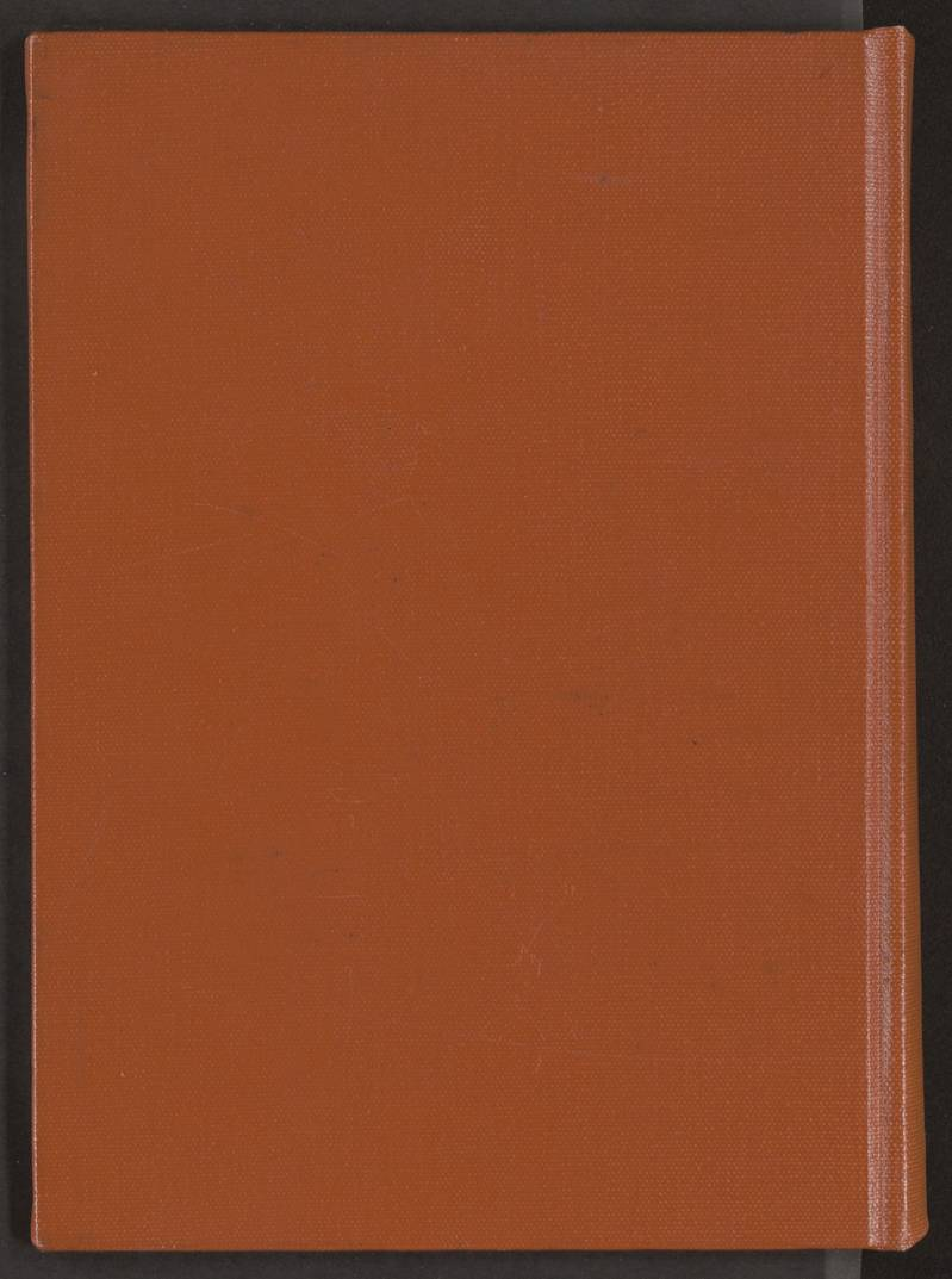
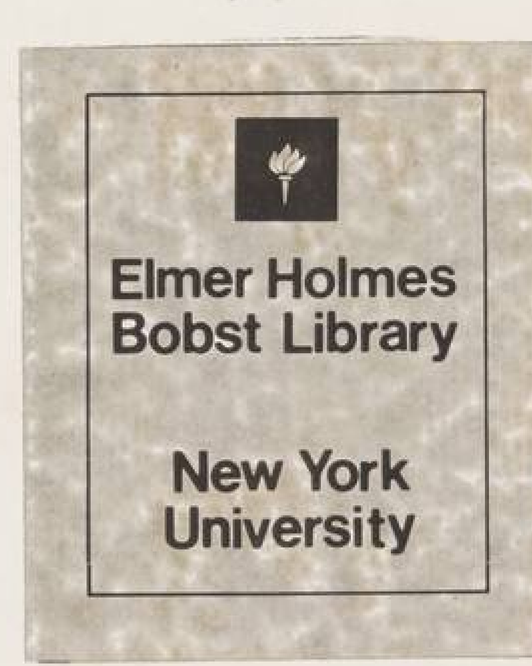
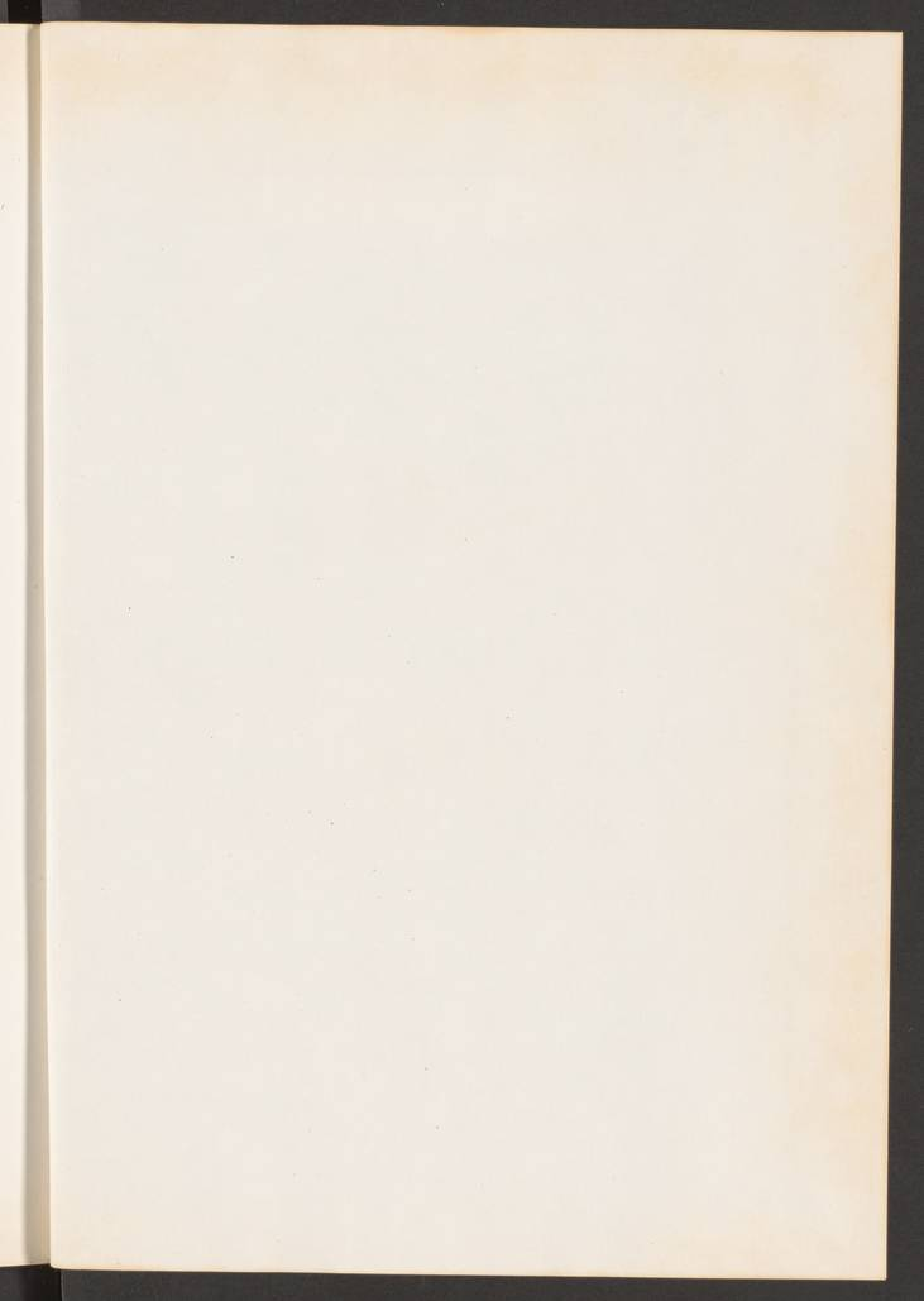
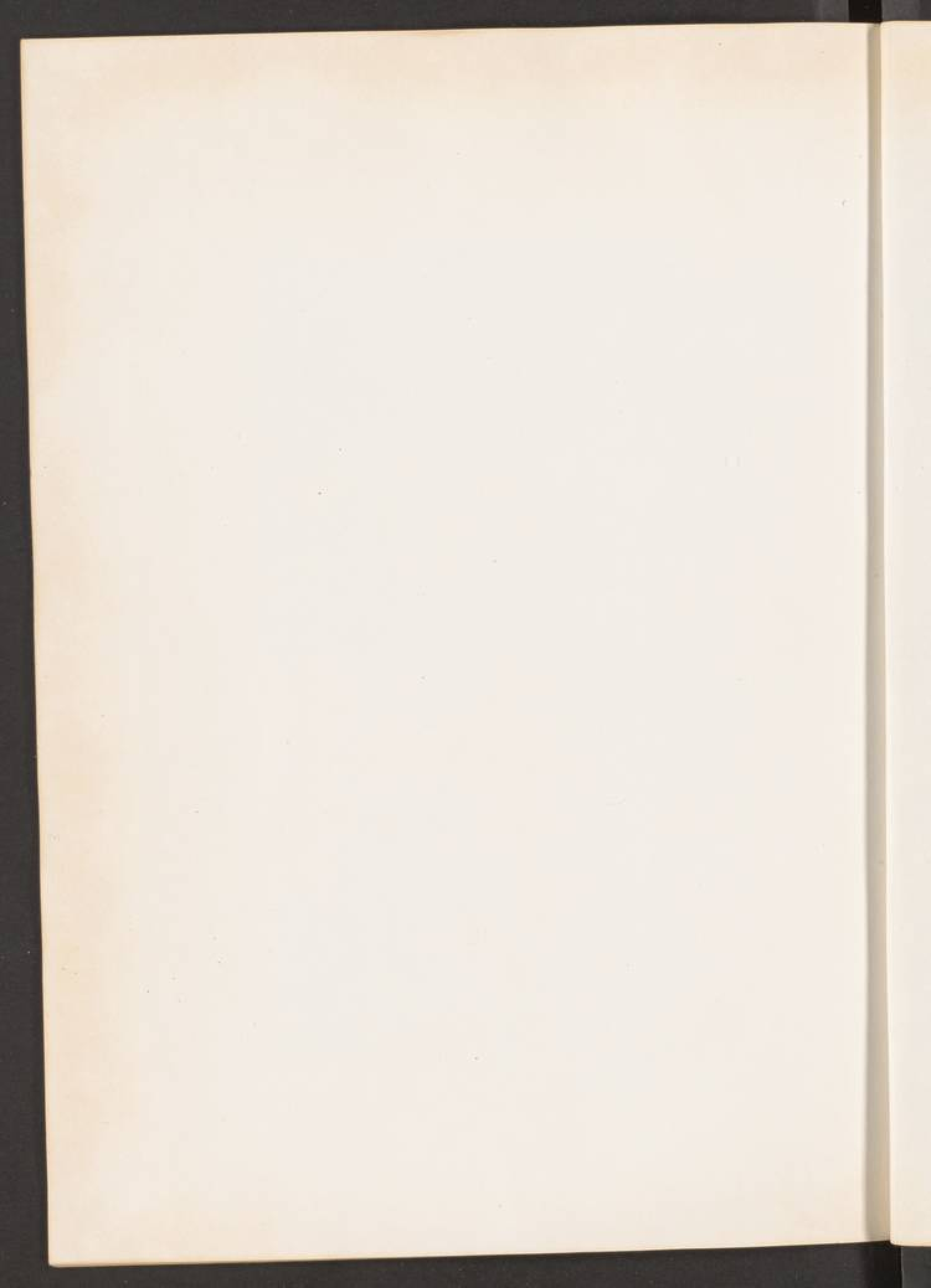
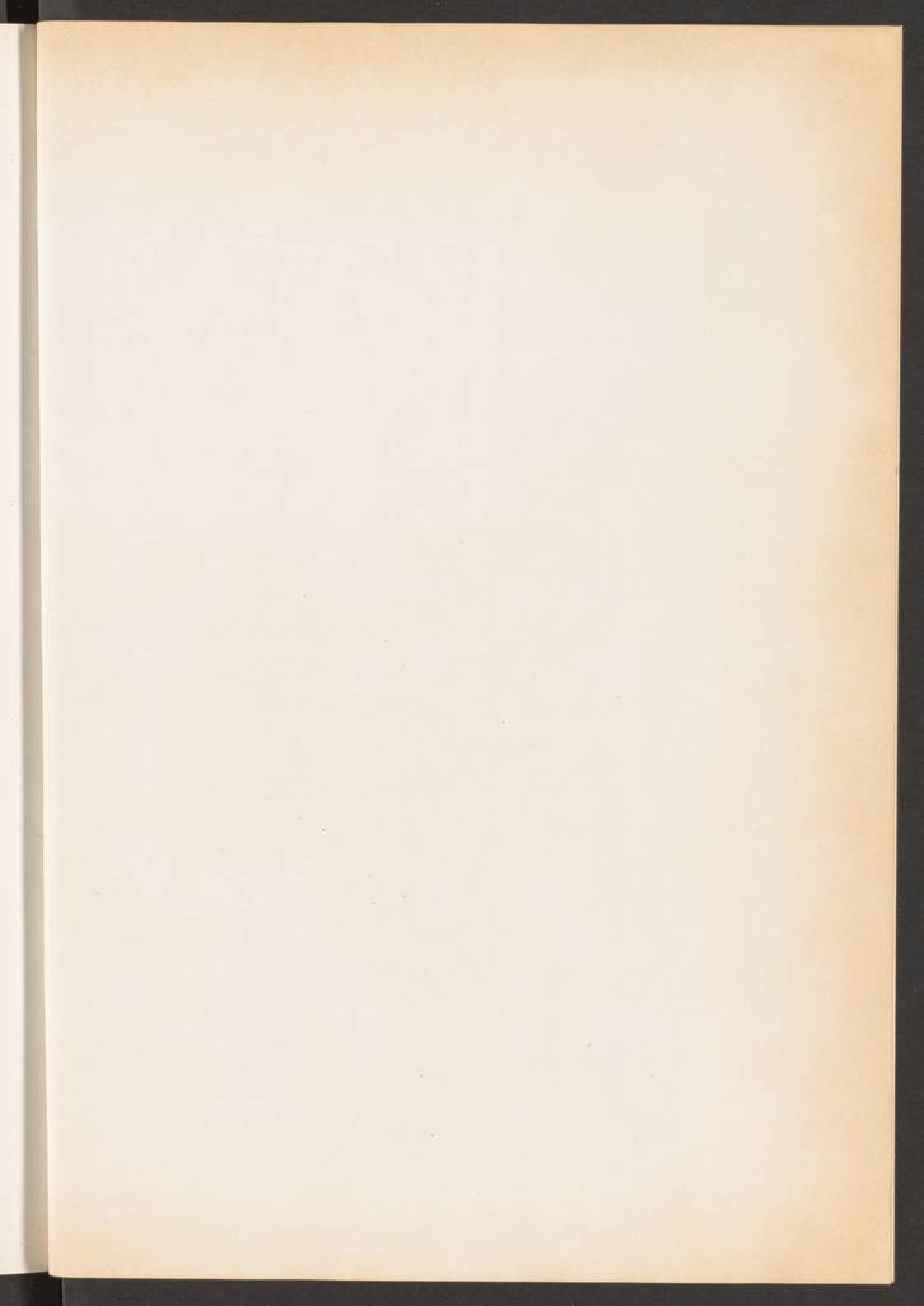


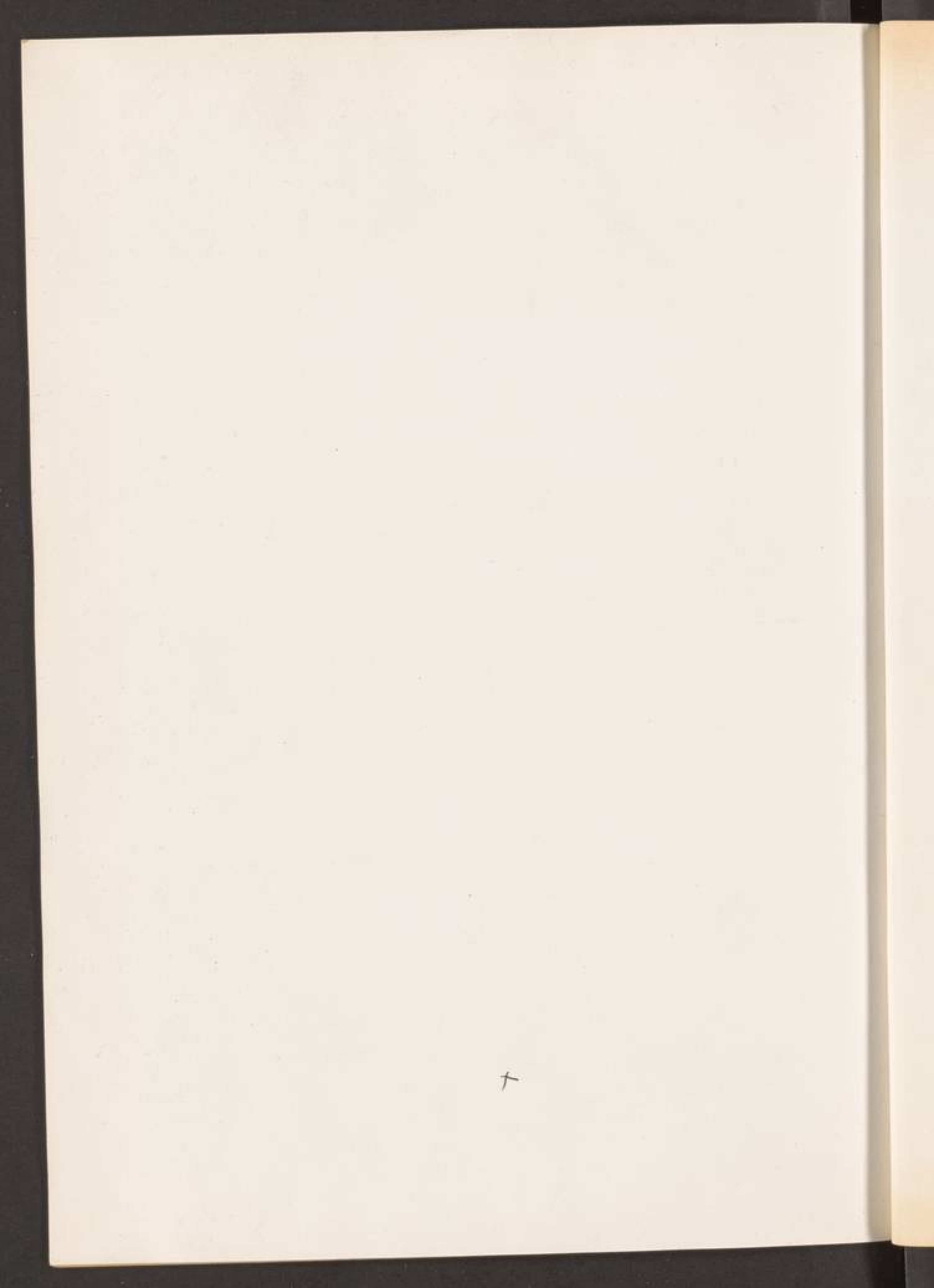


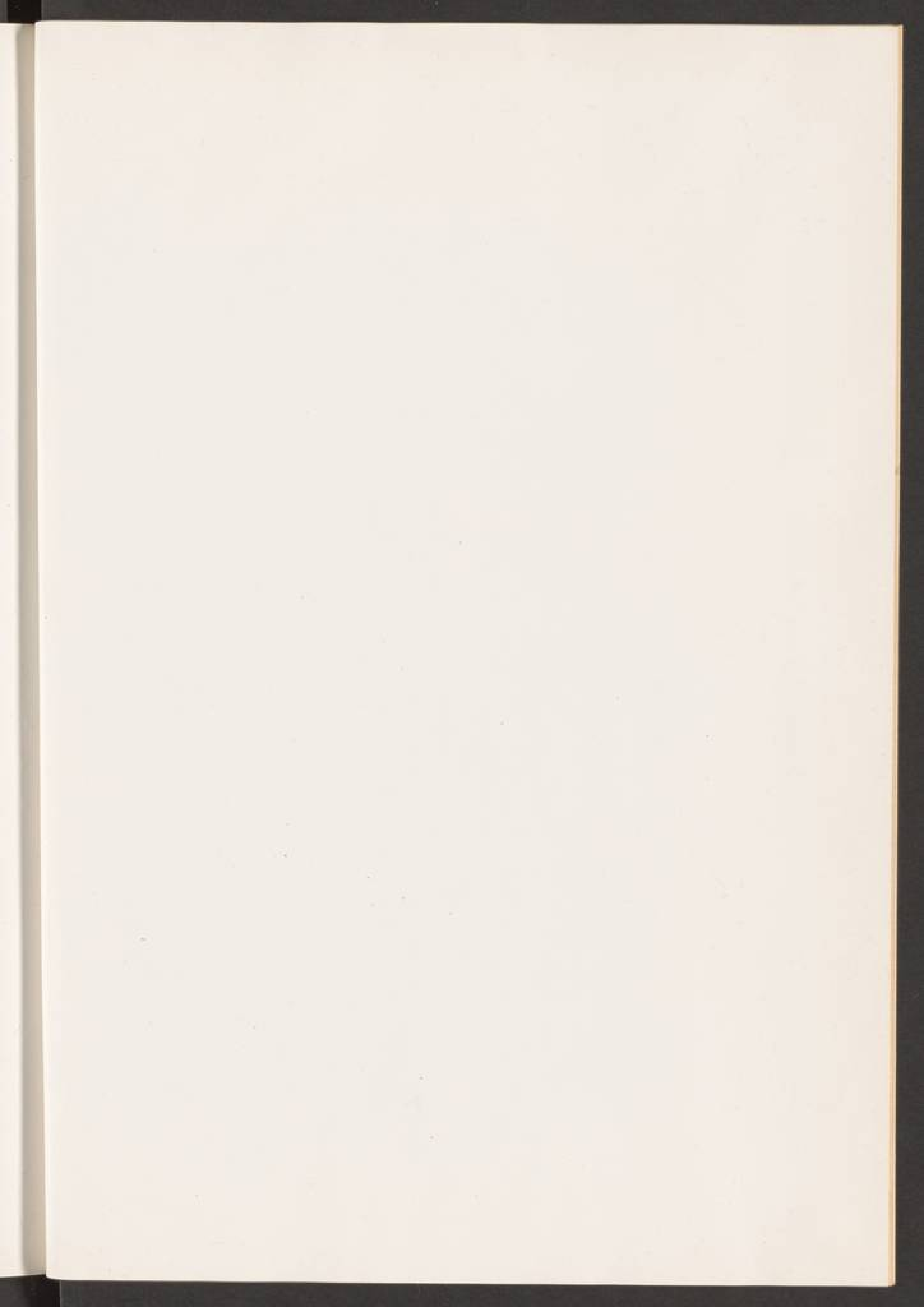


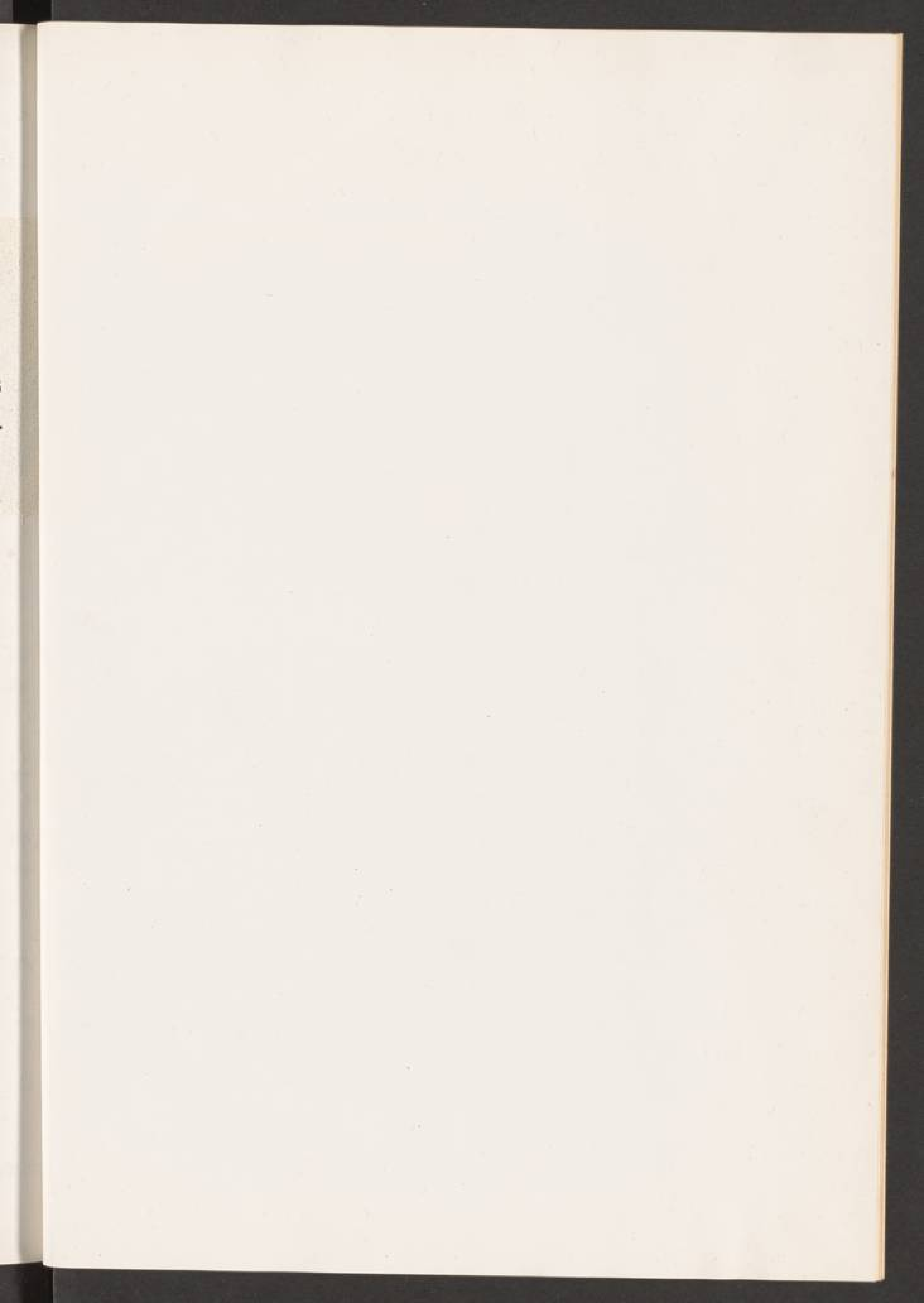












THE PAGES IN THIS VOLUME HAVE BEEN INTERLEAVED WITH AN ACID FREE PAPER TO PERMIT BINDING AND TO REDUCE FURTHER DETERIORATION.







(فهرست الجزء الثالث وهو الربع الثالث من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

كتاب

ع
وفيه

هما

علاجه
العاشر
عـلوم

ه
صـنف

ون منهم

والعـمل

ون منهم

المغترون

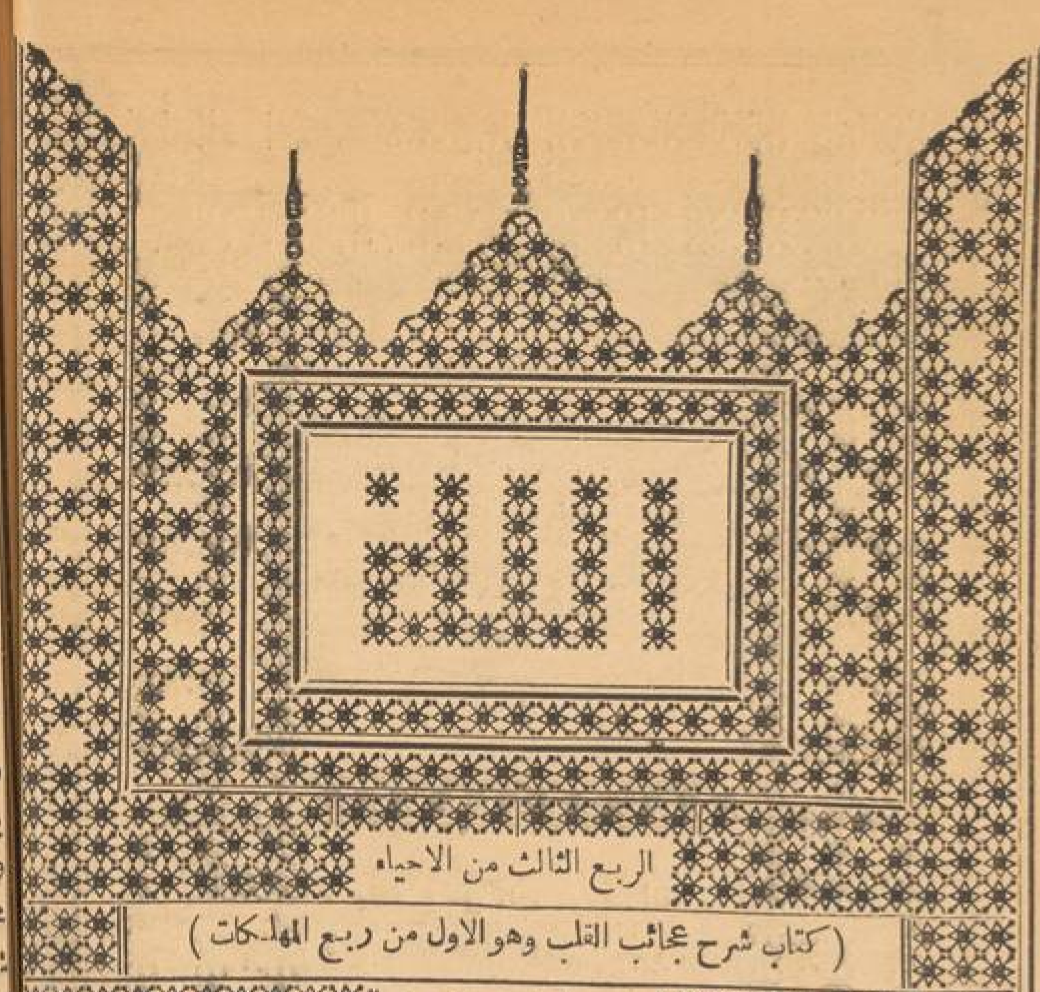
(الجزء الثالث)

من كتاب احياء علوم الدين تأليف الامام
العالم العلامة المحقق المدقق حجة الاسلام
أبي حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي قدس الله روحه
ونور ضريحه
آمين
م

وبهامشه باقي كتاب عوارف المعارف
للعارف بالله تعالى الامام السهروردي
نفعنا الله به آمين

(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراجي من الله الغفران)
(حضرة السيد محمد رمضان)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١٦ هجرية)



الربع الثالث من الاحياء

(كتاب شرح عجائب القلب وهو الاول من ربع المهلكات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر * وتدهش فى مبادى اشراق أنواره الاحداق والنواظر * المطلع على خفيات السرائر * العالم بمكنونات الضمائر * المستغنى فى تدبير مملكته عن المشاور والموازر * مقلب القلوب وغفار الذنوب * وستار العيوب ومفرج الكروب * والصلاة على سيد المرسلين وجامع شمل الدين * وقاطع دوابر الملحدين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وسلم كثيرا (أما بعد) فشرف الانسان وفضيلته التى فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التى هى فى الدنيا جماله وكماله وفخره وفى الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعى الى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعى للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب المخاطب وهو المعاتب وهو الذى يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذى يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصى المتمرد على الله تعالى وانما السارى الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذى اذا جهله الانسان فقد

وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معانى القدرة أفضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله بصرف المعرفة فالقدرة أثر من القادر * ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيأ من القدرة ويرى القدرة تتعلى له من سجف أجزاء عالم الحكمة فاذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوما واجتهد فى ضبط أحواله بشئ من الانواع التى ذكرنا من العمل والذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الاربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يختارون للاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو

جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل اذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى أسفل السافلين وينخفض الى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى الى أعلى عليين ويرتقى الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين واذ فرغنا من الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح فى الشطر الثانى ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلابد أن نقدم عليه كتابين كتابا فى شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا فى كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك فى تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة فى جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الافهام

(بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامى)

اعلم أن هذه الاسماء الاربعة تستعمل فى هذه الابواب ويقل فى فحول العلماء من يحيط بهذه الاسامى واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الاسامى واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح فى معنى هذه الاسامى ما يتعلق بغرضنا *(اللفظ الاول)* لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين * أحدهما اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفى باطنه تجويف وفى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين * والمعنى الثانى هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسمانى وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين * أحدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة * والثانى أن تحقيقه يستدعى افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود أنا اذا أطلقنا لفظ القلب فى هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها فى ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها *(اللفظ الثانى)* الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين * أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر أجزاء البدن وجريانه فى البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لا ينتهى الى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته فى الباطن مثال حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به

النجيب اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزى قال ثنا عبد الله ابن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

(الباب التاسع والعشرون فى أخلاق الصوفية وشرح الخلق)

الصوفية أوفر الناس حظا فى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم باحياء سنته

هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الأبدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا * المعنى الثانى هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذى شرحناه فى أحد معانى القلب وهو الذى أراده الله تعالى بقوله قل الروح من أمر ربى وهو أمر عجيب ربانى تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته * (اللفظ الثالث) * النفس وهو أيضا مشترك بين معان و يتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان على ما سيأتى شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك * المعنى الثانى هى اللطيفة التى ذكرناها التى هى الانسان بالحقيقة وهى نفس الانسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الامر و زايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى فى مثلها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهى من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز أن يقال المراد بالامارة بالسوء هى النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم و بالمعنى الثانى محمودة لانها نفس الانسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات * (اللفظ الرابع) * العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها فى كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان * أحدهما انه قد يطلق و يراد العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى محله القلب والثانى انه قد يطلق و يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعنى تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله فى نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق و يراد به صفة العالم وقد يطلق و يراد به محل الادراك أعنى المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه لانه لا يمكن الخطاب معه وفى الخبر أنه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذا قد انكشف لك أن معانى هذه الاسماء موجودة وهى القلب الجسمانى والروح الجسمانى والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهى اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعانى خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون فى الخواطر و يقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدرى الناظر اختلاف معانى هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامى وحيث ورد فى القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذى يفقه من الانسان و يعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذى فى الصدر لان بين تلك اللطيفة و بين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل

والتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الاقتداء واحياء سنته على ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين شيخ الاسلام أبو أحمد عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح عبد الملك بن أبى القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز ابن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى قال ثنا مسلم بن حاتم الانصارى البصرى قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال قال أنس ابن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش

التسترى القلب بالعرش والصدر بالكرسى فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسى ولا يظن به انه
يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال به أراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما
بالنسبة اليه كالعرش والكرسى بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا الا من بعض الوجوه
وشرح ذلك أيضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه فى القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذى يتعلق
بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو فى حكم الملك والجنود فى حكم الخدم
والاعوان فهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر
الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت
مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت واذا أمر الرجل
بالحركة تحركت واذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له
خلافا بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان فى شئ وهو أن الملائكة عليهم
السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب فى الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا
خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب
والزاد لسفره الذى لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب
قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التى
توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل الى الله سبحانه مالم
يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة
الآخرة وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها أدنى المنزلتين فاضطر الى أن يتزود من هذا
العالم فالبدن مركبه الذى يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بأن
يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب
الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق فى القلب من
الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التى هى آلات الشهوة فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين
باطن وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذى بهما
يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء مالم
يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم
واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة
فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا الى طرف يسير منها فى كتاب الشكر فليقتنع به فجملة
جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما
الى دفع الضار المنافى كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثانى هو المحرك للاعضاء الى
تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثانى بالقدرة وهى جنود مبثوثة فى سائر الاعضاء لاسيما العضلات
منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهى قوة البصر والسمع والشم والذوق
واللمس وهى مبثوثة فى أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود
الباطنة جنود ظاهرة وهى الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التى أعدت آلات

لاحد فافعل ثم قال يا بنى
وذلك من سنتى ومن أحيا
سنتى فقد أحيانى ومن
أحيانى كان معى فى الجنة
فالصوفية أحيوا سنة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم وفقوا فى
بداياتهم لرعاية أقواله
وفى وسط حالهم اقتدوا
بأعماله فأثمر لهم ذلك
أن تحققوا فى نهاياتهم
بأخلاقه وتحسين
الاخلاق لا يتأتى الا
بعد تزكية النفس
وطريق التزكية بالاذعان
لسياسة الشرع وقد قال
الله تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وانك
لعلى خلق عظيم لما كان
أشرف الناس وأزكاهم
نفسا كان أحسنهم خلقا
قال مجاهد على خلق
عظيم أى على دين عظيم
والدين مجموع الاعمال
الصالحة والاخلاق
الحسنة (سئلت) عائشة
رضى الله عنها عن خلق

لهذه الجنود فان قوة البطش انما هى بالاصابع وقوة البصر انما هى بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم
فى الجنود الظاهرة أعنى الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما أيد به من جنود لم
تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهى
الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما أسكن منازل باطنة وهى تجاويف
الدماغ وهى أيضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشئ يغمض عينيه فيدرك صورته فى نفسه وهو الخيال
ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شئ يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك
الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معانى المحسوسات فى خياله بالحس المشترك
بين المحسوسات ففى الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ
والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فكذلك القوى أيضا جنود
باطنة وأماكنها أيضا باطنة فهذه هى أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب
الامثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد فى تفهيم
الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندى الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذى يسلكه
وتحسن مرافقتهما فى السفر الذى هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغى وتمرد حتى يملكاه
ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم
والحكمة والتفكر كما سيأتى شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين
الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة
هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم فى استنباط
الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغى أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك
الى فهمك بثلاثة أمثلة *(المثال الاول)* أن نقول مثل نفس الانسان فى بدنه أعنى بالنفس اللطيفة
المذكورة كمثل ملك فى مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها
وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له
كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة
كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته
منازعة الوزير الناصح فى آرائه وتدبيراته حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالى فى مملكته
اذا كان مستغنيا فى تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته
فى أن الصواب فى نقيض رأيه وأدب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته
على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا
استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها
على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة
واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت
قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه أفرأيت من اتخذ الهه
هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث
وقال عز وجل لمن نهى النفس عن الهوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله تعالى وينتهى عما نهى الله عنه وفى قول عائشة كان خلقه القرآن سر كبير وعلم غامض ما نطقت بذلك الا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحى السماوى وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء وذلك ان النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هى من لوازمها وضروراتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار وبحسب تلك الاصول التى هى مبادى تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية

هى المأوى وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى (المثال الثانى) اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعنى المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدرك من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو ينازعه فى مملكته ويسعى فى اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تؤو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد فى الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر (المثال الثالث) مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو فى نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا عن أن ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه

❊(بيان خاصية قلب الانسان)❊

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمى اذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة أما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما أدركه الحس واذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات أظهر وأما الارادة فانه اذا أدرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطى أسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة فى حين المرض والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا قلب الانسان اختص بعلم وارادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبى فى أول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة فى حق الصبى ثم الصبى فى حصول هذه العلوم فيه له درجتان ❊ احداهما أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذى لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد ❊ الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق

والشيطانية والى صفة الشيطنة فى الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار لدخول النار فى الفخار وقد قال الله تعالى وخلق الجان من مارج من نار والله تعالى بخفى لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد فى حديث حليمة ابنة الحرث أنها قالت فى حديث طويل فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضجعاه فشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما ممتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ما شأنك قال جاءنى رجلان عليهما

بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشر الكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن
في هذه الدرجة مراتب لاتحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها و بشرف المعلومات وخستها
و بطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضهم بتعلم
واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء
والحكماء والانبياء والاولياء فدرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لانهاية لها وأقصى
الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في
أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لابالمكان والمسافة
ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك
منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه و يعرف ماخلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما
لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف
حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم
الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح
الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة
مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن انما تظهر في
القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم لنفحات
ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق
المذمومة كما سيأتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء
الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له وبقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق
الابرار الى لقائي وأنا الى لقائهم أشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك
اشارة الى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا
كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة
بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى
الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه
الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه
كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس
محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة
الحمل و يختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان
تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما
في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة
بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى و ينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار
فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق
الاشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة
فحقيق بأن يلحق بهم و جدير بأن يسمى ملكا و ربانيا كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه
السلام بقوله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما
تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض أفق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضر

ثياب بياض فاضجعاني
فشقا بطني ثم استخرجا
منه شيأ فطرحاه ثم
رداه كما كان فرجعنا به
معنا فقال أبوه يا حليمة
لقد خشيت أن يكون ابني
هذا قد أصيب انطلقي بنا
فلنرده الى أهله قبل
أن يظهر به ما نتخوف
قالت فاحتملناه فلم ترع
أمه الا وقد قدمنا به
عليها قالت ما ردكما وقد
كنتما عليه حريصين
قلنا لا والله لاضير الا أن
الله عز وجل قد أدى
عنا وقضينا الذي كان
علينا وقلنا نخشى الاتلاف
والاحداث نرده الى
أهله فقالت ماذاك بكما
فاصدقاني شأنكما فلم
تدعنا حتى أخبرناها خبره
فقالت خشيتما عليه
الشيطان كلا والله
ما للشيطان عليه سبيل
وانه لكائن لابني هذا
شأن ألا أخبركما خبره قلنا
بلى قالت حملت به فما

ككلب

كـكلب أوسنور أوحقودا كجمل أومتكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد ومامن عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة فى ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقرهو أعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الارائح وكذلك سائرها فانها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن فى مراعاة أعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو فى عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذى ضربناه أشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى أرضه آنية وهى القلوب فاحبها اليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال أبى بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى أو كظلمات فى بحر لجى مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى فى لوح محفوظ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته)

اعلم أن الانسان قد اصطحب فى خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهى الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث أنه فى نفسه أمر ربانى كما قال الله تعالى قل الروح من أمر ربى فانه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى استنباط وجوه

حملت حملا قط أخف منه قالت فرأيت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور قد أضاءت به قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا لم يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه الى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات فى نفوس الامة بمزيد من الظلمة لتفاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الامة فاستمدت تلك الصفات المبقاة بظهورها فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل الآيات المحكمات بازائها لقمعها تاديبا

الشر و يتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع و يظهر الشر فى معرض الخير وهذه أخلاق
الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية
وكل ذلك مجموع فى القلب فكأن المجموع فى اهاب الانسان خنزير و كلب وشيطان وحكيم فالخنزير
هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو
الغضب فان السبع الضارى والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل
بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفى باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص
الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء
والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى أحدهما بالآخر و يحسن لهما ماهما
مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن
تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ
بالغضب يكسر سورة الشهوة و يدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه و يجعل الكلب مقهورا
تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل فى مملكة البدن و جرى الكل على
الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر
لتشبع الخنزير و يرضى الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما
كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم
للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم
أو فى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لاشارته وأمره فهما
هاج الخنزير لطلب شئ من شهواته انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلا بين
يدى كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه و يلتمسه مدققا بالفكر فى حيل الوصول الى طاعته
وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير و يثير الكلب و يبعثهما على استخدامه فهو
من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه
وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان أنصف نفسه الا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية
الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة
والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات
تتراكم عليه حتى يصير طابعا و رينا مهلكا للقلب ومميتا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة
الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد
والحقد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ
والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم
وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء
والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت
سياسة الصفة الربانية لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق
الاشياء ومعرفة الامور على ماهى عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على
الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة
ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط
وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها و يحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها

من الله لنبيه رحمة خاصة
له وعامة للامة موزعة
بنزول الآيات على
الآناء والأوقات عند
ظهور الصفات قال الله
تعالى وقالوا لولا نزل عليه
القرآن جملة واحدة
كذلك لنثبت به فؤادك
ورتلناه ترتيلا وتثبيت
الفؤاد بعد اضطرابه
بحركة النفس بظهور
الصفات لارتباط بين
القلب والنفس وعند
كل اضطراب آية متضمنة
لخلق صالح سنى اما
تصريحا أو تعريضا كما
تحركت النفس الشريفة
النبوية لما كسرت
رباعيته وصار الدم يسيل
على الوجه ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسحه
و يقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم وهو
يدعوهم الى ربهم فانزل
الله تعالى ليس لك من
الامر شئ فاكتسى القلب
النبوى لباس الاصطبار

الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنيل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب فى حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب أما الآثار المحمودة التى ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب فى الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذى يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بامر الآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من أذن وخرج من اذن ولم يستقر فى القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا أذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصى اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التى يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المادتين غلبت عليه حكم له بها وفى رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر أن جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

(بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهى المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهى بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما أن المتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع فى المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع فى مرآة القلب وتتضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها فى المرآة غير فهى ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق فى القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذى فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال فى المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف فى اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول

وفاه بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الآيات على ظهور الصفات فى مختلف الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن ليكون خلقه القرآن ويكون فى ابقاء تلك الصفات فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى قوله عليه السلام انما أنسى لاسن فظهور صفات نفسه الشريفة وقت استنزال الآيات لتأديب نفوس الامة وتهذيبها رحمة فى حقهم حتى تتزكى نفوسهم وتشرف أخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا أراد الله تعالى بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وروى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى

مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف فى اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه فى اليد والمعلوم بعينه لا يحصل فى القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار فى قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لان عين الانسان لا تحصل فى المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم فى القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة أمور * أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل * والثانى لخبثه وصدئه وكدورته وان كان تام الشكل * والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة * والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة * والخامس للجهل بالجهة التى فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلى فيها حقيقة الحق فى الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة * أولها نقصان فى ذاته كقلب الصبى فانه لا ينجلى له المعلومات لنقصانه * والثانى لكدورة المعاصى والخبث الذى يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا أى حصل فى قلبه كدورة لا يزول أثرها اذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم * الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى * الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق * الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية

مائة وبضعة عشر خلقا من آتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها وتحديدها لا يكون الا بوحى سماوى لمرسل ونبى والله تعالى أبرز الى الخلق أسماءه منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم الا ليدعوهم اليها ولولا أن الله تعالى أودع فى القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ولا يبعد والله أعلم ان قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا

لاتقنص الابشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لايحصل الاعن علمين سابقين يأتلفان و يزدوجان على
وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال مايحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى
ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار و بعير وانسان بل من أصل مخصوص من الخيل
الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان و بينهما
طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول و بكيفية
الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ماذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان
أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا
وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج
الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين
حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الاخرى التى فى
مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات
وتحريفات أعجب مماذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك
الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة
صالح لمعرفة الحقائق لانه أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه
الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الانسان اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل
أمانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى
الاصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه وقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى
بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب و بين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى
الله عنهما قال قيل لرسول الله يارسول الله أين الله فى الارض أو فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين
وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى أرضى ولا سمائى و وسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع وفى الخبر أنه
قيل يارسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى
الذى لاغش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى اذ كان
قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه و بين الله تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة
عرض بعضها السموات والارض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض
عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة
وأما عالم الملكوت وهى الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم
الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه و بالاضافة الى علم الله لانهاية له وجملة عالم الملك
والملكوت اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات
اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هى
الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق و يكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة
معرفته و بمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وانما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية
القلب وتزكيته وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد تزكيته حصول أنوار الايمان فيه أعنى اشراق نور

من وفور علمها وكمال
أدبها و بين قوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من
المثانى والقرآن العظيم
و بين قوله وانك لعلى
خلق عظيم مناسبة مشعرة
بقول عائشة رضى الله
عنها كان خلقه القرآن
(قال) الجنيد رحمه الله
سمى خلقه عظيما لانه
لم يكن له همة سوى الله
تعالى وقال الواسطى
رحمه الله لانه جاد بالكونين
عوضا عن الحق وقيل
لانه عليه السلام عاشر
الخلق بخلقه و باينهم
بقلبه وهذا ما قاله بعضهم
فى معنى التصوف
التصوف الخلق مع
الخلق والصدق مع
الحق وقيل عظم خلقه
حيث صغرت الاكوان
فى عينه بمشاهدة مكونها
وقيل سمى خلقه عظيما
لاجتماع مكارم الاخلاق
فيه (وقد) ندب رسول
الله صلى الله عليه وسلم

المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلى وهذا الايمان له ثلاث مراتب * (المرتبة الاولى) * ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض (والثانية) ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام (والثالثة) ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا فى الدار له ثلاث درجات * (الاولى) * أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته فى القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة فى الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم ألقى اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقى اليهم كلمة الحق * (الرتبة الثانية) * أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه فى الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه فى الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه فى الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت فى حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر فى هذا التلبيس والمحاكاة غرضا * (الرتبة الثالثة) * أن تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هى المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهى تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوى فى ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيدا فى الدار عن قرب وفى صحن الدار فى وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه فى بيت أو من بعد أو فى وقت عشية فيتمثل له فى صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل فى نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور فى تفاوت المشاهدة للامور الالهية وأما مقادير المعلوم فهو بأن يرى فى الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب

* (بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية) *

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التى تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعنى بها ما تقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهى تنقسم الى ضرورية لا يدرى من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعنى أنه لا يدرى له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه ان

أمته الى حسن الخلق فى حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا أحمد بن الحسين بن خراش قال حدثنا حبان ابن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثنى عبد الله بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله علمنا الثرثارون والمتشدقون

الله هو الذى خلقه وهداه والى علوم مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال على رضى الله عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الابصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وان كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة ادراك البصر فى العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا الى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر الى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلى * أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدى اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فاياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما

فالمتفيهقون قال المتكبرون والثرثار هو المكثار يكثر من الحديث والمتشدق المتطاول على الناس فى الكلام (قال الواسطى رحمه الله) الخلق العظيم أن لا يخاصم ولا يخاصم وقال أيضا وانك لعلى خلق عظيم لوجدانك حلاوة المطالعة على سرك وقال أيضا لانك قبلت فنون ما أسديت اليك من نعمى أحسن مما قبله غيرك من الانبياء والرسل (وقال الحسين) لانه لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطالعة الحق وقيل الخلق العظيم لباس التقوى والتخلق بأخلاق الله تعالى اذ لم يبق للاعواض عنده خطر (وقال) بعضهم قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين أتم لانه حيث قال

يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما تناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض فى الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه فى نفسه خيل اليه نقصا فى الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها بأوانى الدار فقال لهم ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لاترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاوانى فى مواضعها وانما أنت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك أنك لاتحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم أحوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى أن من صرف عنايته الى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا أرضيت احداهما أسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس فى أمور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة والاكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لاتفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان أكثر أهل الجنة البله أى البله فى أمور الدنيا وقال الحسن فى بعض مواعظه لقد أدركنا أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين لايكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التى تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية وانما تحصل فى القلب فى بعض الاحوال تختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لايدرى وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لابطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى مالايدرى العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل والى مايطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب والاول يسمى الهاما ونفثا فى الروع والثانى يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لان تنجلى فيه حقيقة الحق فى الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة

وانك أحضره واذا أحضره أغفله وحجبه وقوله لاخذنا أتم لان فيه فناء وفى قول هذا القائل نظر فهلا قال ان كان فى ذلك فناء ففى قوله وانك بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بمنصب الرسالة لان الفناء انما عز لمزاحمة وجود مذموم فاذا نزع المذموم من الوجود وتبدلت النعوت فأى عزة تبقى فى الفناء فيكون حضوره بالله لابنفسه فأى حجبة تبقى هنالك (وقيل) من أوتى الخلق العظيم فقد أوتى أعظم المقامات لان للمقامات ارتباطا عاما والخلق ارتباط بالنعوت والصفات (وقال الجنيد) اجتمع فيه أربعة أشياء السخاء والالفة والنصيحة والشفقة (وقال ابن عطاء) الخلق العظيم أن لايكون له اختيار ويكون تحت الحكم مع فناء النفس

التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش
بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع
صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه
وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في
اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت
فبه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع
في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي الى حد ما
ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه
من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة
الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر
أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم أن
ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل
ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو
الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو
المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم واذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق
النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف
الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار
الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة
فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب
بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله
تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ
القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى
حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب
ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث
ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله
الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية
على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه
الى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا
فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى أنه ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع
الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا
يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا
صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق
الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد
فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت وقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد
يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع

وفناء المألوفات (وقال أبو سعيد) القرشي العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والاحسان ألا ترى الى قوله عليه السلام ان لله مائة وبضعة عشر خلقا من أتى بواحد منها دخل الجنة فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله وانك لعلى خلق عظيم (وقيل) عظم خلقك لانك لم ترض بالاخلاق وسرت ولم تسكن الى النعوت حتى وصلت الى الذات (وقيل) لما بعث محمد عليه الصلاة والسلام الى الحجاز حجزه بها عن اللذات والشهوات وألقاه في الغربة والجفوة فلما صفا بذلك عن دنس الاخلاق قال له وانك لعلى خلق عظيم (وأخبرنا) الشيخ الصالح أبو زرعة بن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر

هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاؤه الى هذا المقصد على الندور فانه أكثر أحوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى حال فثباته أبعد منه اذ أدنا وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وفى أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشتت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب الى الغرض وزعموا أن ذلك يضاهى مالو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحى والالهام من غير تكرير وتعليق فانا أيضا ربما انتهى بى الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لابد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

(بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس)

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لأن القلب أيضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين * أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورا فى الأرض احتمل أن يساق اليه الماء من فوقه بانهار تتفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافى فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الانهار وقد يمكن أن تساق العلوم الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى يتفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره فى علم المعاملة بل القدر الذى يمكن ذكره أن حقائق الاشياء مسطورة فى اللوح المحفوظ بل فى قلوب الملائكة المقربين فكما أن المهندس يصور أبنية الدار فى بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من أوله الى آخره فى اللوح المحفوظ ثم أخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذى خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض فى خياله حتى كأنه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقى هو فى نفسه لوجد صورة السماء والارض فى نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله أثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التى دخلت فى الحس والخيال والحاصل فى القلب موافق للعالم الحاصل فى الخيال والحاصل فى الخيال موافق للعالم الموجود فى نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة فى اللوح المحفوظ فكان للعالم أربع درجات فى الوجود وجود فى اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده

المقدسى عن أبيه قال أنا أبو عمر المليحى قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الاعرابى قال ثنا جعفر ابن الحجاج الرقى قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثنى الوليد قال حدثنى ثابت عن يزيد عن الاوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول مكارم الاخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة صدق الحديث وصدق البأس وان لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب

الجسمانى ويتبعه وجوده الحقيقى ويتبع وجوده الحقيقى وجوده الخيالى أعنى وجود صورته فى الخيال ويتبع وجوده الخيالى وجوده العقلى أعنى وجود صورته فى القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع أكنافها ثم يسرى من وجودها فى الحس وجود الى الخيال ثم منه وجود فى القلب فانك أبدا لاتدرك الاماهو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا فى ذاتك لما كان لك خبر عما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب فى القلوب والابصار ثم أعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء اذا اجتمع فى الانهار منع ذلك من التفجر فى الارض وكما أن من نظر الى الماء الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل من عجائب الرؤيا واطلاع القلب فى النوم على ما سيكون فى المستقبل أو كان فى الماضى من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يارسول الله قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال فى وصفهم اخبارا عن الله فقال ثم أقبل بوجهى عليهم أترى من واجهته بوجهى يعلم أحد أى شئ أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتى من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتى من أبواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمى الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصى فى علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين ❊ المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين أعنى عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون فى اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب وأولياء الصوفية يعملون فى جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم اليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة مالا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق

واقراء الضيف وراسهن الحياء ❊ وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الغم والفرح يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لان ذلك يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح المشار اليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهو الفرح الذى قال الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين لما رأى مفاتحه تنوء بالعصبة أولى القوة فأما الفرح بالاقسام الاخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى

اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الايمان بل يكون وسيلة وقربة الى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار لا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بأنوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد روي في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتد في ميدانه والذي أعطي نورا على ابهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا أيضا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كالشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه أن من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه أولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي

قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفسر عبد الله بن المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت الى تحسين الاخلاق وكم من نفس تجيب الى الاعمال ولا تجيب الى الاخلاق فنفوس العباد أجابت الى الاعمال وجمحت عن الاخلاق ونفوس الزهاد أجابت الى بعض الاخلاق دون البعض ونفوس الصوفية أجابت الى الاخلاق الكريمة كلها أخبرنا الشيخ أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق زاد

يملك

يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف فى اكتساب المعرفة لامن التعلم ولامن الطريق المعتاد)

اعلم أن من انكشف له شئ ولو الشئ اليسير بطريق الالهام والوقوع فى القلب من حيث لايدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لايحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من سؤال النور فقال عليه السلام اللهم أعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى نورا وفى قبرى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا حتى قال فى شعرى وفى بشرى وفى لحمى ودمى وعظامى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ماهذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال على رضى الله عنه ماعندنا شئ أسره النبى صلى الله عليه وسلم الينا الا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل فى تفسير قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء انه الفهم فى كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان أبو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من أمتى محدثين ومعلمين ومكلمين وأن عمر منهم وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذى انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فاذا نسى ماحفظه صار جاهلا انما العالم الذى يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الربانى واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدنى الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر

عليك بالتصوف فالعباد أجابت نفوسهم الى الاعمال لانهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد أجابت نفوسهم الى بعض الاخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن أهل القرب والصوفية نور اليقين وتأصل فى بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل ارجائه وجوانبه لان القلب يبيض بعضه بنور الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس وللقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب ووجه الى الطبع والغريزة والقلب اذا لم يبيض كله لم يتوجه الى الروح بكله ويكون

* وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته انما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته ياسارية الجبل الجبل اذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت اليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العينين النظر لتتوبن أو لاعزرنك فقلت أوحي بعد النبي فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وعن أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى ألطافا خفية وقال أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري أنك بخيل فقلت ما أنا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم على بشيء الا دفعته الى أول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فأخذتها وقمت وخرجت واذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الدنانير فقال أعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد الا أذله الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يافتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التيناني هذا مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدني سبع فعدت الى أبي الخير وقلت قصدني سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد * وما حكي من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الاصل أنكر التفصيل * والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران * أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه * والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء

ذا وجهين وجه الى الروح ووجه الى النفس فاذا ابيض كله توجه الى الروح بكله فيتداركه مدد الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب الى الروح انجذبت النفس الى القلب وكلما انجذبت توجهت الى القلب بوجهها الذي يليه وتنور النفس بتوجهها الى القلب بوجهها الذي يلي القلب وعلامة تنورها طمأنينتها قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وتنور وجهها الذي يلي القلب بمثابة نورانية أحد وجهي الصدف لاكتساب النورانية من اللؤلؤ وبقاء شيء من الظلمة على النفس لنسبة وجهها الذي يلي الغريزة والطبع كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من

وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب الى خارج وهو الحواس و باب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث فى الروع والوحى فاذا أقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب فى انكشاف الامر فى المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة وذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى أن أملى عليه شيأ من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندى فى المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت الى قلبى وسألته فحدثنى بما أجبتك فاذا هو أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام ان فى أمتى محدثين وان عمر منهم وفى الاثر ان الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان الدارانى رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى و ينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يتجلى لهم أمور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه فى مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله أيضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة فى القلب فى كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا أدرك بالحواس شيأ حصل منه أثر فى القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل و بسبب قوة فى المزاج حصل منها فى القلب أثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى و ينتقل الخيال من شئ الى شئ و بحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود أن القلب فى التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب وأخص الآثار الحاصلة فى القلب هو الخواطر وأعنى بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار وأعنى به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هى المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر

الكدر والنقصان مخالفا لنورانية باطنه واذا تنور أحد وجهى النفس لجأت الى تحسين الاخلاق وتبديل النعوت ولذلك سمى الابدال ابدالا والسر الاكبر فى ذلك ان قلب الصوفى بدوام الاقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقى الى ذكر الذات و يصير حينئذ بمثابة العرش فالعرش قلب الكائنات فى عالم الخلق والحكمة والقلب عرش فى عالم الامر والقدرة (قال) سهل بن عبد الله التسترى القلب كالعرش والصدر كالكرسى وقد ورد عن الله تعالى لا يسعنى أرضى ولا سمائى و يسعنى قلب عبدى المؤمن فاذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من نسمات القرب جرى فى جداول أخلاق

ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى مايدعو الى الشر أعنى الى مايضر فى العاقبة والى مايدعو الى الخير أعنى الى ماينفع فى الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم أعنى الداعى الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلابد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ماعرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذى به يتهيأ القبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعانى المختلفة تفتقر الى أسامى مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة فى مقابلة الالهام والشيطان فى مقابلة الملك والتوفيق فى مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه فرد لامقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لاتريد أصبعك لشخصه بل لفعله فى التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الافعال بأصابعك والله تعالى يفعل مايفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته فى تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك فى تقليب الاجسام مثلا والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لايخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا الا ان الله أعاننى عليه فاسلم فلا يأمر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لايتصرف الا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لاتنبسط الا حيث ينبغى والى الحد الذى ينبغى فشهوته لاتدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس

النفس صفاء النعوت والصفات وتحقق التخلق باخلاق الله تعالى (حكى) عن الشيخ أبى على الفارمدى انه حكى عن شيخه أبى القاسم الكركانى أنه قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد فى السلوك غير واصل ويكون الشيخ عنى بهذا ان العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف حال البشر وقصوره مثل أن يأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل اشارات المشايخ فى الاسماء والصفات التى هى أعز علومهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم بذلك شيأ من الحلول تزندق وألحد وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية

ومهما

ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندى الملائكة والشياطين فى معركة القلب دائم الى أن ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثانى اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذى هو مطرح أثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجوه والا مضوا وتركوه يعنى أن القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى وفى الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر فى القلب ذكر شئ انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شئ سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشئ الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسى الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بابى وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهى هذه الخواطر التى تخطر

جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل وقصد العمل ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك أن تسب حليما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصى اماما عادلا أو تفسد أرضا أوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (وروى) معاذ أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حف

للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس
معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن ينفك
عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام مامن أحد الا وله شيطان فقد اتضح
بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا
نظر من ينظر في ذات الشيطان انه جسم لطيف أوليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن
الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت
في ثيابه حية وهو محتاج الى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها
وذلك عين الجهل فصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة وعلم
أن الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد
عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم
ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن
أصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات
وذلك كاف للعاملين فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه وحقيقة الملائكة فذلك ميدان
العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي أن يعلم أن
الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا أنه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا
يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فان من مكايد
الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فان الشيطان
لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر
الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم
من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر
نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال
يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل الى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى أن
يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من
قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء
وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج
المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه
وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا
الدين بقوم لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي أن ابليس لعنه الله تمثل
لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا
تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد
والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي
المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان أمهل الزمان
صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما
في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده

الاسلام بمكارم الاخلاق
ومحاسن الآداب (أخبرنا)
الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي
باسناده المتقدم الى
الترمذي رحمه الله قال
أنا أبو كريب قال حدثنا
قبيصة بن الليث عن
مطرف عن عطاء عن أم
الدرداء عن أبي الدرداء
قال سمعت النبي عليه
السلام يقول مامن شئ
يوضع في الميزان أثقل
من حسن الخلق وان
صاحب حسن الخلق
ليبلغ به درجة صاحب
الصوم والصلاة (وقد
كان) من أخلاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
انه كان أسخى الناس
لا يبيت عنده دينار
ولا درهم وان فضل ولم
يجد من يعطيه ويأتيه
الليل لا يأوي الى منزله
حتى يبرأ منه ولا ينال
من الدنيا وأكثر قوت
عامه من أيسر ما يجد

سواس
ينفـك
ـدا تضع
ـدهـذا
ـل بدن
دخلت
وه رضها
الله وعلى
دته وقد
لشيطان
يابنى آدم
سؤال عن
الشهوات
ك ميدان
يعلم ان
الخـير فا
من مكايد
الشيطان
ظ اما تنقذ
الله تنقذه
يف تكن
م ولا يزال
ذلك الى ان
لامك من
اثب الر
يستدرج
يهلك بب
ليؤيده
ه الله تم
لان له أ
عباد والزه
فى المعا
مهل الز
العباد لا
ان ومكا

فق

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين
البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا أى رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون أى ينكشف لهم
الاشكال فأما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه
ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفى مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل
هى أعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس
ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس
وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجى من كثرة الوسواس الا سد أبواب
الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة فى بيت مظلم
تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل
باطنه فى التخيلات الجارية فى القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال
يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلابد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت
اذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد
ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجرى فى بدنه فانه ما دام حيا فأبواب الشيطان
مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهى الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها
ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا أبا سعيد
أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف
قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى سفره وقال ابن مسعود
شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن
مثل العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبنى بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان
وحفظها بالحراسة أعنى الابواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى الى المعاصى الظاهرة وانما
يتعثرون فى طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما أشرنا اليه فى غرور العلماء والوعاظ
والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك
الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة
المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا
هى القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم فيما يهتدى الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة وقال عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين
الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطى مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق
الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى
الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى الا أن يضطر الآدمى الى سلوكه وذلك كما روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى فى
قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده
ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن

من التمر والشعير ويضع
ما عدا ذلك فى سبيل الله
لا يسئل شيأ الا يعطى ثم
يعود الى قوت عامه فيؤثر
منه حتى ربما احتاج قبل
انقضاء العام (وكان)
يخصف النعل ويرقع
الثوب ويخدم فى مهنة
أهله ويقطع اللحم معهن
(وكان) أشد الناس
حياء وأكثرهم تواضعا
فصلوات الرحمن عليه
وعلى آله وأصحابه أجمعين

(الباب الثلاثون فى تفاصيل أخلاق الصوفية)

من أحسن أخلاق
الصوفية التواضع ولا
يلبس العبد لبسة أفضل
من التواضع ومن ظفر
بكنز التواضع والحكمة
يقيم نفسه عند كل أحد
مقدارا يعلم أنه يقيمه
ويقيم كل أحد على
ما عنده من نفسه ومن
رزق هذا فقد استراح
وأراح وما يعقلها الا

بفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى أخذتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخاصلك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك اطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب فى الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه

(بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدرى أبوابه فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهى كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان * فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه ابليس فقال له ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى الى ربى أن يتوب على فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أد الامانة فقال موسى يارب عبدك ابليس يريد أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى الى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال ياموسى ان لك على حقا بما شفعت لى الى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرنى حين تغضب فان روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم اذكرنى اذا غضبت فانه اذا غضب الانسان نفخت فى أنفه فما يدرى ما يصنع واذكرنى حين تلقى الزحف فانى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى واياك أن تجلس الى امرأة ليست بذات محرم فانى رسولها اليك ورسولك اليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرنى كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى فقد حكى ان ابليس ظهر لراهب فقال له الراهب أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم واذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شىء أعماه حرصه وأصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حبك الشىء يعمى ويصم ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص

العالمون (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا عثمان ابن عبد الله قال أنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنا عبد الرحمن بن حمدان قال ثنا أبو حاتم الرازى قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا ولا يبغى بعضكم على بعض وقال عليه السلام فى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس (وكان) من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر

يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تخلفانى بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتى منه بالحرص ❁ ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل لى فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا ويقال فى كثرة الاكل ست خصال مذمومة أولها أن يذهب خوف الله من قلبه الثانى أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس السادس ان يهيج فيه الامراض ❁ ومن أبوابه حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا أوقعه فى ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شئ الى شئ الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه ❁ ومن أبوابه العظيمة الطمع فى الناس فانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد روى صفوان بن سليم أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عنى شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فانى أملكك اذا غضبت ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت فى الامور وقال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى وقال عز وجل خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغى ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقى الارض فلم يجد شيأ ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايسوا من أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة ❁ ومن

عن اجابة الامة والمسكين (واخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمى قال أنا احمد بن على المقرى قال أنا محمد بن المنهال قال حدثنى أبى عن محمد ابن جابر اليمانى عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من رأس التواضع ان تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر (وورد) أيضا عنه عليه السلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسكنة (سئل الجنيد) عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب (وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد

أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل مايزيد
على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار
مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد
بل يحتاج الى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه صار
بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشترى دارا يعمرها وليشترى جارية وليشترى اثاث البيت
ويشترى الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيأ آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية
آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه ✽ قال ثابت البنانى لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس
لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماهو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ماندرى قال أنا آتيكم بالخبر
فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبى صلى
الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ماصحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى
صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا
وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال ياعيسى رغبت فى الدنيا فأخذه عيسى
صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده
عند النوم فقد ملك من الدنيا مايمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان
بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان
لايخطر له ذلك بباله ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا فى حجر فكيف بمن يملك المخاد المثيرة والفرش الوطيئة
والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ✽ ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو
الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم وهو الموعود للكاثرين
كما نطق به القرآن العزيز قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ماغلبنى ابن آدم غلبة فلن يغلبنى
على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس
للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن
بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هى معشش
الشياطين وقال أبو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب
أنزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال اجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع
الطرق قال اجعل لى طعاما قال طعامك مالم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال
اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرآنا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا
قال الكذب قال اجعل لى مصايد قال النساء ✽ ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على
الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن فى
الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان ان
ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور
يظن أنه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لابى بكر الصديق رضى
الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان
أول عدو له اذ موالى أبى بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ مابين لحييه وكان من سيرته رضى الله عنه
ان يضع حصاة فى فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لايعنيه فانى لهذا الفضولى ان يدعى ولاءه وحبه ولا
يسير بسيرته ونرى فضوليا آخر يتعصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس فى خلافته

له وتقبله ممن قاله وتسمع
منه (وقال أيضا) من
رأى لنفسه قيمة فليس
له فى التواضع نصيب
(وقال) وهب بن منبه
مكتوب فى كتب الله انى
أخرجت الذر من صلب
آدم فلم أجد قلبا أشد
تواضعا الى من قلب
موسى فلذلك اصطفيته
وكلمته (وقيل) من
عرف كون نفسه لم
يطمع فى العلو والشرف
ويسلك سبيل التواضع
فلا يخاصم من يذمه
ويشكر الله لمن يحمده
وقال أبو حفص من أحب
أن يتواضع قلبه
فليصحب الصالحين
وليلتزم بحرمتهم فمن
شدة تواضعهم فى
أنفسهم يقتدى بهم ولا
يتكبر (وقال لقمان عليه
السلام) لكل شئ مطية
ومطية العمل التواضع
(وقال الثورى) خمسة
أنفس أعز الخلق فى

ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغ ونرى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتنعما بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعرى من أخذ ولدا عزيزا الانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كان أحب الى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الاهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى عدو الله ابليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح أفعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لابى بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر أنه اذا مات محبا لعلى لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهى بضعة منه اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيأ وهذا امثال أوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبى ومسلكى الذى سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبى كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم * وقال الحسن بلغنا أن ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهى الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجالسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم فى أصل الدين أو يخيل اليهم فى الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث فى علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامى لو يزنى ويسرق كان

الدنيا عالم زاهد وفقيه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكر وشريف سنى (وقال الجلاء) لولا شرف التواضع كنا اذا مشينا نخطر وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا الا رأيته خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه فى سفره الى الشام وقد بعث بعض أبناء الدنيا له طعاما على رؤس الاسارى من الافرنج وهم فى قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاوانى حتى تفرغ قال للخادم أحضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم

خيرا له من أن يتكلم فى العلم فانه من تكلم فى الله وفى دينه من غير اتقان العلم وقع فى الكفر من حيث
لا يدرى كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب
لا تحصر وانما أردنا بما أوردناه المثال * ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه
اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر فى القيام بحقوقه أو يتوانى فى اكرامه وينظر اليه بعين الاحتقار ويرى
نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه
وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روى عن على بن حسين أن صفية
بنت حيى بن أخطب أخبرته ان النبى صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد قالت فأتيته فتحدثت
عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال
انها صفية بنت حيى فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى
الدم من الجسد وانى خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما
فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف
بالدين فى أحواله فيقول مثلى لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم
لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما
رأيت انسانا يسىء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث فى الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه
وانما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر
فى حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفى
هذا القدر ما ينبه على غيره فليس فى الآدمى صفة مذمومة الا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله
فان قلت فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى فى ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة
الا بالله فاعلم أن علاج القلب فى ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما
يطول ذكره وغرضنا فى هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى
كتاب منفرد على ما سيأتى شرحه نعم اذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب
اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر
لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر
حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص بذلك المتقى فمثل الشيطان كمثل كلب
جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه
فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالى عن قوت
الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشى
القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى
والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر
خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والآيات
الواردة فى الذكر قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين

كالواحد منهم فأكل
وأكاوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل باطنه من
التواضع لله والانكسار
فى نفسه وانسلاخه من
التكبر عليهم بايمانه
وعلمه وعمله (أخبرنا) أبو
زرعة اجازة عن أبى
بكر بن خلف اجازة عن
السلمى قال سمعت أبا
الحسين الفارسى يقول
سمعت الجريرى يقول
صح عند أهل المعرفة أن
للدين رأس مال خمسة فى
الظاهر وخمسة فى
الباطن فاما اللواتى فى
الظاهر فصدق فى اللسان
وسخاوة فى الملك وتواضع
فى الابدان وكف الاذى
واحتماله بلا اباه وأما
اللواتى فى الباطن فحب
وجود سيده وخوف
الفراق من سيده ورجاء
الوصول الى سيده والندم
على فعله والحياء من ربه
وقال يحيى بن معاذ
التواضع فى الخلق حسن

كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول
قال أنا مع رجل اذا أكل سمى الله فأظل جائعا واذا شرب سمى الله فأظل عطشانا واذا لبس سمى الله فأظل
عريانا واذا ادهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكنى مع رجل لا يفعل شيأ من ذلك فأنا أشاركه فى طعامه
وشرابه ولباسه * وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا
بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته
من عفوك و باعد بيننا و بينه كما باعدت بينه و بين رحمتك انك على كل شئ قدير قال فتمثل له ابليس
يوما فى طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفنى قال ومن أنت قال أنا ابليس فقال وما تريد قال
أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك قال والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت وعن
عبد الرحمن بن أبى ليلى قال كان شيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه
وهو يصلى فيقرأ و يتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات
التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته
وخر على وجهه * وقال الحسن نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان
عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى وقال صلى الله عليه وسلم لقد أتانى
الشيطان فنازعنى ثم نازعنى فأخذت بحلقه فوالذى بعثنى بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على
يدى ولولا دعوة أخى سليمان عليه السلام لاصبح طريحا فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر
فجا الاسلك الشيطان فجا غير الذى سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته
وهى الشهوات فهما طمعت فى أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضى الله عنه
كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة و يطمع
أن ينفعه كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهى تخلى
القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول
الدواء فى المعدة الخالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى
كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله و يهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه
وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان
أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل
أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى
الاسواق وحساب العاملين و جواب المعاندين وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر
ما قد نسيته من فضول الدنيا الا فى صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلاة محك
القلوب فبها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم
لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك
الضرر فان أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان
منك كما فر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت
صديقه فى السر أى أنت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه و يطيع
اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعونى أستجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك
فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن أدهم ما بالنا

ولكن فى الاغنياء أحسن
والتكبر سمج فى الخلق
ولكن فى الفقراء أسمج
(وقال ذو النون) ثلاثة
من علامات التواضع
تصغير النفس معرفة
بالعيب وتعظيم الناس
حرمة للتوحيد وقبول
الحق والنصيحة من كل
واحد (وقيل) لابى
يزيد متى يكون الرجل
متواضعا قال اذا لم ير
لنفسه مقاما ولا حالا ولا من
علمه بشرها وازدرائها
ولا يرى ان فى الخلق شرا
منه (قال) بعض الحكماء
وجدنا التواضع مع
الجهل والبخل أحمد من
الكبر مع الادب والسخاء
وقيل لبعض الحكماء
هل تعرف نعمة لا يحسد
عليها او بلاء لا يرحم
صاحبه عليه قال نعم أما
النعمة فالتواضع وأما
البلاء فالكبر والكشف
عن حقيقة التواضع أن
التواضع رعاية الاعتدال

ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعونى أستجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها قال
ثمان خصال عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا
لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس امامكم فأسخطتم ربكم
فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعى الى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم أنه
لا حاجة لك الى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى
ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل
نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو اليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى
ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان
وأما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره فذكر
ثبر والاعور ومبسوط وداسم وزلنبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب
ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الاعور فانه صاحب الزنا يأمر به ويزينه وأما مبسوط فهو صاحب
الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل الى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم وأما زلنبور فهو
صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان
وقد ورد فى ذلك أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى الملائكة كثرة وقد ذكرنا فى كتاب
الشكر السر فى كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به وقد قال أبو امامة الباهلى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه مالم يقدر عليه من ذلك للبصر
سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على
كل سهل وجبل كل باسط يده فاغر فاه ما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
وقال أيوب بن يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤن معهم وروى جابر
ابن عبد الله ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض قال يا رب هذا الذى جعلت بينى وبينه عداوة ان
لم تعنى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب زدنى قال أجزى بالسيئة سيئة
وبالحسنة عشرا الى ما أريد قال رب زدنى قال باب التوبة مفتوح ما دام فى الجسد الروح قال ابليس
يا رب هذا العبد الذى كرمته على ان لا تعنى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب
زدنى قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك
ورجلك الى قوله غرورا وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق
الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح فى الهواء وصنف
عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف
أجسامهم أجسام بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف فى ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل
الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال انى أريد أن
أنصحك قال لا حاجة لى فى نصحك ولكن اخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم
وهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع الى الاستغفار والتوبة
فيفسد علينا كل شئ أدركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن

بين الكبر والضعة فالكبر
رفع الانسان نفسه فوق
قدره والضعة وضع
الانسان نفسه مكانا
يزرى به ويفضى الى
تضييع حقه وقد انفهم
من كثير من اشارات
المشايخ فى شرح التواضع
اشياء الى حد أقاموا
التواضع فيه مقام الضعة
ويلوح فيه الهوى من
أوج الافراط الى حضيض
التفريط ويوهم انحرافا
عن حد الاعتدال ويكون
قصدهم فى ذلك المبالغة
فى قمع نفوس المريدين
خوفا عليهم من العجب
والكبر فقل أن ينفك
مريد فى مبادى ظهور
سلطان الحال من العجب
حتى لقد نقل عن جمع
من الكبار كلمات مؤذنة
بالاعجاب وكل ما نقل
من ذلك القبيل من
المشايخ لبقايا السكر
عندهم وانحصارهم فى
مضيق سكر الحال وعدم

منه فى عناء وأما الصنف الآخر فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبياننا نقلبهم كيف شئنا قد كفونا
أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ فان قلت فكيف يتمثل الشيطان
لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورة فهل هى صورته الحقيقية أو هو مثال يتمثل له به فان كان
على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى فى وقت واحد فى مكانين وعلى صورتين
حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هى حقيقة صورتهما
لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بأنوار النبوة فما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه
أفضل الصلاة والسلام فى صورته الا مرتين وذلك انه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع
وظهر له بحراء فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة
المنتهى وانما كان يراه فى صورة الآدمى غالبا فكان يراه فى صورة دحية الكلبى وكان رجلا حسن
الوجه والاكثر انه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى
اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف فى المنام لاكثر
الصالحين وانما المكاشف فى اليقظة هو الذى انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة
التى تكون فى المنام فيرى فى اليقظة ما يراه غيره فى المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن
رجلا سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى
داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له
خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس
ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو
الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان
تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل به
عالم الملك والشهادة لان أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب
وهو مدخل الالهام والوحى ووجه الى عالم الشهادة فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم
الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى
ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة
وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس أما الصورة التى تحصل فى الخيال من
اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة فى عالم
الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان فى صورة
كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية
لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على مثال خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر
وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهى من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها
بعلم المعاملة وانما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق
التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى
هو مثال المعنى لا عين المعنى الا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله
كالنائم

(بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة

الخروج الى فضاء الصحو
فى ابتداء أمرهم وذلك اذا
حذق صاحب البصيرة
نظره يعلم أنه من استراق
النفس السمع عند نزول
الوارد على القلب
والنفس اذا استرقت
السمع عند ظهور الوارد
على القلب ظهرت بصفتها
على وجه لا يخفى على
الوقت وصلافة الحال
فيكون من ذلك كلمات
مؤذنة بالعجب كقول
بعضهم من تحت خضراء
السماء مثلى وقول بعضهم
قدمى على رقبة جميع
الاولياء وكقول بعضهم
أسرجت وألجمت وطفت
فى أقطار الارض وقلت
هل من مبارز فلم يخرج
الى أحد اشارة منه فى
ذلك الى تفرده فى وقته
ومن أشكل عليه ذلك
ولم يعلم أنه من استراق
النفس السمع فليزن ذلك
بميزان أحوال أصحاب
رسول الله صلى الله عليه

العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عفى عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم
تتكلم به أو تعمل به وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم
عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان
عملها فاكتبوها عشرا وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه
بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى
سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث
بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه
ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل
السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة
لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدا ظهورها الى أن يظهر العمل على
الجوارح فنقول أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراءه في الطريق
لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من
الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن
يفعل أي ينبغي أن ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه
حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة
العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه
وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا أصغى القلب الى
الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما
يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق
فيتعذر عليه العمل فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل
ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان
الشهوة لانهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفى عن أمتي
ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل
فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نفسي تحدثني ان أطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي
تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا خصاء أمتي دؤب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية
أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان أترك اللحم قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله
لأطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن
يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به
والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان كان قد
تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه
حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف

وسلم وتواضعهم
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستبعادهم
أن يجوز للعبد التظاهر
بشيء من ذلك ولكن
يجعل لكلام الصادقين
وجها في الصحة ويقال
ان ذلك طفح عليهم في
سكر الحال وكلام
السكارى يحمل فالمشايخ
أرباب التمكين لما علموا
في النفوس هذا الداء
الدفين بالغوا في شرح
التواضع الى حد ألحقوه
بالضعة تداويا بالمريدين
والاعتدال في التواضع
أن يرضى الانسان بمنزلة
دون ما يستحقه ولو
أمن الشخص جموح
النفس لوقفها على حد
تستحقه من غير زيادة
ولا نقصان ولكن لما كان
الجموح في جبلة النفس
لكونها مخلوقة من
صلصال كالفخار فيها نسبة
النارية وطلب الاستعلاء
بطبعها الى مركز النار

الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجهده فى مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده
فى موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جهده فى الامتناع وهمه به على همه بالفعل
وان تعوق الفعل بعائق أوتركه بعذر لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب
اختيارى والدليل على هذا التفصيل ماروى فى الصحيح مفصلا فى لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه
فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائى وحيث قال فان لم
يعملها أراد به تركها لله فأما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أوغفلة فكيف تكتب له حسنة
وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على أن يصبح ليقتل
مسلما أو يزنى بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة فلم يعملها والدليل
القاطع فيه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
فى النار فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وهذا نص فى انه صار
بمجرد الارادة من أهل النار مع انه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم
دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له
حسنة فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك
لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف مالا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا مافى
أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا
مالانطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت فى قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم
لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله الفرج
بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل مالا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب
هو الذى لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجرى
على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلابد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ
بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب بل
السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا أى ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير
اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فان أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا
خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب وقال البر ما اطمأن اليه القلب وان أفتوك وأفتوك حتى أنا
نقول اذا حكم القلب المفتى بايجاب شئ وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن انه تطهر فعليه
أن يصلى فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن
وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت أجنبية فان ظن انها أجنبية ثم وطئها
عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

(بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين فى صفاتها وعجائبها اختلفوا فى هذه المسئلة على خمس فرق
فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لانه عليه السلام قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو
السكوت كأنه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجرى فى القلب ولا يكون له أثر لان القلب اذا

احتاجت للتداوى
بالتواضع وايقافها دون
ماتستحقه لئلا يتطرق
اليها الكبر فالكبر ظن
الانسان أنه أكبر من
غيره والتكبر اظهاره
ذلك وهذه صفة
لايستحقها الا الله تعالى
ومن ادعاها من المخلوقين
يكون كاذبا والكبر يتولد
من الاعجاب والاعجاب
من الجهل بحقيقة المحاسن
والجهل الانسلاخ من
الانسانية حقيقة وقد
عظم الله تعالى شأن
الكبر بقوله تعالى انه
لايحب المستكبرين وقال
تعالى أليس فى جهنم
مثوى للمتكبرين وقد ورد
يقول الله تعالى الكبرياء
ردائى والعظمة ازارى
فمن نازعنى واحدا منهما
قصمته وفى رواية قذفته
فى نار جهنم وقال عز
وجل ردا للانسان فى
طغيانه الى حده ولا تمش
فى الارض مرحا انك ان

صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان
الصوت يمر على سمعه * وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأ
يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر فى لحظة وينعدم الذكر فى لحظة ويتعاقبان
فى أزمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهى كالكرة التى عليها نقط متفرقة فانك اذا أدرتها بسرعة
رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة
الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان فى الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع
وكما ان الانسان قد يرى بعينيه شيئين فى حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى
الله عليه وسلم ما من عبد الا وله أربعة أعين عينان فى رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان فى قلبه يبصر
بهما أمر دينه والى هذا ذهب المحاسبى والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن
الاحاطة بأصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه والوسواس
أصناف (الاول) أن يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان
لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد
عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار
أشد منه ولا بد من أحدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس
الشيطان وهرب اذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصى ولا يمكنه أن يقول المعصية
لا تفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس
اليه بالعجب بعمله فيقول أى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى
فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التى بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى ف
أين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا
نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة (الصنف الثانى)
أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية والى ما يظنه
بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر فى تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان
كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة فى دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكن
مدفوعة غير غالبة (الصنف الثالث) أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة
والتذكر فى غير الصلاة مثلا فاذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود
فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة
وعلى تلك الخواطر كأنهما فى موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث
لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من أمر الدنيا
غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا أنه متصور لما ذكره الا أنه لا يتصور ذلك الا فى قلب استولى عليه الحب
حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به فقد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات
فى مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق فى الحب قد يتفكر فى محادثة
محبوبه بقلبه ويغوص فى فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز
بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه واذا تصور هذا فى خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه
فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى
واليوم الآخر واذا تأملت جملة من هذه الاقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب

تخرق الارض ولن تبلغ
الجبال طولا وقال تعالى
فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق وأبلغ
من هذا قوله تعالى قتل
الانسان ما أكفره من
أى شئ خلقه من نطفة
خلقه فقدره وقد قال
بعضهم لبعض المتكبرين
أولك نطفة مذرة وآخرك
جيفة قذرة وأنت فيما
بين ذلك حامل العذرة
وقد نظم الشاعر هذا
المعنى
كيف يزهو من رجيعه
أبد الدهر ضجيعه
واذا ارتحل التواضع من
القلب وسكن الكبر
ينتشر أثره فى بعض
الجوارح ويرشح الاناء
بما فيه فتارة يظهر أثره
فى العنق بالتمايل وتارة فى
الخد بالتصعير قال الله
تعالى ولا تصعر خدك
للناس وتارة يظهر فى
الرأس عند استعصاء
النفس قال الله تعالى

المذاهب وجها ولكن فى محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان فى لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال فى الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه نظر الى علم ثوبه فى الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلنى عن الصلاة وقال اذهبوا به الى أبى جهم وائتونى بانبجانيته وكان فى يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك بوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمى والمفارقة فمادام يملك شيأ وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان فى صلاته من الوسوسة فى الفكر فى ديناره وانه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد أو كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخاليبه فى الدنيا وطمع فى أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس فى العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعة فان أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبى شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه الى الجنة

* (بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات) *

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التى وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا أصابه شئ يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمننى والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفى لفظ آخر ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة وقال عليه السلام مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة فى أرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى فى تقليبها من حيث لا تهتدى اليه المعرفة ولا يعرفها الا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى * والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة * قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات أخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب بالخير وتيسير

لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون وكما أن الكبر له انقسام على الجوارح والاعضاء تتشعب منه شعب فكذلك بعضها أكثف من البعض كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك الا أن العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والعزة غير الكبر ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه واكرامها أن لا يضعها الاغراض عاجلة دنيوية كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها فوق منزلتها (قال بعضهم للحسن ما أعظمك فى

الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفى مثل
هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لايخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من
دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شئ من مكايد
الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من
المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء
والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى أقبل
الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله
عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة (القلب الثانى) القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق
المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح
فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتى منه ويستكشف وجه الصواب
فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى
فيستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن
مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور
والامانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور
اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره
فيصير العقل كالعين التى ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب
حتى لايبقى للقلب مكان للتوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ماهو الحق فيه عمى عن الفهم
وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت
المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدر والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله
تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون
وبقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض
الشهوات كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله
وسقط امساك قلبه أو كالذى لايملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت
عند ظهور أسبابه أو كالذى لايملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذى
لايملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة
والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء
والمروءة والايمان ويسعى فى تحصيل مراد الشيطان (القلب الثالث) قلب تبدو فيه خواطر الهوى
فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر
فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع فى وجه الشهوة ويقبح
فعلها أو ينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب
فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا
التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك
غرضه أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك
عليك أهل الزمان أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا

نفسك قال لست بعظيم
ولكنى عزيز ولما كانت
العزة غير مذمومة
وفيها مشاكلة بالكبر
قال الله تعالى تستكبرون
فى الارض بغير الحق
فيه اشارة خفية لاثبات
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف الى الضعة
وقوف على صراط
العزة المنصوب على متن
نار الكبر ولا يؤيد فى ذلك
ولا يثبت عليه الأقدام
العلماء الراسخين والسادة
المقربين ورؤساء
الابدال والصديقين
(قال بعضهم) من
تكبر فقد أخبر عن نذالة
نفسه ومن تواضع فقد
أظهر كرم طبعه (وقال
الترمذى) التواضع
على ضربين الاول أن
يتواضع العبد لامر الله
ونهيه فان النفس لطلب
الراحة تتعلى عن أمره
والشهوة التى فيها

ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا الامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك على الشيطان و يقول له هل يهلك الامن اتبع لذة الحال ونسى العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد ثم تستثقل ألم الصبر عن شهوة ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر و وقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تترك لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى أن يغلب على القلب ماهو أولى به فان كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ماهو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى التقلب والانتقال من حزب الى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصى تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهى أيضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى وسلط عليه أقران السوء وألقى فى قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور و يضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فهو الهادى والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصى وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزى بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

* تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة يتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى

* (كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

تهوى فى نهيه فاذا وضع نفسه لامره ونهيه فهو تواضع والثانى أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتهت نفسه شيأ مما أطلق له من كل نوع من الانواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى * واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها * وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا عليه السلام فى أوطان القرب فيما روت عائشة رضى الله عنها فى الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة فظننت أنه

الحمد لله الذى صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن فى تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذى كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره (أما بعد) فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازى الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها فى سلك الشياطين وهى الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة كما أن الاخلاق الجميلة هى الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد وأين منه المرض الذى لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس فى مرضها الا فوت الحياة الفانية والعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب فى مرضها وفوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق فى معرفة عللها وأسبابها ثم الى تشمير فى علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير فى هذا الكتاب الى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتى فى بقية هذه الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلى فى تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التى بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التى بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال صلى الله عليه وسلم لجبرائيل عليه السلام ماذا قال لا أعلم حتى أسأل العليم فعرج ثم رجع فقال يا محمد هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو

أنه عند بعض أزواجه فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده فوجدته فى المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو يقول فى سجوده سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى وأقر بك لسانى وها أنا ذا بين يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم وقوله عليه السلام سجد لك سوادى وخيالى استقصاء فى التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلف ذرة منه عن السجود ظاهرا وباطنا ومتى لم يكن للصوفى حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سعادة اذا أقبلت جاءت بكليتها والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية (ومن أخلاق الصوفية) المداراة واحتمال الاذى من الخلق وبلغ من

لاتغضب وقيل يارسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أي الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضلهم ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن أسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت وقال أنس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس قال قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما هي تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فادخله على الله تعالى وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف في العبادة وروى أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه مم تضحك بأبي أنت وأمي

مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة من قبله وان بأصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به * وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الكروخي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى

يارسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت
أحق أن يهبنك يارسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال ياعدوات أنفسهن أتهبنني ولاتهبن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إيه
يا ابن الخطاب والذى نفسي بيده مالقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه
وسلم سوء الخلق ذنب لايغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه
أسفل درك جهنم (الآثار) قال ابن لقمان الحكيم لابيه ياأبت أى الخصال من الانسان خير قال الدين
قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت
أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن
الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يابنى اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو تقى نقى ولله ولى ومن
الشيطان برى وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه
أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد و يبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ فى
سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لاترقع
ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق
* وصحب ابن المبارك رجلا سيئ الخلق فى سفر فكان يحتمل منه و يداريه فلما فارقه بكى فقيل له فى
ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد الى أعلى الدرجات
وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتانى التصوف خلق
فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف وقال عمر رضى الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم
بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لاتنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لاتضر
معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله فى كتابه العزيز ان أكرمكم عند الله
أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الاسلام
حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله الا المصطفى صلى الله عليه
وسلم فاقرب الخلق الى الله عز و جل السالكون آثاره بحسن الخلق

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تكلموا فى حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته
ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ماخطر له وما كان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا
العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن
حسن الخلق بسط الوجه و بذل الندى وكف الاذى وقال الواسطى هو أن لايخاصم ولا يخاصم من شدة
معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرمانى هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو أن يكون من
الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو ارضاء الخلق فى السراء والضراء وقال أبو عثمان
هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافأة
والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لايتهم الحق فى الرزق و يثق به و يسكن الى الوفاء
بما ضمن فيعطيه ولا يعصيه فى جميع الامور فيما بينه و بينه وفيما بينه و بين الناس وقال على رضى الله
عنه حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن
منصور هو أن لايؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال أبو سعيد الخراز هو أن لايكون لك هم
غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع بعض

الله عليه وسلم من
أحسن الناس خلقا
وما مسست خزا قط ولا
حريرا ولا شيأ كان
ألين من كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ولا شممت مسكا قط ولا
عطرا كان أطيب من
عرق رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلمداراة
مع كل أحد من الاهل
والاولاد والجيران
والاصحاب والخلق كافة
من أخلاق الصوفية
و باحتمال الاذى يظهر
جوهر النفس وقيل
لكل شئ جوهر وجوهر
الانسان العقل وجوهر
العقل الصبر (أخبرنا)
أبو زرعة طاهر عن أبيه
الحافظ المقدسي قال أنا
أبو محمد الصريفيني قال أنا
أبو القاسم عبيد الله بن
حبابة قال أنا أبو القاسم
عبد الله بن محمد بن عبد
العزيز قال حدثنا على
ابن الجعد قال أنا شعبة

الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه اذ قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا أن تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها فعل الجميل والقبيح والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك فى الباطن أربعة أركان لابد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق هى قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وأما قوة الغضب فحسنها فى أن يصير انقباضها وانبساطها فى حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت اشارة الحكمة أعنى اشارة العقل والشرع وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هى القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضى لاشارة العقل والغضب هو الذى تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذى يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه

عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من هو قال ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن الذى يعاشر الناس ويصبر على اذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم (وفى الخبر) أيعجز أحدكم أن يكون كابى ضمضم قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم قال كان اذا أصبح قال اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى فمن ضربنى لا أضربه ومن شتمنى لا أشتمه ومن ظلمنى لا أظلمه (وأخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب قال أنا أبو الفتح الهروى قال حدثنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال

بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف
والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى
النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات
فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى افراطها عند
الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم
الحكمة فاذا أمهات الاخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة
للنفس بها يدرك الصواب من الخطا في جميع الاحوال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها
يسوس الغضب والشهوة ويحملها على مقتضى الحكمة ويضبطها في الاسترسال والانقباض على
حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب
قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ
من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق
الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والحقد والخداع والدهاء ومن
تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل
فقد يكون الانسان غمرا في شئ دون شئ والفرق بين الحمق والجنون أن الاحمق مقصوده صحيح ولكن
سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض وأما المجنون
فانه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وايثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم
والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي
أخلاق محمودة وأما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب
وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول
الحق الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة
والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها الى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل
للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة
والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو
قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق
أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن
هذه الجملة كلها واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان
اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الاول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب اليه فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد أشار القرآن الى هذه الاخلاق
في أوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو
ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة
بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد
وصف الله تعالى الصحابة فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا

ثنا ابن أبي عمر قال ثنا
سفيان عن محمد بن
المنكدر عن عروة عن
عائشة رضي الله عنها
قالت استأذن رجل
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا عنده
فقال بئس ابن العشيرة
أو اخو العشيرة ثم أذن
له فألان له القول فلما
خرج قلت يا رسول الله
قلت له ما قلت ثم ألنت
له القول قال يا عائشة
ان من شر الناس من
يتركه الناس أو يدعه
الناس اتقاء فحشه
(وروى) أبو ذر عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اتق الله
حيثما كنت وأتبع
السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق
حسن فاشئ يستدل
به على قوة عقل الشخص
ووفور علمه وحلمه كحسن
المداراة والنفس لا تزال
تشمئز ممن يعكس مرادها

فليس الكمال فى الشدة بكل حال ولا فى الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه

(بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجرى هذا المجرى والثانى انهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمى فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والتخلية والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمى واختياره فى أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان أحدهما قوة الغريزة فى أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجود فى الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا اذ الصبى فى مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثانى أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب * الاولى وهو الانسان المغفل الذى لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقى كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه فى أقرب زمان * والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره فى عمله فأمره أصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ فى نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس فى نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم * والثالثة أن يعتقد فى الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا تكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال * والرابعة أن يكون مع نشوه على الرأى

ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس وردطيشها ونفورها * وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء (وروى جابر) رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب (وروى) أبو مسعود الانصارى رضى الله عنه قال أتى النبى عليه السلام برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (وعن بعضهم) فى معنى لين جانب الصوفية

هينون لينون أيسار بنو يسر
سواس مكرمة ابناء ايسار

الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة فى كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن ان
ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفى مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب
الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثانى جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع
جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر الذى استدلوا به وهو قولهم ان الآدمى مادام حـ
فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصـ
من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهى ضرورية فى الجبـ
فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضـ
بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه مايهلكه ولهلك ومهما بقى أصل الشهوة فيبقى لامحالة حب المـ
الذى يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية
المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب فى صفة الغضب حـ
الحمية وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقا
للعقل ولذلك قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة
الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليـ
السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكـ
بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الاحقا فكان عليه السلام لا يخرجـ
غضبه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ فـ
الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل
الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيـ
لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل أن ذ
ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذى يدل على أن المطلوب هو الوسـ
الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد أثنى
تعالى عليه فقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يـ
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمـ
قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال فى الغضب أشداء على الكفار رحمـ
بينهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلا
القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبـ
أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أى لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكو
حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما
الحريص على الامساك مصروف القلب الى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جـ
واذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الـ
لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتـ
والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفى الامور ذ
هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم امـ
المال رأسا ولا يرخص له فى شئ منه لانه لو رخص له فى أدنى شئ اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضـ
وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعو

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا
ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(وروى) أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله المالينى قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبى طلحة الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله الحموى السرخسى قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندى قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن

الاعتدال الصواب له أن يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر لمن يدفانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وان امساكه بحق

﴿بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة﴾

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين ٭ أحدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاسباب وربما يحصل بالتعلم (والوجه الثانى) اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعنى به حمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله دون الذى يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية فى النفس مالم تتعود النفس جميع العادات الحسنة ومالم تترك جميع الافعال السيئة ومالم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى أن يكون ذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة فلما كانت العبادات تكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والاخلاق أقوى وأرسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها فى القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شئ أحب اليه من لقاء الله عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذى يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذى يوصله الى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغى أن يستبعد مصير الصلاة الى حد تصير هى قرة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضى فى النفس عجائب أغرب من ذلك وانا قد نرى الملوك المنعمين فى أحزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير

الدارمى قال أنا محمد بن أحمد بن أبى خلف قال ثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن اسحق قال حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفى رجلى نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحنى نفحة بسوط فى يده وقال بسم الله أوجعتنى قال فبت لنفسى لائما أقول أوجعت رسول الله قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا اذا رجل يقول أين فلان قلت هذا والله الذى كان منى بالامس قال فانطلقت وانا متخوف فقال لى انك وطئت بنعلك على رجلى بالامس فاوجعتنى فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها ٭ ومن أخلاق

قمار مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحلقها فى جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وتقويه فى الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه فيقطع الواحد منهم اربا اربا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصبر على الانكال ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف واذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل الى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فأما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر ربانى وميله الى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب شئ سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان أحب ذلك الشئ لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر فى القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجرى على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكى الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة فى نفسه فيصدر منه فى الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه فى الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذى جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه أثر الى القلب ثم انخفض من القلب الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له الا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له الا ذلك وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة فى يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصى يجر بعضها الى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم

الصوفية الايثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود * قال أبو يزيد البسطامى ماغلبنى أحد ماغلبنى شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لى يا أبا يزيد ماحد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وماحد الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (وقال ذو النون) من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار بالقوت (روى) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم

أصل الايمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره فى فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيأ فشيأ على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة وكذلك الطاعة الواحدة فلا يحس تأثيرها فى تزكية النفس وتطهيرها فى الحال ولكن لا ينبغى أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة الا ولها أثر وان خفى فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى يوف نفسه يوما فيوما الى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه وكذلك يستهين صغائر المعاصى ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى الى أن يختطفه الموت بغتة أو تترا كم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه عن مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال على رضى الله عنه ان الايمان ليبدو فى القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت فى حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو فى غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة فى القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

(بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال فى الاخلاق فى مزاج البدن هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال فى مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس فى علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن فى علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وانما تعترى المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أى بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن فى الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغى أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغى أن تسعى لجلب ذلك اليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخى ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم

ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله انى جائع فاطعمنى فبعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أزواجه هل عندكن شئ فكلهن قلن والذى بعثك بالحق نبيا ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من

بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف
ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بدله من معيار يعرف به مقدار النافع منه
فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التى تعالج بها الاخلاق لا بدلها من معيار وكما
معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فان
كانت من حرارة فيعرف درجتها أهى ضعيفة أوقوية فاذا عرف ذلك التفت الى أحوال البدن
وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطب
نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغى أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف فى فن
مخصوص وفى طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى
بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم
وأمات قلوبهم بل ينبغى ان ينظر فى مرض المريد وفى حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة
ويبنى على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة
وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام ومقارفا لمعصية فيأمره أولا أن يتركها فاذا تزين ظاهره
بالعبادات وطهر عن المعاصى الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه
وأمراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه
حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج الى الاسواق
للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه
المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان
رأى الغالب عليه النظافة فى البدن والثياب ورأى قلبه مائلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه استخدمه فى
تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه
رعونته فى النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة
لا فرق بينهم وبين العروس التى تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد
صنما فهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى فى ثوبه شيأ سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة
يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا
بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغى أن ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر أخف
منه كالذى يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبى
المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من
ذلك بالترغيب فى الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب فى الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه
بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا رأى شره الطعام غالبا عليه
ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها
حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز
عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة
على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج فى مبدأ الارادة
أنفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء
خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يعود
نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه

الانصار فقال أنا يارسول
الله فاتى به منزله فقال
لاهله هذا ضيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فاكرميه ولا تدخرى
عنه شيأ فقالت ماعندنا
الاقوت الصبية فقال
فقومى عليهم عن قوتهم
حتى يناموا ولا يطعمون
شيأ ثم أسرجى فاذا أخذ
الضيف ليأكل فقومى
كانك تصلحين السراج
فأطفئيه وتعالى نمضغ
ألسنتنا لضيف رسول
الله حتى يشبع ضيف
رسول الله فقامت الى
الصبية فعللتهم حتى ناموا
عن قوتهم ولم يطعموا
شيأ ثم قامت فأثردت
وأسرجت فلما أخذ
الضيف ليأكل قامت
كأنها تصلح السراج
فاطفأته فجعلا يمضغان
ألسنتهما لضيف رسول
الله وظن الضيف أنهما
ياكلان معه حتى
شبع الضيف و باتا

الصبر و يكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل و بعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب فاراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة و بعض الشيوخ فى ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله و رمى به فى البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتى فى بقية الكتب وانما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ماتهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلمة واحدة فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها و يكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى أن يصبر و يستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التى للآدمى مايتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار أوغيرها بل بمعرفة الاشياء على ماهى عليه وأصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذى جعلها أشياء فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله عز وجل فكانه لم يعرف شيأ وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم الى قوله أحب اليكم من الله و رسوله و جهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره فمن عنده شئ أحب اليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها من الخبز والماء فهى مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة الا ماشاء الله الا أن من الامراض مالا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات و باطنها عادات ومراآة فهذه علامات أصول الامراض وأما علامات عودها الى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر فى العلة التى يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج

طاوين فلما أصبحوا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وقال) أنس رضى الله عنه أهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به الى جاره فتداوله سبعة أنفس ثم عاد الى الاول فانزلت الآية لذلك و روى أن أبا الحسن الانطاكى اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الرى وله أرغفة معدودة لا تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم ايثارا منه على

البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون امساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير مستحق ألذ عندك وأخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك من الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشئ مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوفة الى أسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل الى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد فيها على الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق (الاول) أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده *(الثاني)* أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى

نفسه (وحكى) عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لي ومعي شئ من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار الى نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمي انطلق به اليه فجئت اليه فاذا هو هشام ابن العاص فقلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو أيضا قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو أيضا قد مات (وسئل) أبو الحسن البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الانصار في قوله والذين تبوؤا الدار والايمان قال ابن عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما

فالح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة و يقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى على شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا و يعرفنا عيوبنا و يكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن فلا يدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا و يبصرنا بعيوبنا و يشغلنا بمداواتها و يوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدى المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه و يخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به و ينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه و يعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شئ منه فليتفقد نفسه و يطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب * قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وان مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

(اعلم) أن ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان

ولو كان بهم خصاصة يعني جوعا وفقرا (قال) أبو حفص الايثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة (وقال) بعضهم الايثار لا يكون عن اختيار انما الايثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذي معرفة (وقال يوسف) بن الحسين من رأى لنفسه ملكا لا يصح منه الايثار لانه يرى نفسه أحق بالشئ برؤية ملكه انما الايثار عمن يرى الاشياء كلها للحق فمن وصل اليه فهو أحق به فاذا وصل شئ من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها الى صاحبها أو يؤديها اليه وقال بعضهم حقيقة الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا أقل خطرا من

الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الايمان بهذا الامر فى القرآن
والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأو
وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وس
المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبي
أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا دا
حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيس
عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قد
من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر
جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عل
وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعض
بعضا الا أن يغفر الله تعالى ويستره وقال سفيان الثورى ما عالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة
وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخ
مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجمو
بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والريا
على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جمي
الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوة ومن قلة المنام صفو الارادة ومن قلة الكلام السلامة
الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء وال
على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلا
جردت عليها سيوف الانتقام من قلة الطعام تجف المعدة فيقل النوم وتنفتح العين فيقدر على التهجد
من العينين عرقان الى المعدة فاذا امتلأت المعدة أبسطت العينين فينام الانسان كالسفرة اذا أبسط
فهذا قلة المنام وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوا
فى سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خ
روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتنتشر فى مسالك الطاعات كالفرس الفارة فى الميدان وكالملك المت
فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها و
الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أ
فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه
الفوائد وقال جعفر بن محمد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو الح
الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد م
على الخبز فهوى وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوس
عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى ز
اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعته
له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملو
فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد أر
ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلو
فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى السا

أن يكون لايثارها محل
أو ذكر ومن هذا المعنى
ما نقل أن بعضهم رأى
أخاله فلم يظهر البشر
الكثير فى وجهه فأنكر
أخوه ذلك منه فقال
يا أخى سمعت أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا التقى المسلمان
ينزل عليهما مائة رحمة
تسعون لأكثرهما بشرا
وعشرة لأقلهما بشرا
فاردت أن أكون أقل
بشرا منك ليكون لك
الاكثر (أخبرنا) الشيخ
ضياء الدين أبو النجيب
اجازة قال أنا أبو حفص
عمر بن الصفار النيسابورى
قال أنا أبو بكر أحمد بن
خلف الشيرازى قال
أنا الشيخ أبو عبد الرحمن
السلمى قال سمعت أبا
القاسم الرازى يقول
سمعت أبا بكر بن أبى
سعدان يقول من صحب
الصوفية فليصحبهم بلا
نفس ولا قلب ولا ملك

فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فتى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمنعك الا من كرامتك علي فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المعاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما أطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهى به الحلال هو بعينه الذي يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم

فمن نظر الى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده (وقال سهل بن عبد الله) الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا وقال رويم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار (قيل) لما سعي بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل له الى ماذا تبادر فقال أوثر اخواني بفضل حياة ساعة وقيل دخل الروذباري دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفي وله باب مغلق أكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يباع فانفذوه

يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات
عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم فى الدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها أشرا وبطرا حتى
تصير ثملة كالسكران الذى لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من
القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا
بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله
السلامة فاولوا الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية
بطرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية
قابلة لاثر الذكر فعلموا أن النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ففطموها عن
ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب
ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب عذب فى عرصات القيامة فخلصوا أنفسهم
من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها
والانس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازى اذا قصد تأديبه ونقله من
التوثب والاستيحاش الى الانقياد والتأديب فانه يحبس أولا فى بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به
الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس
بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس
بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء
والذكر والدعاء ثانيا فى الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا
وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد فى البداية ثم يتنعم به فى النهاية كالصبى يفطم عن الثدى وهو
شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام
الذى يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه فى الصبر عليه وغلبه الجوع
تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدى لم يرجع اليه فيهجر الثدى ويعاف
اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك
قهرا فتمنع عن الاسراح الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك فى موضعها فتقف
فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والانس
والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت اذ قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقه فاذا علم أنه من
أحب شيأ يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك
يصحبه فى القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حياة
الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة فى سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة أو
دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد أقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة
فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله على رضى الله عنه وطريق
المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والاصل فيه أن يترك كل واحد ما به
فرحه من أسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول فى الوعظ أو بالعز فى القضاء والولاية
أو بكثرة الاتباع فى التدريس والافادة فينبغى أن يترك أولا ما به فرحه فانه ان منع عن شئ من ذلك
فقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك

الى السوق واتخذوا رفقا
من الثمن وقعدوا فى
الدار فدخل صاحب
المنزل ولم يقل شيأ ودخلت
امرأته وعليها كساء
قد دخلت بيتنا فرمت
بالكساء وقالت هذا أيضا
من بقية المتاع فبيعوه
فقال الزوج لها لم تكلفت
هذا باختيارك قالت
اسكت مثل الشيخ
يباسطنا ويحكم علينا
ويبقى لنا شئ ندخره عنه
(وقيل) مرض قيس بن
سعد فاستبطأ اخوانه فى
عيادته فسأل عنهم فقالوا
انهم يستحيون عما لك
عليهم من الدين فقال
أخزى الله مالا يمنع
الاخوان عن الزيارة
ثم أمر مناديا ينادى من
كان لقيس عليه مال فهو
منه فى حل فكسرت
عتبة داره بالعشى لكثرة
عواده (وقيل) أتى رجل
صديقا له ودق عليه
الباب فلما خرج قال

مهلك فى حقه ثم اذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس حتى يقطع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت

(بيان تمييز علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصى ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق * قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله أولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده * وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وذكر أن صفات المؤمنين هى حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما أن يفشى على أخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو أن يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته فى الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى بالسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى بالرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يمشى ومعه أنس فأدركه

لماذا جئتنى قال لاربعمائة درهم دين على فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه ودخل الدار باكيا فقالت امرأته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة فقال انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج أن يفاتحنى به (وأخبرنا) الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا محمد بن محمد امام جامع أصفهان قال ثنا أبو عبد الله الجرجانى قال أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمداباذى قال ثنا أبو البخترى قال ثنا أبو أسامة قال ثنا بريد بن أبى بردة عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاشعريين اذا أرملوا فى الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموا فى اناء واحد بالسوية

اعرابى فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجرانى غليظ الحاشية قال أنس رضى الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر باعطائه ولما أكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم أحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم ويحكى أن ابراهيم بن أدهم خرج يوما الى بعض البوادى فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار الى المقبرة فقال الجندى انما أردت العمران فقال هى المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ما قال له فقالوا هذا ابراهيم بن أدهم فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال انه لم يسألنى عبد من أنت بل قال أنت عبد فقلت نعم لانى عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل وكيف وقد ظلمك فقال علمت اننى أوجر على ما نالنى منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر ودعى أبو عثمان الحيرى الى دعوة وكان الداعى قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لى وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثانية وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الثالثة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فاكب على رجليه وقال يا أستاذ انما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال ان الذى رأيت منى هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعى أجاب واذا زجر انزجر وروى عنه أيضا انه اجتاز يوما فى سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيأ فقيل ألا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب انتهى وروى أن على بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل الى السواد اذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان اذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامى فدخل ذات يوم فأغلق الحمامى الباب ومضى فى بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقى الى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى على بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدم الحمام فقال له قم واحمل الى الماء فقام على بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامى فرأى ثياب الرستاقى فسمع كلامه مع على بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج على بن موسى سأل عن الحمامى فقيل له انه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغى له أن يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء وروى أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسى يستعمله فى الخياطة فكان اذا خاط له شيأ حمل اليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسى فلم يجده فدفع الى تلميذه الاجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ عرف انه زائف فرده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره فقال بئس ما عملت هذا المجوسى يعاملنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها فى البئر لئلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه * وسئل سهل عن حسن الخلق فقال أدناه احتمال الاذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذ أتته

فهم منى وأنا منهم (وحدث) جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أراد أن يغزو قال يا معشر المهاجرين والانصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم أحدكم اليه الرجل والرجلين والثلاثة فما لاحدكم من ظهر جمله الا عقبة كعقبة أحدهم قال فضممت الى اثنين أو ثلاثة ما لى الا عقبة كعقبة أحدهم من جمله (وروى) أنس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبى عليه السلام بينه وبين سعد بن الربيع فقال له أقاسمك مالى نصفين ولى امرأتان فاطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك فاحمل الصوفى على الايثار الاطهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله

جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لاروع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقيل ان أويسا القرني كان اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا اخوتاه ان كان ولا بد فبالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وهو لا يجيبه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في نفسك شيء فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذونك وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك اجابتي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال أمض فأنت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأتعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه بسم الله عند أخذه وان لا يأكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وان لا يسرع في الاكل وأن يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بأن يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما

الله تعالى صوفيا الا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك ان يصير صوفيا الآن السخاء صفة الغريزة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن يوقى الشح وحكم بالفلاح لمن أنفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين والنبي عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا اذا كان مطاعا فأما كونه موجودا في النفس غير مطاع فانه لا ينكر ذلك

رأى على صبى ثوبا من ابريسم أوملون فينبغى ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبى عن الصبيان الذين
عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبى
أهمل فى ابتداء نشوه خرج فى الاغلب ردىء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول و
وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل فى المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث
الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التى فيها
العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس
فى قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبى خلق جميل وفعل محمود فينبغى أن يكرم
ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فان خالف ذلك فى بعض الاحوال مرة واحدة فينبغى
أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور أن يتجاسر احد على مثله ولاسيما
ستره الصبى واجتهد فى اخفائه فان أظهر ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فعند ذلك
ان عاد ثانيا فينبغى أن يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان
عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع
الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه
الا أحيانا والام تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح وينبغى أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل
يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم
يعود الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم وينبغى أن يمنع من كل ما يفعله فى خفية فانه لا يخفيه الا وهو
يعتقد أنه قبيح فاذا تعود ترك فعل القبيح ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب
عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشى ولا يرخى يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع
من أن يفتخر على أقرانه بشىء مما يملكه والداه أو بشىء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود
التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا
بداله حشمة ان كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة فى الاعطاء لا فى الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة
ودناءة وان كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه
يبصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما
ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اضر من
آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر أيضا وينبغى أن يعود أن لا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا
يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه
بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على
الوقاحة وانه فعل أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك فى الصغر ويمنع
أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره
ممن هو أكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام
وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من
القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغى اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ
والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب
المماليك والنسوان وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من
تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب فان منع الصبى من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه

ويبطل

لانه من لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها الترابى
وفى التراب قبض وامساك
وليس ذلك بالعجب من
الآدمى وهو جبلى فيه
وانما العجب وجود
السخاء فى الغريزة وهو
لنفوس الصوفية الداعى
لهم الى البذل والايثار
والسخاء أتم وأكمل
من الجود ففى مقابلة
الجود البخل وفى مقابلة
السخاء الشح والجود
والبخل يتطرق اليهما
الاكتساب بطريق
العادة بخلاف الشح
والسخاء اذا كانا من ضرورة
الغريزة فكل سخى
جواد وليس كل جواد
سخيا والحق سبحانه
وتعالى لا يوصف
بالسخاء لان السخاء من
نتيجة الغرائز والله تعالى
منزه عن الغريزة والجود
يتطرق اليه الرياء ويأتى
به الانسان متطلعا الى
عوض من الخلق أو

ويبطل ذكاؤه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا وينبغى أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبى وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك فى الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الامور فيذكر له أن الأطعمة أدوية وانما المقصود منها أن يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وان الدنيا كلها لا أصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر فى كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه فى الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الامور هى التى ينبغى أن تراعى فان الصبى بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل بن عبد الله التسترى كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم الليل فانظر الى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوما ألا تذكر الله الذى خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر الى الله شاهدى فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع فى قلبى حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ثم قال لى خالى يوما يا سهل من كان الله معه وناظرا اليه وشاهده أيعصيه اياك والمعصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بى الى المكتب فقلت انى لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب اليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى الى أهل البصرة لاسأل عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسألته عنها فأجابنى فأقمت عنده مدة انتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فافطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا أدم فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليل كله ما شاء الله تعالى

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة)

اعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة فى الخرزة وقويت ارادته فى بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من

الحق بمقابل ما من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار ويجوز أن يكون قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أنه نفى فى الآية الاطعام لطلب الاعواض حيث قال لا نريد بعد قوله لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تنجذب الى مراد الحق لا العوض وذلك أكمل السخاء من أطهر الغرائز وروت أسماء بنت أبى بكر قالت قلت

غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من
الجوهرة الا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا ألف الخرزة فلا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى
الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة
عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنبهين
على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا
في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب
الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل
بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا
والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من
نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من
تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء
القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق * أما الشروط التي لا بد من
تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم
الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب
المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو
مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول
والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك
التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق
صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة
الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب
عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء
الى مذهب معين أصلا وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم
على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر
المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن
وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولا ثم الترقي منها الى
أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا ثم الترقي الى أغوارها وأسرارها فاذا قدم
هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة
فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل
فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه
لا محالة فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه
كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد
بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض
أمره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيأ ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطأ
شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه

يا رسول الله ليس لي من
شيء الا ما أدخل علي
الزبير فاعطي قال نعم
لا توكي فيوكى عليك
* ومن أخلاق الصوفية
التجاوز والعفو ومقابلة
السيئة بالحسنة (قال)
سفيان الاحسان أن
تحسن الى من أساء اليك
فان الاحسان الى المحسن
متاجرة كنقد السوق
خذ شيأ وهات شيأ وقال
الحسن الاحسان أن تعم
ولا تخص كالشمس والريح
والغيث (وروى) أنس
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رأيت
قصورا مشرفة على الجنة
فقلت يا جبرائيل لمن
هذه قال للكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس
(روى) أبو هريرة رضي
الله عنه أن أبا بكر رضي
الله عنه كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم في
مجلس فجاء رجل فوقع
في أبي بكر وهو ساكت

لا يدرى من
م اشتياقه ال
ح من الارا
يته والمتبو
اتهم وغاص
له فان طلب
ادة والجه
طلوب محجو
قبه متنبه
وطالابد
من الاع
التى لابد
سببه ز
دافاغشنا
ما يرفع حج
اليه قلبه
وآيثار الجمو
تقليد بان
رص فى تحقي
شف له حق
ادلة فان غل
ط المريد الا
لم وتصميم ال
و به ولم يه
أسرار القر
م الترقى منها
سرارها فاذا
ارضا لحاله
لى سواء ال
يطان الى ط
ستقل بنفس
فعتصم ال
بحيث يفر
ان نفعه فى
على معتص

مجميه

بحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهى أربعة أمور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا التحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه وأما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التسترى ما صار الأبدال ابدالا الا بأربع خصال باخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع فى تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتى بيان وجه التدريج فيه فى كتاب كسر الشهوتين وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك الى الصفاء الذى حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب فقد قيل فى صفة الابدال ان أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء وأما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغى أن لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب فى حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد فى كل حال أكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة فى بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه فى جيبه أو يتدثر بكساء أو ازار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب فى قطعها أن يشتغل بالأسهل فالاسهل وهى تلك الصفات أعنى أسرار العلائق التى قطعها فى أول الارادة وآثارها أعنى المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصى فلابد أن يخلى الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك وضعف بالمجاهدة ولم يبق فى قلبه علاقة تشغله بعد ذلك يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها أعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلى للحصرى ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التى تأتينى

والنبى عليه السلام يتبسم ثم رد أبو بكر عليه بعض الذى قال فغضب النبى وقام فلحقه أبو بكر فقال يارسول الله شتمنى وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ماقال فغضبت وقمت فقال انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان فلم أكن لاقعد فى مقعد فيه الشيطان يا أبابكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة الازاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغى بها وجه الله الازاده الله بها كثرة (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا الكروخى قال أنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى

فيها الى الجمعة الاخرى شئ غير الله تعالى فحرام عليك أن تاتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق
الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له الا هم
واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال
فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه
فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه
حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب
عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب
حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ من كل ما سواه
لان القلب اذا شغل بشئ خلا عن غيره أى شئ كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة
عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما
قد مضى من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة
وكان أيضا نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته
الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هى وما معنى قولنا الله ولأى معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه
عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما
كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهى منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى
منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالى به ويفزع الى ذكر
الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع
عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك
فيه فينبغى أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد فى قلبه من الاحوال من فترة أو نشاط أو التفات الى
علقة أو صدق فى ارادة فينبغى أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحد ثم ان شيخه
ينظر فى حاله ويتأمل فى ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق
فينبغى أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور ما يكشف له من ربه حقيقته
وان علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل
قريب من فهمه وينبغى أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطاره
فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل
بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه
لم يخل عن أمثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان أخطأ كان
من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقى أصل الايمان وظاهر
الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر فى العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل
يجب على الشيخ أن يتفرس فى المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر
والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله
بركتهم فان العاجز عن الجهاد فى صف القتال ينبغى أن يسقى القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم
القيامة فى زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه
قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من أوائل الكرامات
ومهما التفت الى شئ من ذلك وقنعت به نفسه كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا بل ينبغى أن يلازم

قال أنا أبو عيسى الترمذى
قال ثنا أبو هشام الرفاعى
قال ثنا محمد بن فضيل
عن الوليد بن عبد الله بن
جميع عن أبى الطفيل
عن حذيفة قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تكونوا أمعة
تقولون ان أحسن
الناس احسنا وان
ظلموا ظلمنا ولكن
وطنوا أنفسكم ان أحسن
الناس ان تحسنوا وان
أساؤا فلا تظلموا (وقال)
بعض الصحابة يا رسول
الله الرجل أمر به فلا
يقرينى ولا يضيفنى فيمر بى
أفأجزيه قال لا أقره
وقال الفضيل الفتوة
الصفح عن عثرات
الاخوان وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ليس الواصل المكافئ
ولكن الواصل الذى
اذا قطعت رحمه وصلها
(وروى) عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من

جملة عمره ملازمة العطشان الذى لا ترويه البحار ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة * قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلنى على عمل أعمله أجد قلبى فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لى لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بدلى من ذلك قال ولا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بدلى من ذلك قال لا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بدلى من معاملتهم قال لا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قال قلت هذه هى العلة قال ياهذا أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن يخلو قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا مالا يكون أبدا فاذا منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطريق المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى مالا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا واذا انكشف للمريد شئ من ذلك فأعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى أن يتفكر فى كيفية ايراد تلك المعانى وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع فربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده اليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر فى أقرانه من يكون أحسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه كيد القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذى عضدنى وأيدنى بمن وازرنى على اصلاح عباده كالذى وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاءه من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففى كثرتهم استرواح وتناصر فينبغى أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغى أن يكون المريد على حذر منه فانه أعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين أن الشر قديم فى الطباع وان ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته فى التدريج الى لقاء الله تعالى فأما تفصيل الرياضة فى كل صفة فسيأتى فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذى هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب فى كسر شهوة البطن والفرج وكتاب فى كسر شره الكلام وكتاب فى كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب فى ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب فى كسر حب المال وذم البخل وكتاب فى ذم الرياء وحب الجاه وكتاب فى ذم الكبر والعجب وكتاب فى مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ماذكرناه فى الكتاب الاول هو شرح صفات القلب الذى هو معدن المهلكات والمنجيات وماذكرناه فى الكتاب الثانى هو اشارة كلية الى

مكارم الاخلاق ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه الصوفى يكافوه فى خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفى منازلات الهية ومواهب قدسية يرتوى منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور اذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة أى مضيئة مشرقة مستبشرة أى فرحة قيل أشرقت من طول ما اغبرت فى سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه

طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

(كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يأثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته وأقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه (أما بعد) فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ تتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة الى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول تجمعها وهو بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه

مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أى نضارته وبريقه يقال أنضر النبات اذا زهر ونور وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الازلى واذا أشرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود واذا تأثر الوجه بسجود الظلال وهى القوالب في قول الله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال كيف لا يتأثر بشهود الجمال (أخبرنا) ضياء الدين

وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وأبي هريرة الحديث الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وقال الحسن عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى يبغض القارئ السمين من الشبع وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معا واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته وذكر المعا كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعا وليس المعنى زيادة أمعاء المنافق على أمعاء المؤمن وقال الحسن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروي ان أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له

عبد الوهاب بن علي قال أنا الكروخي قال أنا الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وأن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في اناء أخيك (وقال) سعد ابن عبد الرحمن الزبيدي يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك فاما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كانه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله ومن اخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله

اقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا فى الدنيا وكانت عائشة رضى الله عنها
تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فامسح
بطنه بيدى وأقول نفسى لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة
اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدنى استحيى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم فاصبر أياما
يسيرة أحب الى من أن ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ أحب الى من اللحوق بأصحابى واخوانى
قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه قال أنس جاءت فاطمة رضوان الله
عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى
حتى آتيك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ
ثلاثة أيام وقال أبو هريرة ما أشبع النبى صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى
فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة وان أبغض
الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها الا كانت له درجة فى الجنة (وأما الآثار)
فقد قال عمر رضى الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة نتن فى الممات وقال شقيق البلخى العبادة
حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أى شئ تخافين أتخافين أن
تجوعى لا تخافى ذلك أنت أهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكان كهمس
يقول الهى أجعتنى وأعريتنى وفى ظلم الليالى بلا مصباح أجلستنى فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى وكان فتح
الموصلى اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهى ابتليتنى بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأى
عمل أؤدى شكر ما أنعمت به على وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له
غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض وكان
الفضيل بن عياض يقول الهى أجعتنى وأجعت عيالى وتركتنى فى ظلم الليالى بلا مصباح وانما تفعل ذلك
بأوليائك فبأى منزلة نلت هذا منك قال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة
وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفى التوراة اتق الله واذا
شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائى أحب الى من قيام ليلة الى الصبح
وقال أيضا الجوع عند الله فى خزائنه لا يعطيه الا لمن أحبه وكان سهل بن عبد الله التسترى يطوى نيفا
وعشرين ليلة لا يأكل وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافى
القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أكله وقال لم ير الاكياس
شيأ أنفع من الجوع فى الدين والدنيا وقال لا أعلم شيأ أضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضعت
الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت المعصية والجهل فى الشبع وقال ما عبد الله بشئ أفضل من مخالفة الهوى
فى ترك الحلال وقد جاء فى الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة
فقال لا يأخذ الزيادة حتى يكون الترك أحب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها
ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال أبدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت
والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من
جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا ما
شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد

صلى الله عليه وسلم اخبار
واخلاق الصوفية
تحاكى اخلاق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وكان يقول عليه الصلاة
والسلام اما انى أمزح
ولا أقول الا حقا وروى
ان رجلا يقال له زاهر بن
حرام وكان بدويا وكان
لا يأتى الى رسول الله
الا جاء بطرفة يهديها الى
رسول الله فجاء يوما من
الايام فوجده رسول الله
فى سوق المدينة يبيع
سلعة له ولم يكن أتاه ذلك
اليوم فاحتضنه النبى عليه
السلام من ورائه بكفيه
فالتفت فابصر النبى عليه
السلام فقبل كفيه فقال
النبى عليه السلام من
يشترى العبد فقال اذا تجدنى
كاسدا يا رسول الله فقال
ولكن عند الله ربيح ثم
قال عليه السلام لكل
أهل حضر بادية وبادية
آل محمد زاهر بن حرام
(وأخبرنا) أبو زرعة

ما امر على وجه الارض أحد يشرب من هذا الماء حتى يروى فيسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم بأى قيد اقيد نفسى قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخماد العز وترك الذكر وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة وأكسرها بترك زى الاغنياء وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى أن الله تعالى ما صافى أحدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى الا بالجوع وقال أبو طالب المكى مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى على فقد المناجاة واذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولى الله ادع الله تعالى لى فانى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى بل كان اذا حضر لى شئ أكلته من غير فكر وخاطر وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل أربعين يوما الثلاثين ثم عشرا على ما ورد به القرآن لانه أمسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لاجل ذلك

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغى أن يعظم الاجر فى كل ما يتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الاشياء المكروهة وما يجرى مجراه فاعلم أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لكراهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه فى خاصية من الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء فى الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح ذلك لك ان أردت ان ترتقى من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول فى الجوع عشر فوائد (الفائدة الاولى) صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبى اذا أكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطئ الفهم والادراك وقال أبو سليمان الدارانى عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى وقال صلى الله عليه وسلم أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شئ زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلى ما جعت لله يوما الا رأيت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة

طاهر بن الحافظ المقدسى عن أبيه قال أنا المطهر ابن محمد الفقيه قال أنا أبو الحسن قال أنا أبو عمرو ابن حكيم قال أنا أبو أمية قال ثنا عبيد بن اسحق العطار قال ثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ابن الناقة قال أقول لك احملنى على جمل وتقول أحملك على ابن الناقة فقال عليه السلام فالجمل ابن الناقة (وروى صهيب) فقال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكل فقال أصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال أتأكل من التمر وانت رمد فقلت اذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه

وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامى الجوع سحاب فاذا جاع ال
أمطر القلب الحكمة وقال النبى صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والمباعد من الله عز و
الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قل
ومن بات فى خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح (الفائدة الثانية) رقة القلب وصفاؤه الذى
يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن الق
لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق فى بعض الاحوال فيعظم
بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه وقال أبو سليمان الدارانى أحلى ما تكو
العبادة اذا التصق ظهرى ببطنى وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويري
يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمى وغلظ فاذ
القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية (الفائدة الثالثة) الان
والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر الن
ولا تذل بشئ كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وض
حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها ومالم يشاهد الانسان ذل نفسه و
لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه
العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولاجل ذل
عرضت الدنيا وخزائنها على النبى صلى الله عليه وسلم قال لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فاذا
صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع و
والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب
بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر (الفائدة الر
ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد ال
لا يشاهد بلاء من غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة
جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمه
ينبغى أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذى يهيج الخوف فمن لم يكن فى ذلة
ولا قلة ولا بلاء نسى عذاب الآخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغى أن يكون العبد فى
بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآ
وهذا أحد الاسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذل
ليوسف عليه السلام لم تجوع وفى يديك خزائن الارض فقال أخاف ان أشبع فانسى الجائع
الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق
وجل والشبعان فى غفلة عن ألم الجائع (الفائدة الخامسة) وهى من أكبر الفوائد كسر شهوات ال
كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة
والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها فى أن يملك الر
والشقاوة فى أن تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت
وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع
فاحش الاشر فأخاف أن يجمح بى فيورطنى فلأن أحمله على الشدائد أحب الى من أن يحم
الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت أو هممت بمعصية وقالت عائشة رضى الله ع

وسلم (وروى) أنس
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له ذات يوم
ياذا الاذنين (وسئلت)
عائشة رضى الله عنها
كيف كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا
خلا فى البيت قالت كان
ألين الناس بساما ضحاكا
(وروت) أيضا أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
سابقها فسبقته ثم سابقها
بعد ذلك فسبقها فقال
هذه بتلك (وأخبرنا)
الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن على قال
أنا أبو الفتح الهروى قال
أنا أبو نصر الترياقى قال
أنا أبو محمد الجراحى قال
أنا أبو العباس المحبوبى
قال أنا أبو عيسى الحافظ
الترمذى قال ثنا عبد الله
ابن الوضاح الكوفى
قال ثنا عبد الله بن ادريس
عن شعبة عن أبى التياح
عن أنس رضى الله عنه
قال ان كان رسول الله

بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم * وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزنى كما أن الفرج يزنى فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس بأسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض ذلك فى أثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيأ من الشهوات ويأكل فى نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء (الفائدة السادسة) دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام يا معشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفى النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد أخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها فى كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع وقد قال أبو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل فى كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له (الفائدة السابعة) تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان فى شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردداه الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السرى رأيت مع على الجرجانى سويقا يستف منه فقلت ما حملك على هذا قال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه فى المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغى أن يستوفى منها خزانة باقية فى الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالاكل وأسبابه الى العبادة أرباح كثيرة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد أشار أبو سليمان الدارانى الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل (الفائدة الثامنة) يستفيد من قلة الاكل صحة

صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى انه كان يقول لاخ لى صغير يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير عصفور صغير (وروى) ان عمر سابق زبيرا رضى الله عنهما فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة أخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وروى عبد الله بن عباس قال قال لى عمر تعال أنافسك فى الماء أينا أطول نفسا ونحن محرمون (وروى) بكر بن عبد الله قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح اذا رمى أى يترامون بالبطيخ (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا الحسن ابن أحمد الكركى قال ثنا أبو طالب محمد بن محمد

البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض
يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد
والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب
أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء
هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي
الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الاسود وقال العراقي هو حب الرشاد الابيض وقال الرومي
هو عندي الماء الحار فقال السوادي وكان أعلمهم الهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد
يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء فقالوا ما عندك فقال الدواء الذي لا داء معه عندي
أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة
من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب
وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة أصل
الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من
وقال ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل الا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع
وترفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان
وأضر ما أدخل معدته الملح ولأن يقلل من الملح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث صوموا تصحوا
ففي الصوم الجوع وفي تقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر
وغيرهما (الفائدة التاسعة) خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود
الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى أن يزيد
المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل وربما يحتاج الى أن يمد أعين الطمع الى الناس
وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء اني لأقضي عامة حوائجي بالترك
فيكون ذلك أروح لقلبي وقال آخر اذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من
نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات
فيقال انها غالية فيقول أرخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الاكول مذموم في ثلاثة أحوال ان كان
من أهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف
الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن
والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي أبواب النار
وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف
كل يوم قنع في سائر الشهوات وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز
وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم
عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهيه لا محالة (الفائدة العاشرة) ان يتمكن من الايثار والصدقة بما فضل من
الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزانته
الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى
أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمة الله عليه اذا تلا قوله
تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش

ابن ابراهيم قال ثنا أبو
بكر محمد بن محمد بن عبد
الله قال حدثني اسحق
الحربي قال ثنا أبو سلمة
قال ثنا حماد بن خالد قال
أنا محمد بن عمرو بن علقمة
قال ثنا أبو الحسن بن
محصن الليثي عن يحيى
ابن عبد الرحمن بن
حاطب بن أبي بلتعة قال
ان عائشة رضي الله عنها
قالت أتيت النبي صلى
الله عليه وسلم بحريرة
طبختها له وقلت لسودة
والنبي صلى الله عليه
وسلم بيني وبينها كلي
فأبت فقلت لها كلي
فأبت فقلت لتأكلن أو
لالطخن بها وجهك
فأبت فوضعت يدي في
الحريرة فلطخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع فخذه لها وقال
لسودة الطخي وجهها
فلطخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها كذلك على الارض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما جهولا بامر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فأصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية يقول أحدهم أبغونى كذا وكذا وائتونى بكذا وكذا يتكئ على شماله ويأكل من غير ماله خدمته سخرة وماله حرام حتى اذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال ياغلام ائتنى بشئ أهضم به طعامى يالكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم أين الفقير أين الارملة أين المسكين أين اليتيم الذين أمرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطنى حتى أجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح فى الاخبار التى رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين فى الايمان والله أعلم بالصواب

(بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن)

اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف * الاولى أن لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها (أما الوظيفة الاولى) فى تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير فانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغى أن يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ أو جزأ من ثلاثين جزأ فيرجع الى رغيف فى شهر ولا يستضر به ولا يظهر أثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالامس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه الى قدر القوام الذى لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التسترى رحمة الله عليه اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهى الحياة والعقل أكل وأفطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغى أن لا يبالى ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتى فى كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا وأخلط الجميع وأسوى منه بنادق ثلثمائة وستين أكرة آخذ فى كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له فالساعة كيف قال آكل بغير حد وتوقيت ويحكى عن بعض الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم الى مقدار

عليه وسلم فخرج عمر رضى الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهكما فقالت عائشة رضى الله عنها فما زالت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبى صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة اذا خلا (وروى) معاوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ويمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا اذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكى فهذه الاخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما

درهم من الطعام * الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف و
مما يكون الاربعة منه منا ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكر النبي صلى
عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة وهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة
رضي الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم أو تسعا * الدرجة الثالثة أن يردها الى مقدار المد وهو رغيف
ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشر
ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس * الدرجة الرابعة أن يزيد على
الى المن ويشبه أن يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا أعني في حق الاكثرين
مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا
فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولك
الاغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه
بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها أن لا تطلب النفس الادم بل تأكل
وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه أو طلب أدما فليس ذلك بالجوع الصادق
قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو
ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصد
فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالا
والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقت
منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه
ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعا
كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيأ حتى ألقا
جمعته يقول أقربكم مني منزلا يوم القيامة وأحبكم الى من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انك
على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واخت
عليكم بالوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم يكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله
وسلم وقد كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه
وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل الغنيمة يكفيه الكف من الحشيش والقبصة من
والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر
بفضله وجهوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها
لان أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط (الوظيفة الثانية) في وقت الاكل ومقداره
وفيه أيضا أربع درجات * الدرجة العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الر
الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى اليه جماعة
العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمر والقرني وعبد الرحمن بن ابراهيم ودحيم وابراهيم التيمي
ابن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن
التستري وابراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام وكان
الله بن الزبير يطوي سبعة أيام وكان أبو الجوزاء يطوي سبعا وكان صاحب ابن عباس ور
الثوري وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على
الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف

يعتمدونه من المداعبة في
الربط و ينزلون مع الناس
على حسب طباعهم
لنظرهم الى سعة رحمة
الله فاذا خلوا وقفوا موقف
الرجال واكتسوا
ملابس الاعمال والاحوال
ولا يقف في هذا المعنى
على حد الاعتدال
الا صوفي قاهر للنفس
عالم بأخلاقها وطباعها
سائس لها بنور العلم
حتى يقف في ذلك على
صراط الاعتدال بين
الافراط والتفريط ولا
يصلح الاكثار من ذلك
للمريدين المبتدئين لقلة
علمهم ومعرفتهم بالنفس
وتعديهم حد الاعتدال
فللنفس في هذه المواطن
نهضات ووثبات تجر الى
الفساد وتجنح الى العناد
فالنزول الى طباع الناس
يحسن بمن صعد عنهم
وترقى لعلو حاله ومقامه
فينزل اليهم والى طباعهم
حين ينزل بالعلم فأما من

الاسرار الالهية وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه وترك ماهو عليه من الغرور وكلمه فى ذلك كلاما كثيرا الى أن قال له الراهب ان المسيح كان يطوى أربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبى أو صديق فقال له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم انه حق وأنك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وأنساه جوعته وحاجته ※ الدرجة الثانية أن يطوى يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب لكن لا وصول اليه الا بالجد والمجاهدة ※ الدرجة الثالثة وهى أدناها أن يقتصر فى اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون فى كل يوم أكلة وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والسرف فان أكلتين فى يوم من السرف وأكلة واحدة فى كل يومين اقتار وأكلة فى كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود فى كتاب الله عز وجل ومن اقتصر فى اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفى حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر الى السحر وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب فى التهجد فالاولى أن يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن النفس ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل فى يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق فى مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه (الوظيفة الثالثة) فى نوع الطعام وترك الادام وأعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الادم اللحم وأدناه الملح والخل وأوسطه المزورات والادهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وأنسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوات الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجرى فى أكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب فى ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصى بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى فى

لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزج من طباعهم ونفوسهم الجامحة الامارة بالسوء واذا دخلت فى هذه المداخل أخذت النفس حظها واغتنمت مآربها واستروحت الى الرخصة والنزول الى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته وليس ذلك شأن المبتدئ فللصوفية العلماء فيما ذكرناه ترويح يعلمون حاجة القلب الى ذلك والشئ اذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة فى ذلك علم غامض لا يسلم لكل أحد (قال) سعيد بن العاص لابنه اقتصد فى مزاحك فالافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين وقال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة

طلبها فيجرها ذلك الى المعاصى فهم شرار الامة لان نخ الطعام يقودهم الى اقتحام أمور رتلك الامور معاص
وقال صلى الله عليه وسلم شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وانما همتهم أنواع الطعا
وأنواع اللباس ويتشدقون فى الكلام * أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القب
فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس
عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه
قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين قال أمرت بسوق حوت من البحر
اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على أن
تيسير أسباب الشهوات ليس من علامة الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال
اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات كما أوردنا
كتاب رياضة النفس وقد روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما انه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية
فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه
على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام أصلحك الله قد
اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريناها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها
وادفعها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى
بها فوضعها بين يديه وقال قد أعطيته درهما وأخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم
فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه
غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا
وأهلها الدمار أشار الى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا و
عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبى سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه
فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثريد ولحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد
يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبى سفيان أطعام بعد طعام والذى نفسى بيده لئن خالفتم عن
سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال مانخلت لعمر دقيقا قط الا وأناله عاص وروى ان
عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة
الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان فى الشمس نهاره فتقول له مولاة
يا عتبة لو أعطيتنى دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد سددت عنى كلب الجوع
قال شقيق بن ابراهيم لقيت ابراهيم بن أدهم بمكة فى سوق الليل عند مولد النبى صلى الله عليه وسلم
وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت ايش هذا البكاء يا أبا اسحق فقال
فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر على فقلت يا أخى قل ماشئت فقال لى اشتهيت منذ ثلاثين
سنة سكباجا فمنعتها جهدى حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس اذا أنا بفتى شاب بيده
قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عنه فقربه وقال يا ابراهيم كل فقلت
ما آكل قد تركته لله عز وجل فقال له قد أطعمك الله كل فما كان لى جواب الا أنى بكيت فقال لى كل
رحمك الله فقلت قد أمرنا أن لا نطرح فى وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيته فقيل
لى يا أصغر اذهب بهذا وأطعمه نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على تحملها
منعها اعلم يا ابراهيم انى سمعت الملائكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك
فها أنا بين يديك لاجل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال يا أخضر لقمه

للاخاء وكما يصعب معرفة
الاعتدال فى ذلك
يصعب معرفة الاعتدال
فى الضحك والضحك
من خصائص الانسان
ويميزه عن جنس
الحيوان ولا يكون
الضحك الا عن سابقة
تعجب والتعجب يستدعى
الفكر والفكر شرف
الانسان وخاصيته ومعرفة
الاعتدال فيه أيضا
شأن من ترسخ قدمه فى
العلم ولهذا قيل اياك
وكثرة الضحك فانه يميت
القلب وقيل وكثرة
الضحك من الرعونة
(وروى) عن عيسى
عليه السلام انه قال ان
الله تعالى يبغض الضحاك
من غير عجب والمشاء فى
غير ارب وذكر فرق
بين المداعبة والمزاح
فقيل المداعبة مالا يغضب
جده والمزاح ما يغضب
جده وقد جعل أبو حنيفة
رحمه الله القهقهة فى

فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق فقلت أرني كفك فناولني كفه فقبلتها وقلت يامن يطعم الجياع الشهوات اذا صححه المنع يامن يقدح في الضمير اليقين يامن يشفي قلوبهم من محبته أترى لشقيق عبدك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك و بقدر صاحبه و بالجود الذي وجدته منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى أدركنا البيت و روى عن مالك بن دينار انه بقي أربعين سنة يشتهي لبنا فلم يأكله واهدى اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال عجلت الى شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة في السوق فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها اياه أربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم مما نقص مني ولا نقص مني مما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي منذ أربعين سنة طعاما فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسي اشتهيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت أن لا تأكليه أبدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر أبو حاتم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها وأتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء وعن موسى بن الاشج أنه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن أحمد بن خليفة قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا الماء حتى تروى فما أرويتها وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي أن أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته اياها قالوا وأقبل يبكي ويقرأ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراءتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما أظن آخذ الناس الا بذنبك على أن لا تذوقيه واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده الا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيدان فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيأ لم يعاوده وقال جعفر بن نصر أمرني الجنيد أن أشتري له التين الوزيري فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف أما تستحي تركته من أجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيأ فلا ترد على كرامتي فقال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له

الصلاة من الذنب وحكم
ببطلان الوضوء بها وقال
يقوم الاثم مقام خروج
الخارج فالاعتدال في
المزاح والضحك لا يتأتى
الا اذا خاص وخرج من
مضيق الخوف والقبض
والهيبة فانه يتقوم بكل
مضيق من هذه المضايق
بعض التقويم فيعتدل
الحال فيه ويستقيم
فالبسط والرجاء ينشآن
المزاح والضحك والخوف
والقبض يحكمان فيه
بالعدل ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك ان التكلف
تصنع وتعمل وتمايل
على النفس لاجل
الناس وذلك يباين حال
الصوفية وفي بعضه خفي
منازعة للاقدار وعدم
الرضا بما قسم الجبار
ويقال التصوف ترك
التكلف ويقال التكلف
تخلف وهو تخلف عن
شأو الصادقين (روى)

نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى
لذلك قال لا يسوءك هذا انى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى فى المرة الثانية على شربها فلم أقدر على
ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت فى نفسى
أنا فى واد وأنت فى واد آخر وقال السرى السقطى نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى ان أغمس جزرة فى دبس
فما أطعمتها وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام وأطعمنى بعد ذلك
شهوة اشتهيها فيقول لها لا أريد ان تطوى عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة وروى ان عابدا دعا
بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع
اما علمت ان فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من
السحاب الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الارض والرياح والارض والبهائم وبنو آدم حتى صار
اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفى الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل
فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة
التى تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم أتيت قاسما الجوعى فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال أى شئ
سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت وأى شئ تقول أنت فقال اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك
من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد
الرحمن بن المطيب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسألنى فاذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف
لى حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذباجة فقال له بشر هل تعلم شيأ
أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل قال أتعرف شيأ أقل من
السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامى قال فتعرف شيأ أقل من
الاسفيذباجة يقوم مقامها قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناها فقال له عبد الرحمن
اعلم منى بالطب فلم تسألنى فقد عرفت بهذا ان هؤلاء امتنعوا من أكل الشهوات ومن الشبع
من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها وفى بعض الاوقات لانهم كانوا لا يصفو لهم الحلال
فلم يرخصوا لانفسهم الا فى قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة
لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لا يغفل عن
نفسه ولا ينهمك فى الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغى
أن لا يواظب على أكل اللحم وقال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم
عليه أربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت
نفسه الى الجماع فلا ينبغى ان يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس
الاكل لينشط فى الجماع ويستحب ان لا ينام عن الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه
لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب الى الشكر وفى الحديث أذيبوا طعامكم
بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل ذلك ان يصلى أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة
او يقرأ جزأ من القرآن عقيب كل أكلة فقد كان سفيان الثورى اذا شبع ليلة أحياها واذا شبع يوما
واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشتهى
شيأ من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا يكون تفكها
لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة * نظر سهل الى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان

أنس بن مالك قال شهدت
وليمة لرسول الله مافيها
خبز ولا لحم (وروى)
عن جابر أنه أتاه ناس من
أصحابه فأتاهم بخبز
وخل وقال كلوا فانى
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول نعم
الادام الخل وعن
سفيان بن سلمة قال دخلت
على سلمان الفارسى
فأخرج الى خبزا وملحا
وقال كل لولا ان رسول
الله نهانا ان يتكلف
أحد لاحد لتكلفت لكم
والتكلف مذموم فى
جميع الاشياء كالتكلف
بالملبوس للناس من غير
نية فيه والتكلف فى
الكلام وزيادة التملق
الذى صار دأب أهل
الزمان فما يكاد يسلم من
ذلك الا آحاد وافراد وكم
من متملق لا يعرف أنه
يتملق ولا يفطن له فقد
يتملق الشخص الى حد

كفايتك به والا أخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه
لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا
الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض أنواع الخبز شهوة قال
عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة
وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد
من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد
نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتني نفسي خبزا وسمكا
فمنعتها وقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت
ماذا فعل الله بك قال لا أحسن ان أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلني به
سمكا وخبزا وقال كل اليوم شهوتك هنيأ بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الايام
الخالية وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للعبد من
صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه بمحمد وآله وصحبه

* (بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه) *

اعلم أن المطلوب الاقصى في جميع الأمور والاخلاق الوسط اذ خير الامور أوساطها وكلا طرفي قصد الامور
ذميم وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ الى أن الافراط فيه مطلوب وهيهات فمن أسرار حكمة
الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على
وجه يومئ عند الجاهل الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن المقصود
الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا
والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي
الى الغاية فانه ان أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع
بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم
الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم أن الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن
يأكل بحيث لا تثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الاكل
بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود
أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع
وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الاحوال عن
الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى
الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة
الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط
ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك
الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع
للانسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع
عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه
وسلم خير الامور أوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان
بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد

يخرجه الى صريح النفاق
وهو مباين لحال الصوفي
(أخبرنا) الشيخ العالم
ضياء الدين عبد
الوهاب بن علي قال أنا
أبو الفتح الهروي قال أنا
أبو نصر الترياقي قال أنا
أبو محمد الجراحي قال أنا
أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى الترمذي
قال ثنا أحمد بن منيع
قال ثنا يزيد بن هرون
عن محمد بن مطرف عن
حسان بن عطية عن أبي
امامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الحياء
والعي شعبتان من
الايمان والبذاء والبيان
شعبتان من النفاق
البذاء الفحش وأراد
بالبيان ههنا كثرة
الكلام والتكلف
للناس بزيادة تملق وثناء
عليهم واظهار التفصح
وذلك ليس من شأن
أهل الصدق (وحكي)
عن أبي وائل قال مضيت

اعتدال الطبع اما فى بداية الامراذ كانت النفس جموحة متشوفة الى الشهوات مائلة الى الافراط
فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة فى ايلامها بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى ليست مروضة
بالجوع والضرب وغيره الى أن تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها
وايلامها ولاجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو فى نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع
ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب
ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع
الذى تحس بألمه فى أكثر الاحوال لتنكسر والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك فى الغذاء الى
الاعتدال وانما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة اما صديق واما مغرور فأحمق الصديق
الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع الى الحق وأما
المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو
الاغلب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه فى ذلك
فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك
والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير فى وقت مخصوص ونوع مخصوص وليس مقصودا فى نفسه
وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول
لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شئ فان قالوا نعم أكل
وان قالوا لا قال انى اذا صائم وكان يقدم اليه الشئ فيقول أما انى قد كنت أردت الصوم ثم يأكل وخرج
صلى الله عليه وسلم يوما وقال انى صائم فقالت له عائشة رضى الله عنها قد أهدى لنا حيس فقال كنت
أردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكى عن سهل انه قيل له كيف كنت فى بدايتك فاخبر بضروب من
الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين ثم ذكر انه
اقتات بثلاثة دراهم فى ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت فى وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس
المراد بقوله بلا حد ولا توقيت انى آكل كثيرا بل انى لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف
الكرخى يهدى اليه طيب الطعام فيأكل فقيل له ان أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال ان أخى بشرا
قبضه الورع وأنا بسطتنى المعرفة ثم قال انما أنا ضيف فى دار مولاى فاذا أطعمنى أكلت واذا جوعنى
صبرت مالى والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن أدهم الى بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه
الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حوارى فقيل يا أبا اسحق بهذا كله قال ويحك اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال
واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم الاوزاعى والثورى
فقال له الثورى يا أبا اسحق أما تخاف أن يكون هذا اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما الاسراف
فى اللباس والاثاث فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن أدهم ويسمع
عن مالك بن دينار انه قال ما دخل بيتى الملح منذ عشرين سنة وعن سرى السقطى انه منذ أربعين سنة
يشتهى أن يغمس جزرة فى دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير ويقطع بان أحدهما مخطئ والبصير
باسرار العلم يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها
فيظن محتاط أو غبى مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسى فليس نفسى أطوع
من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول
ما نفسى بأعصى على من نفس معروف الكرخى وابراهيم بن أدهم فاقتدى بهم وأرفع التقدير

مع صاحب لى نزور
سلمان فقدم الينا خبز
شعير وملحا جريشا فقال
صاحبى لو كان فى هذا الملح
سعتر كان أطيب فخرج
سلمان ورهن مطهرته
وأخذ سعترا فلما أكلنا
قال صاحبى الحمد لله
الذى قنعنا بما رزقنا
فقال سلمان لو قنعت بما
رزقك لم تكن مطهرتى
مرهونة وفى هذا من
سلمان ترك التكلف
قولا وفعلا وفى حديث
يونس النبى عليه
السلام انه زاره اخوانه
فقدم اليهم كسرا من خبز
شعير وجز لهم بقلا كان
يزرعه ثم قال لولا ان
الله لعن المتكلفين
لتكلفت لكم وقال بعضهم
اذا قصدت للزيارة فقدم
ما حضر واذا استزرت
فلا تبق ولا تذر (وروى
الزبير بن العوام قال
نادى منادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما

ما كولى فاذا أنا ضيف فى دار مولاى فمالى وللاعتراض ثم انه لو قصر احد فى حقه وتوقيره أو فى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير فى الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر فى مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة فى استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله اذا أكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله فى أكله وافطاره فينبغى أن يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء فى يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عنى حسابها وتركها وهذه الاسرار لا يجوز للشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغى أن يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقى اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص أن يخوض مع المريد فى كل رياضة يأمره بها كى لا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك فى كل حال ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا أم لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم

(بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك أكل الشهوات وأقل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات * احداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بانه يشتهيها فيخفى الشهوة ويأكل فى الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفى سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل فى الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلى بشهوات وأحبها أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو يدل على فوات المجاهدات بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصى ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته من قلوب الخلق وكان بعضهم يشترى الشهوات ويعلقها فى البيت وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به التلبيس لحاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يتشوش حاله فنهاية الزهد فى الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما أن الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهى طريق من يعطى

اللهم اغفر للذين يدعون لاموات أمتى ولا يتكلفون ألا انى برىء من التكلف وصالحو امتى وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الاب قال وبيد عمر عصاه فضرب بها الارض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا به وما لم تعرفوا فكلوا علمه الى الله ومن أخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك أن الصوفى يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء فى قربته وراويته

جهرا فيأخذو يردسر اليكسر نفسه بالذل جهرا و بالفقر سرا فمن فانه هذا فلا ينبغي أن يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه فلا ينبغي أن يغره قول الشيطان انك اذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستر اصلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد و يروجه الشيطان عليه فى معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به فى الفعل أو لا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات * الآفة الثانية أن يقدر على ترك الشهوة لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهى شهوة الاكل وأطاع شهوة هى شر منها وهى شهوة الجاه وتلك هى الشهوة الخفية فهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فأصب منها شيأ يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة ونغصت عليها اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الى الشهوة نظرت الى نفسى فان هى أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ وهذا طريق فى عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية و بالجملة من ترك شهوة الطعام و وقع فى شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولى التوفيق

(القول فى شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين * احداهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الاجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق * الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة وعن ابن عباس فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال فى تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه أعوذ بك من شر سمعى و بصرى وقلبى وهنى ومنيى وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال روى أن موسى عليه السلام كان جالسا فى بعض مجالسه اذ أقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذى رأيت عليك قال برنس أختطف به قلوب بنى آدم قال فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها وأفتنها به ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه و بين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بنى آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شئ أخوف عندى منهن وما بالمدينة بيت أدخله الا بيتى و بيت ابنتى أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة

(روى) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم الا وملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا و يقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وروى أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فاطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تخبأ شيأ لغد فان الله تعالى يأتى برزق كل غد وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبرة من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال أدخر يا رسول الله قال أما تخشى انفق بلالا ولا تخش من ذى

أن نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهى افراطها بطائفة الى أمرين شنيعين * أحدهما ان يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلى بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك سبب لذة الخلاص فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة فاعلم انه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع * والامر الثانى أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة فى البهيمة لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهى أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحى منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضى الا من محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق فتكتفى به وهذا لا يكتفى الا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا منبعه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطنبور والعود والنردشير والشطرنج فان هذه الامور قد تستولى على طائفة بحيث ينقص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما أعظم التفاوت بين الامرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الامور فأما فى أواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد يؤدى الى نزع الروح فاذا افراط الشهوة أن يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع فى انقباضها وانبساطها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء

(بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله)

اعلم أن المريد فى ابتداء أمره ينبغى أن لا يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغله عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الدارانى من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما أحوجك الى امرأة تأنس بها فقال لا آنسنى الله بها أى ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه

العرش اقلالا وروى أن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيأ لغد فالصوفى كل خباياه فى خزائن الله اصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار قال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال أنا

فيه الى حد كان يخشى منه فى بعض الاحوال أن يسرى ذلك الى قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده
على فخذ عائشة احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ماهو فيه لقصور طاقة قالبه عنه
فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع
الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال حتى يعود الى ماهو قرة عينه فالضعيف اذا
لاحظ أحواله فى مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله
عليه وسلم فشرط المريد العزبة فى الابتداء الى أن يقوى فى المعرفة هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته
الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على
حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة والا فهما لم يحفظ عينه
لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع فى بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهى
تؤدى على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه
قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير
انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بنى امش خلف
الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمنى وقال الفضيل
يقول ابليس هى قوسى القديمة وسهمى الذى لا أخطى به يعنى النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته
فى قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كان من قبل النساء وقال تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من أبصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان يزنيان وزناهما النظر
واليدان يزنيان وزناهما البطش والرجلان يزنيان وزناهما المشى والفم يزنى وزناه القبلة والقلب
يهم أو يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الاعمى على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا أوليس بأعمى لا يبصرنا فقال وأنتما
لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة فى المآتم والولائم
فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما
جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر
على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فان الشر فى الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة أمكنه
الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبى بالشهوة حرام بل كلما يتأثر قلبه بجمال صورة
الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحى لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذى حس يدرك
التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست أعنى تفرقة العين فقط
بل ينبغى أن يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف
وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه
وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهى ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا
تقبيل الماء الصافى وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح
ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل فى قلبه
وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر
شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض

محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر قال ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا قال ابن عيينة اذا لم يكن عنده وعد وبالاسناد عن الدارمى قال أنا يعقوب ابن حميد قال أنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخى الزهرى قال ان جبريل عليه السلام قال ما فى الارض أهل عشيرة من أبيات الا قلبتهم فما وجدت أحدا أشد انفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا (قال ذو النون المصرى) من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر بن الحرث لو لم يكن فى القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحمال

التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضارى على الشاب الناسك من غلام أمرد يجلس اليه وقال سفيان لو أن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوطيا وعن بعض السلف قال سيكون فى هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم غلبت على شهوتى فى بدء ارادتى بما لا أطيق فأكثرت الضجيج الى الله تعالى فرأيت شخصا فى المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الى فتقدمت اليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها فى فؤادى وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بى فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك فأكثرت الاستغاثة فأتانى شخص فى المنام فقال لى أتحب ان يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقى فأصبحت وقد زال ما بى فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبى وصدرى يخاطبنى ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عنى وولد لى ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغى ان يترك شرط الارادة فى ابتداء النكاح ودوامه أما فى ابتدائه فبالنية الحسنة وفى دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلناه فى كتاب أحكام النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر حرصا على مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغى ان تكون المرأة دون الرجل بأربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه بأربع بالجمال والادب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة فى دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى أبيها وقالت قد تحيرت فى هذا الرجل أنا فى منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلى اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدرى فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فأراهم الرجل انه قد أصابه رمد ثم أراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له فى ذلك فقال تعمدته لاجل أهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال أخشى ان يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغى ان يكون وان قدر على الترك فهو أولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روى ان محمد بن سليمان الهاشمى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم فكتب الى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم وليس تمضى الايام والليالى حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبينى فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا أتاك كتابى هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك فصم دهرك وليكن فطورك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولنى أمثال الذى خولك وأضعافه ما سرنى ان أشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده فى العزبة فهو الاقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة

الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال أبو بكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه (وقال) أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينبو (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبى الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوى قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن

أمور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو
الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن
المسيب ما أيس ابليس من أحد الا واتاه من قبل النساء وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد
ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شئ أخوف عندي من النساء وعن عبد الله بن أبي وداعة
قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أياما فلما أتيته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت
بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله تعالى
ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت
الى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ ممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي فاسرجت وكنت
صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا واذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت
في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب وذلك انه لم ير أربعين سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت
اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بداله فقلت يا أبا محمد لو أرسلت الى لأتيتك فقال لا أنت أحق
ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان أبيتك الليلة وحدك وهذه
امرأتك واذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء
فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه
صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤني وقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته
اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها
وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها الى ثلاثة أيام قال
فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد
الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال
ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك أمر فدونك
والعصا فانصرفت الى المنزل فوجه الي بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد
ابن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه
فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة
صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة
نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل الا أن
مقتضاها قبيح يستحيي منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز أو لخوف أو
لحياء أو لمحافظة على حشمة وليس في شئ من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم
من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه بأي سبب
كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر
الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق
فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل

غزية عن عبد الرحمن
ابن أبي سعيد عن أبيه
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو
على الاعواد يقول
ما قل وكفى خير مما كثر
وألهى (وروى) عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال قد أفلح من
أسلم وكان رزقه كفافا
وصبر عليه (وروى أبو
هريرة) رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعا وقال اللهم
اجعل رزق آل محمد قوتا
(وروى جابر) رضي
الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال
القناعة مال لا ينفد
(وروى) عن عمر رضي
الله عنه أنه قال كونوا
أوعية الكتاب وينابيع
الحكمة وعدوا أنفسكم
في الموتى واسألوا الله
تعالى الرزق يوما بيوم
ولا يضركم أن لا يكثر لكم
(وأخبرنا) أبو زرعة

ظله وعدمنهم رجلا دعته امرأة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال انى أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة فقد روى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذى هممت وأنت سليمان الذى لم تهم أشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وعنه ما هو أعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيأ وجلس سليمان فى الخيمة فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فانحدرت اليه فلما رأت جماله وجهه جاءت حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازات وكانت من أحسن الناس وجها وأورعهم فكشفت عن وجهها البرقع كأنه فلقة قمر وقالت أهنئنى فظن انها تريد طعاما فقام الى فاضل السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا انما أريد ما يكون من الرجل الى أهله فقال جهزك الشيطان الى ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتى قال لا والله الا أن لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت ما يبكيك قال أنا أحق بالبكاء منك لانى أخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فسعى وطاف أتى الحجر الاسود فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام واذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الابواء أعجب وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم الليل الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح فى يدى أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبيان يتضاغون حول قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كان لى ابنة عم من أحب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها مائة وعشرين دينارا على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذى له وذهب فنميت له اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أعطنى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله أتهزأ بى فقلت لا أستهزئ بك فخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيأ اللهم ان

طاهر عن أبى الفضل والده قال أنا أبو القاسم اسمعيل بن عبد الله الشاوى قال أنا أحمد بن على الحافظ قال أنا أبو عمرو ابن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عمرو بن مالك البصرى قال حدثنا مروان ابن معاوية قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى سلمة الانصارى قال أخبرنى سلمة بن عبد الله بن محصن عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا (وقيل) فى تفسير قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هى القناعة فالصوفى قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها (قال أبو سليمان)

كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل
من تمكن من قضاء الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان العين مبدأ الزنا فحفظ
مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الاولى
اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية أى النظرة
وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع فى القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان
فى تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخيل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعند
ينبغى أن يقرر فى نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت النفس بالشهوة
وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتألم لانه قصد الالتذاذ وقد فعل فلا يخلو
كل حال عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير
الآفات فان أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد
روى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى ان قصابا أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها فى حاجة لهم
قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا أشد حبا لك منك لى ولكنى أخاف الله
فانت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء
اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية
مالى من عمل صالح فادعو فادع أنت قال أنا أدعو وامن أنت على دعائى فدعا الرسول وأمن هو فاظلتهما
سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس
لك عمل صالح وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى بامرك فاخبره
الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه
قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة
حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت
له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع منى كلمات أكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى
يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع منى كلمات أكلمك
فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفى
هذا جهالة منى بامرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد الى مثل هذا منى والذى حملنى على أن لقيتك
مثل هذا الامر بنفسى لمعرفتى أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير
أدنى شئ يعيبها وجملة ما أقول لك ان جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى أمرى وأمرك قال فمضى
الى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله واذا بالمرأة
واقفة فى موضعها فألقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها المرأة
ان الله عز وجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب
الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه
كان ما ذكرت باطلا فانى أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم
لصولة الجبار العظيم وانى والله قد ضعفت عن اصلاح نفسى فكيف اصلاح غيرى وان كان ما ذكرت
حقا فانى أدلك على طبيب هدى يداوى الكلوم المرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين
فاقصديه بصدق المسألة فانى مشغول عنك بقوله تعالى وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فاين المهرب من

الدارانى القناعة من الرضا كما ان الورع من الزهد ومن اخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب الا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك أن النفوس تثب وتظهر فى الممارين والصوفى كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب واذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفأت الفتنة قال الله تعالى تعليما لعباده ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ولا ينتزع المراء الا من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل فى النفوس مراء الباطن واذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر أيضا وقد يكون الغل فى النفس مع من يشاكله ويماثله لوجود المنافسة ومن استقصى فى تذويب

الآية ثم انها جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت يافتى لاترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدا الاغدا بين يدى الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت اسأل الله الذى بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ماقد عسر من أمرك ثم انها تبعته وقالت امنن على بموعظة احملها عنك وأوصنى بوصية أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم انها أفاقت ولزمت بيتها واخذت فى العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى فيقال له مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك فيقول انى قد ذبحت طمعها فى أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فانا استحيى منه ان استرد ذخيرة ذخرتها عنده تعالى * تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

(كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أحسن خلق الانسان وعدله وألهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذى أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله واسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر عبد الله وهلله (أما بعد) فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه مامن موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفى فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق أو باطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد فى سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له فى الخير مجال رحب وفى الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى أن يضطره الى البوار ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته فى عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب فى اطلاقه ولا مؤنة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله وانه أعظم آلة الشيطان فى استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار فى ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر فى

النفس بنار الزهادة فى الدنيا ينمحى الغل من باطنه ولا تبقى عنده منافسة دنيوية فى حظوظ عاجلة من جاه ومال قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة المتقين ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال أبو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن التلزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق * والناس رجلان رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو الى ما عند الله نفسه وغيره

الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان أو جماد أو انسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعاريض في الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله أي حكمة وحزم وروى عن عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الاسلام بأمر لا أسال عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقي فأومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله القبقب هو البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكبر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان الفم والفرج فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر أعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه وقال هذا وروى أن معاذا قال يا رسول الله أي الاعمال ؟ فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا أوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شئ تقوله أو شئ سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروى أن معاذ بن جبل

قال

فما للمحقق الصوفي مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه في طريق واحد وجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ورجل مفتتن بشئ من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا منافسة لانه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفي أن ينظر الى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا بمفتتنا فلا ينطوي له على غل ولا يمارى به في الظاهر على شئ لعلمه بظهور نفسه الامارة بالسوء في المراء والمجادلة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي

قال يارسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا قال فغنم أو سكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل يدخل الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال عليه السلام اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال عليه السلام ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وان لسان المنافق أمام قلبه فاذا هم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به (الآثار) كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وقال عبد الله بن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما شئ أحوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان أرسلته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال الا رأيت صلاح ذلك على سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والاحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تتكلم فقال له أخشى الله ان كذبت وأخشاك ان صدقت ❊ وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر انى اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه الكلمة ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقيل أقام المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد عشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة

قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربي عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمار أخاك ولا تعده موعدا فتخلفه وفي الخبر من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها (وأخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله المالیني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي قال أنا أبو عمران عيسى السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثني النعمان بن

وهى سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان
والخائض فيها قلما يقدر ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويمسكه ويكفه عما لا يحب فان ذلك من
غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع
ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا
ومن حسابه فى الآخرة فقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم
الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة
وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة * أما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر
ومنفعة لا تفى بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين
الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر اذ
يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه
فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز
علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد أوتى والله
جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعانى الا خواص العلماء
وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن
نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى الى الأغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام فى الغيبة والنميمة
والكذب فان النظر فيها أطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

(الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك)

اعلم ان أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب
والمراء والجدال وغيره وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا الا انك تتكلم بما
أنت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذى
هو أدنى بالذى هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة
الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى
بها قصر فى الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا
خسرانا بينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث
فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا
هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا
فى الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من
الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيأ لك الجنة يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك
لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كعبا
فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيأ لك
الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هى أمى يا رسول الله قال وما يدريك
يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يعنيه ومعناه انه انما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم
فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من
العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من يدخل من هذا الباب رجل

مكحول عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم من طلب العلم ليباهى
به العلماء أو يمارى به
السفهاء أو يريد ان يقبل
بوجوه الناس اليه
ادخله الله تعالى جهنم
انظر كيف جعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
المماراة مع السفهاء سببا
لدخول النار وذلك
لظهور نفوسهم فى طلب
القهر والغلبة والقهر
والغلبة من صفات الشيطنة
فى الآدمى (قال بعضهم)
المجادل الممارى يضع
فى نفسه عند الخوض فى
الجدال أن لا يقنع بشئ
ومن لا يقنع الا ان لا يقنع
فما الى قناعته سبيل
فنفس الصوفى تبدلت
صفاتها وذهب عنه صفة
الشيطنة والسبعية وتبدل
باللين والرفق والسهولة
والطمأنينة (روى)
من رسول الله صلى الله

من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل فى نفسك ترجو به فقال انى اضعيف وان أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك مالا يعنينى وقال أبو ذر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك مالا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحب الى من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه عما تحب أن يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف مالا يعنينى وقال مورق العجلى امر أنا فى طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنينى وقال عمر رضى الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا أمين الا من خشى الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكل مالو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به فى حال أو قال مثاله ان تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر واذا بالغت فى الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشىء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التى ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشىء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة وأكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب فى حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصى وعن كل ما يخفيه ويستحى منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنت وكذلك ترى انسانا فى الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيى وان لم يصدق وقع فى الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا أدرى فيجيب عن غير بصيرة ولست أعنى بالتكلم فيما لا يعنى هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم وضرر وانما مثال مالا يعنى ما روى ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد ان يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أى حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط فى رياء وكذب فهو مما لا يعنى وتركه من حسن الاسلام فهذا حده * وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة مالا حاجة به اليه أو

عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه انظر كيف جعل النبى صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه مر بقوم وهم يحدون حجرا فقال ما هذا قالوا هذا حجر الاشداء فقال الا أخبركم بأشد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فغلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه (وروى) أنه جاء غلام لابى ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغيظك فتضربنى فتأثم فقال أبو ذر لاغيظن من حضك على غيظى فأعتقه (وروى) الاصمعى عن اعرابى قال اذا

المباسطة بالكلام على سبيل التودد أوتزجية الاوقات بحكايات أحوال لافائدة فيها وعلاج ذلك كله
ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان أنفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان
يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث
العمل فالعزلة أوأن يضع حصاة فى فيه وان يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان
ترك مالا يعنيه وضبط اللسان فى هذا على غير المعتزل شديد جدا

(الآفة الثانية فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه أمر
يمكنه ان يذكره بكلام مختصر و يمكنه ان يجسمه و يقرره و يكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة
فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر
قال عطاء بن أبى رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول
الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف أونهيا عن منكر
أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها أتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين
وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أما يستحيى أحدكم اذا نشرت صحيفته التى أملاها
صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمنى بالكلام
لجوابه أشهى الى من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم
جلال الله فى قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم أخزه وما أشبه ذلك واعلم
فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لا خير فى كثير من نجواهم
الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من
لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر فى ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل
اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى
عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء
وأنت وأنت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا أطلق بالثناء ولو بالصدق
فيخشى أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب
امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول
أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان
يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت أكثر أو أقل وروى ان سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته
نفرا ينظرون ما يقول و يخبرونه فأخبروه بانه مر فى السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس
رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن
أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمى اذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فان كان له تكلم
أمسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت
ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فأكثر
صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاى واسنانى قال أفما كان لك فى ذلك ما يرد كلامك
وفى رواية انه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستهتر فى الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل فى
وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه انه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض
اذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم

أشكل عليك أمران
لاتدرى أيهما أرشد
فخالف أقربهما الى
هواك فان أكثر ما يكون
الخطأ مع متابعة الهوى
(أخبرنا) أبو زرعة
عن أبيه أبى الفضل قال
أنا أبو بكر محمد بن أحمد
ابن على قال أنا خورشيد
قوله ثنا ابراهيم بن عبد
الله قال ثنا أحمد بن محمد
ابن سليم قال ثنا الزبير
ابن بكار قال ثنا سعيد
ابن سعد عن أخيه عن
جده عن أبى هريرة
رضى الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث منجيات وثلاث
مهلكات فاما المنجيات
فخشية الله فى السر
والعلانية والحكم بالحق
عند الغضب والرضا
والاقتصاد عند الفقر
والغنى وأما المهلكات
فشح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه
فالحكم بالحق عند

يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمران أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

(الآفة الثالثة الخوض في الباطل)

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا بد له من غلبة الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخاص منها الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو مستحقر بها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا وقال أبو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي بها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي بها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

(الآفة الرابعة المراء والجدال)

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما عهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضا ما ضل قوم بعد أن هداهم الله الا أوتوا الجدل وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال أيضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل وقال

الغضب والرضا لا يصح الا من عالم رباني أمير على نفسه يبصر فيها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن الاحتساب (نقل) انهم كانوا يتوضؤن عن ايذاء المسلم يقول بعضهم لان أتوضأ من كلمة خبيثة أحب الي من أن أتوضأ من طعام طيب (وقال) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحل حبوة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج عن حد العدل الى العدوان بتجاوز الحد فبالغضب يثور دم القلب فان كان الغضب على من فوقه ممن يعجز عن انفاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع في القلب ويصير منه الهم والحزن والانكماد ولا ينطوي الصوفي على مثل هذا

مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبغى الشيطان زلته وقيل ماضل قوم بعد اذ
هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين فى شئ وقال ايضا
المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يابنى لاتجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد
اذا رأيت الرجل لجوجا ممار يا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة
وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك
العيش وقال ابن أبى ليلى لا أمارى صاحبى فاما أن أكذبه واما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك اثما أن
لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضى الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث
ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتمارى به ولا لتباهى به ولا لترائى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا
بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر
همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلى قال لانى
لا أشاريه ولا أماريه وما ورد فى ذم المراء والجدال أكثر من ان يحصى وحد المراء هو كل اعتراض على كلام
الغير باظهار خلل فيه اما فى اللفظ واما فى المعنى واما فى قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض
فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه
والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة
العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون
بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد اخطأت
فيه من وجه كذا وكذا وأما فى قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما
أنت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس ان جرى فى مسألة علمية ربما خص باسم الجدل
وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة
أو التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه
بالقدح فى كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى
مكروها عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة
من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار
الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما اظهار الفضل
فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من
صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه
ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء
والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير
ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه
من حق أو باطل ويقدح فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين
الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى فى افحامه والجامه وأما
علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتى
ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال
ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روى أن أبا حنيفة
رحمة الله عليه قال لداود الطائى لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسى بترك الجدال فقال أحضر المجالس

واستمع

لانه يرى الحوادث
والاعراض عن الله تعالى
فلا يتكمد ولا يغتم
والصوفى صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والنبى عليه السلام أخبر
أن الهم والحزن فى الشك
والسخط (سئل) عبد
الله بن عباس رضى الله
عنهما عن الغم والغضب
قال مخرجهما واحد
واللفظ يختلف فمن نازع
من يقوى عليه أظهره
غضبا ومن نازع من
لا يقوى عليه كتمه حزنا
والحرد غضب أيضا
ولكن يستعمل اذا قصد
المغضوب عليه وان كان
الغضب على من يشاكله
ويماثله ممن يتردد فى
الانتقام منه يتردد دم
القلب بين الانقباض
والانبساط فيتولد منه
الغل والحقد ولا يأوى
مثل هذا الى قلب
الصوفى قال الله تعالى
ونزعنا ما فى صدورهم

واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد على منه وهو كما قال لان من سمع الخطا من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك فى المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان ان يكف لسانه عن أهل الغفلة واذا رأى مبتدعا تلطف فى نصحه فى خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه فى التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو ارادوا فتستمر البدعة فى قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

(الآفة الخامسة الخصومة)

وهى أيضا مذمومة وهى وراء الجدال والمراء فالمراء طعن فى كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج فى الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود وذلك تارة بان يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله بن أبى بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بينى وبين ابن عم لى فقال ان لابيك عندى يدا وانى أريد ان أجزيك بها وانى والله ما رأيت شيأ أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لى خصمى مالك قلت لا أخاصمك قال انك عرفت أن الحق لى قلت لا ولكن أكرم نفسى عن هذا قال فانى لا أطلب منك شيأ هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة فى طلبه أو فى حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم أن هذا الذم يتناول الذى يخاصم بالباطل والذى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف ان الحق فى أى جانب هو يتوكل فى الخصومة من أى جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذى يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد فى الخصومة على قدر التسلط أو على قصد الايذاء ويتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها فى نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفى الناس من يصرح به ويقول انما قصدى عناده وكسر غرضه وانى ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فاما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على قدر الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد

من غل وسلامة قلب الصوفى وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لما فيه من تلاطم أمواج الانس والهيبة وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب اذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لان الدم فى القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا فى الصوفى الا عند هتك المحرمات والغضب لله تعالى فاما فى غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب الى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتهم

تعرض لهذه المحذورات وأقل مافيه تشويش خاطره حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغى أن لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته فسلم من الاثم ولا بد من خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم أقل مايفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ أقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها وقال ابن عباس أيضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله أتقول هذا الخنزير فقال اكره ان أعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضى الله عنه البر شئ هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله فى فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذى للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

﴿الآفة السادسة﴾

التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام وقالت فاطمة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضى الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبى وقاص الى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدى حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بابعد منك اليوم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع فى المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجعا كسجع الاعراب وأنكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغى أن يقتصر فى كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل فى هذا تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط

واغراب

النفس بعدم الرضا بالقضاء (قيل) لبعضهم من أقهر الناس لنفسه قال أرضاهم بالمقدور وقال بعضهم أصبحت ومالى سرور الا مواقع القضاء فاذا اتهم الصوفى النفس عند الغضب تداركه العلم واذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب الى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاض حمرة الخد وبانت فضيلة العلم قال عليه السلام السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزأ من النبوة * وروى حارثة بن قدامة قال قلت يا رسول الله أوصنى وأقلل لعلى أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب وقال عليه السلام ان الغضب جمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ

واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

(الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة يا عائشة لو كان الفحش رجلا كان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامي فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شيء وان أحسن الناس اسلاما أحاسنهم أخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس ألا أخبركم بأدوا الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله حي كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيي منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه

أوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل عن قرة بن خالد عن أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة ومن أخلاق الصوفية التودد والتآلف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال الله تعالى لو أنفقت

خراج فأتيناه نسأله لنرى ما يقول فقلنا من أين خرج فقال من باطن البدن والباعث على الفحش اما قصد
الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشئ يعلمه فيك فلا تعيره
بشئ تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيأ قال فما سببت شيأ بعده وقال عياض بن حمار
قلت يارسول الله ان الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من بأس ان انتصر منه فقال المستبان
شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله
عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ حتى يعتدى المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب
والديه وفى رواية من أكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه
قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه

(الآفة الثامنة اللعن)

اما لحيوان أو جماد أو انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال
صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الاحق عليهم
القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره اذا امرأة من الانصار على
ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة قال فكأنى
أنظر الى تلك الناقة تمشى بين الناس لا يعرض لها أحد وقال أبو الدرداء ما لعن أحد الارض الا قالت
لعن الله أعصانا لله وقالت عائشة رضى الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض
رقيقه فالتفت اليه وقال يا أبا بكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر
يومئذ رقيقه وأتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا أعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللعانين
لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه
واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من اتصف بصفة تبعده من الله
عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغى أن يتبع فيه لفظ
الشرع فان فى اللعنة خطرا لانه حكم على الله عز وجل بانه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير
الله تعالى ويطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم اذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة
الكفر والبدعة والفسق • وللعن فى كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة
الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية اللعن باوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود
والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك
جائز ولكن فى لعن أوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغى أن
يمنع منه العوام لان ذلك يستدعى المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن للشخص
المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص
ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا
على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه فى زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى مثلا فهذا فيه
خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا فى الحال
كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما فى الحال وان كان يتصور أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أى
ثبته الله على الاسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو
سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو فى نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر

ما فى الارض جميعا ما ألفت
بين قلوبهم ولكن الله
ألف بينهم والتودد
والتألف من ائتلاف
الارواح على ما ورد
فى الخبر الذى أوردناه
فما تعارف منها ائتلف
قال الله تعالى فأصبحتم
بنعمته اخوانا وقال سبحانه
وتعالى واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا وقال
عليه السلام المؤمن الف
مألوف ولا خير فيمن
لا يألف ولا يؤلف وقال
عليه السلام مثل المؤمنين
اذا التقيا مثل اليدين
تغسل احداهما الاخرى
وما التقى مؤمنان الا
استفاد أحدهما من
صاحبه خيرا (وقال أبو
ادريس) الخولانى
لمعاذ انى أحبك فى الله
فقال أبشر ثم أبشر فانى
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
تنصب لطائفة من الناس
كراسى حول العرش يوم

ولا

ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب في الاحوال الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام واضرب للهام من أبي قحافة فقال أبو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم أكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على أخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لانه قاتل الحسين أو آمر به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال انه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا تجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاك ان تشتم مسلما أو تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال عليه السلام أيها الناس احفظوني في أصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وانما أوردناه لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر أو على الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي ابن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت

القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هؤلاء يا رسول الله قال المتحابون في الله (وقيل) لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع

فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتي لا اله الا الله أحب الى من ان يخرج منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال أوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمران أبغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت انه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله وقد نقل ذلك مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجرى مجراه فان ذلك مذموم وفى الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة

(الآفة التاسعة)

الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا أن التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له فى ذلك فقال أنا أكره ان يوجد فى صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شئ من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الانصارى بهجاء الكفار والتوسع فى المدح فانه وان كان كذبا فانه لا يلتحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولو لم يكن فى كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الى فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو بكر الهذلى لعلم انك أحق بشعره قال وما يقول أبو بكر الهذلى قلت يقول هذين البيتين

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء معضل

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام الى وقبل ما بين عينى وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت منى كسرورى منك ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس ابن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو فى شعر له وفى آخره

وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس فى مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أتقول فى الشعر فجعل يعتذر اليه ويقول بأبى أنت وأمى انى لأجد للشعر دبيبا على لسانى كدبيب النمل ثم يقرصنى كما يقرص النمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين

الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد أهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الاسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد الى البلدان فى الاعياد فى جميع السنة مرتين وأهل الاقطار من البلدان المتفرقة فى العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الالفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا والدى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى قال أنا أبو العباس عبد الله بن يعقوب الكرمانى قال حدثنا يحيى الكرمانى قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد بن سعد عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال

(الآفة العاشرة المزاح)

وأصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للأخ والصديق أو تجهيلا له وأما المزاح فطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم أن المنهى عنه الافراط فيه أو المداومة عليه أما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة وأما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة فى بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى لأمزح ولا أقول الاحقا الا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول الاحقا وأما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف ما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها فى النار أبعد من الثريا وقال عمر رضى الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا أخى هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فما رئى ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمى أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون فى عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبى يعلى يقول أتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى وقال محمد بن واسع اذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ألست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى الى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاسم مولى معاوية أقبل اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وأفواهكم ملأى من دمه وأما اذا أدى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضى الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لى أمى يا بنى لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعد بن العاص لابنه يا بنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنئ فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضى الله عنه أتدرون لم سمى المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى مقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول الاحقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر اليهم والى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة فى النظر الى رقص

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا ان مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى والتألف والتودد يؤكد أسباب الصحبة والصحبة مع الاخيار مؤثرة جدا (وقد قيل) لقاء الاخوان لقاح ولاشك ان البواطن تتلقح ويتقوى البعض بالبعض بل مجرد النظر الى أهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر فى الصور يؤثر أخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر (وقد قيل) من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان

الزنوج في يوم عيد وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي أن يغفل عن هذا نعم روى أبو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم لا أقول الاحقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم قال فما كان مزاحه قال كان مزاحه انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس وقال أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وقال زيد بن أسلم ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه بياض قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وبعينه بياض وأراد بالبياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به انه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم ما من بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح وقال أنس كان لابي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول أبا عمير ما فعل النغير النغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالي حتى أسابقك فشددت على درعي ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال هذه مكان ذي المجاز وذلك انه جاء يوما ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطينيه فأبيت وسعيت وسعى في أثري فلم يدركني وقالت أيضا سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال هذه بتلك وقالت أيضا رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت خزيرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن به وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت بيدي من الصحفة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها ركبته لتستقيد فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن أبي سلمة انه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى أن خوات بن جبير الانصاري كان جالسا الى نسوة من قريش بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته

منه

بمقارنة الجيف والزروع تنقى عن أنواع العروق في الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الاشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمي الانسان انسانا لانه يأنس بما يراه من خير وشر والتألف والتودد مستجلب للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة الى أراذل الناس وأهل الشر فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والاخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما ان محبتهم محبة الله والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن مرآة المؤمن اذا نظر الى أخيه يستشف

منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال فرآني في المسجد يوما أصلي فجلس الى فطولت فقال لا تطول فاني أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك اتفر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يا رسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

(الآفة الحادية عشرة)

السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة وقالت عائشة رضي الله عنها حاكيت انسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم والله ما أحب اني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر وعن عبد الله بن زمعة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه والاستهانة به والاستصغار له وعليه نبه قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم أي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على حفظه وعلى صنعته أو على صورته وخلقته اذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها

(الآفة الثانية عشرة)

افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة وقال مطلقا الحديث بينكم أمانة وقال الحسن ان من

من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات الهية وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار وأدركها أهل الانوار ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر الى الاغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما من الناس أحد أمن علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقال ما نفعني مال كمال أبي بكر فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء فالصوفي

الخيانة أن تحدث بسر أخيك ويروى ان معاوية رضى الله عنه أسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا أبت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثنى به فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بنى ولكن أحب أن لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فأتيت معاوية فاخبرته فقال يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار والؤم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر فى كتاب آداب الصحبة فاغنى عن الاعادة

(الآفة الثالثة عشرة)

الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال صلى الله عليه وسلم الوأى مثل الدين أو أفضل والوأى الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام فى كتابه العزيز فقال انه كان صادق الوعد قيل انه واعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسى فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى اليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى وعن عبد الله بن أبى الخنساء قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الميعاد فلا يجىء قال ينتظره الى أن يدخل وقت الصلاة التى تجىء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد فلا بد من الوفاء الا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازما على أن لا يفى فهذا هو النفاق وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبى فاعطى اثنين وبقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول الا ترى أثر الرحى بيدى فذكر موعده لابى الهيثم فجعل يقول كيف بموعدى لابى الهيثم فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لى عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين [٣] صائبة وراعيها قال هى لك وقال احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما حين حكمها موسى عليه السلام فقالت حكمى أن تردنى شابة وأدخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون أشح من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف أن يعد الرجل الرجل وفى نيته أن لا يفى وفى لفظ آخر اذا وعد

فى الابتداء يفنى عن الخلق ويرى الاشياء من الله حيث طالع ناصية التوحيد وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى الى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا فى المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لانهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة الحمادون الذين

[٣] قوله صائبة هكذا بالاصل المطبوع ولعله ضائنة فليحرر اه

الرجل أخاه وفى نيته أن يفى فلم يجد فلا اثم عليه

(الآفة الرابعة عشرة)

الكذب فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وقال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من أبواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذى يبنى عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة و يتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا و يقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون و يحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة فى قلبه الى يوم القيامة وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان فى فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه و رجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن و رجل كان معه قوم فى سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنأهم الله التاجر أو البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذى أقامنى ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب فى قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزنى المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبى الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال أبو سعيد الخدرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول فى دعائه اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت ان تعطيه قالت تمرا فقال أما انه لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم لو أفاء الله على عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا الا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال ألا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم تقبلوا لى بست أتقبل لكم بالجنة قالوا وما هن قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا

يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء وقال عليه السلام من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام (وروى) جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد ينعم عليه بنعمة فحمد الله الا كان الحمد أفضل منها فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا و يحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التى حمد عليها فاذا شكر والمنعم الاول يشكرون الواسطة المنعم من الناس و يدعون له (روى) أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر عند قوم قال أفطر عندكم الصائمون

يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم وقال صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا
ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم وخطب عمر رضى الله عنه يوما فقال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامى هذا فيكم فقال أحسنوا الى أصحابى ثم الذين يلونهم ثم
يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبى صلى الله عليه
وسلم من حدث عنى بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف
على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان وروى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع أو
يطوى عليها المسلم الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه
على الكذبة فما ينجلى من صدره حتى يعلم انه قد أحدث توبة لله عز وجل منها وقال موسى عليه السلام
يا رب أى عبادك خير لك عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه وقال لقمان لابنه يا بنى
اياك والكذب فانه شهى كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه * وقال عليه السلام فى مدح الصدق
أربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن خلق وعفة
طعمة وقال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة وقال
معاذ قال صلى الله عليه وسلم أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الامانة والوفاء بالعهد وبذل
الطعام وخفض الجناح (وأما الآثار) فقد قال على رضى الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان
الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ
شددت على ازارى وقال عمر رضى الله عنه أحبكم الينا ما لم نركم أحسنكم اسما فاذا رأيناكم فأحبكم الينا
أحسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فأحبكم الينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة وعن ميمون بن أبى شبيب قال
كتبت يوما كتابا فأتيت على حرف ان أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه
فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وقال
الشعبى ما أدرى أيهما أبعد غورا فى النار الكذب أو البخل وقال ابن السماك ما أرانى أوجر على ترك
الكذب لانى انما أدعه أنفة وقيل لخالد بن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك
ابن دينار قرأت فى بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان
كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان
فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك فى شئ فقال له كذبت
فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه

* (بيان ما رخص فيه من الكذب) *

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن
يعتقد المخبر الشئ على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة
ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب
فى بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سعى خلف انسان بالسيف ليقتله فدخل دارا
فانتهى اليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألست تقول لم أره فلا تصدق وهذا الكذب واجب فنقول
الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن الوصول اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه

واكل طعامكم الابرار ونزلت
عليكم السكينة (أخبرنا)
أبو زرعة عن أبيه قال
أنا أحمد بن محمد بن أحمد
البزار قال أنا أبو حفص
عمر بن ابراهيم قال ثنا
عبد الله بن محمد البغوى
قال أنا عمرو بن زرارة
قال ثنا عيينة بن يونس
عن موسى بن عبيدة عن
محمد بن ثابت عن أبى
هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال لاخيه
جزاك الله خيرا فقد
أبلغ فى الثناء * ومن
أخلاق الصوفية بذل
الجاه للاخوان والمسلمين
كافة فاذا كان الرجل
وافر العلم بصيرا بعيوب
النفس وآفاتها وشهواتها
فليتوصل الى قضاء
حوائج المسلمين ببذل
الجاه والمعاونة فى اصلاح
ذات البين وفى هذا
المعنى يحتاج الى مزيد
علم لانها أمور تتعلق

حرام وان أمكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان فى الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين واستمالة قلب المجنى عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغى أن يحترز منه ما أمكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما فى الاصل الا لضرورة والذى يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نمى خيرا وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما وروى عن أبى كاهل قال وقع بين اثنين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسى وأصلحت بين هذين فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو أى بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم أكذب على أهلى قال لا خير فى الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك وروى ان ابن أبى عروة الدؤلى وكان فى خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتى يتزوج بهن فطارت له فى الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الارقم حتى أتى به الى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضينى قالت لا تنشدنى قال فانى أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال انكم لتحدثون انى أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الارقم فسأله فأخبره فأرسل الى امرأة ابن أبى عروة فجاءت هى وعمتها فقال أنت التى تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت انى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى انه ناشدنى فتحرجت أن أكذب أفأكذب يا أمير المؤمنين قال نعم فاكذبى فان كانت احداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذى يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحسان وعن النواس بن سمعان الكلابى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى أراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة الا أن يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا وقال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن النبى صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب الى من أن أكذب عليه واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفى معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو لغيره أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا وان كان عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة انها أحب اليه وان كانت امرأته لا تطاوعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها فى الحال تطييبا لقلبها أو يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس

بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك الا لصوفى تام الحال عالم ربانى (روى) عن زيد ابن أسلم انه قال كان نبى من الانبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس (وقال عطاء) لان يرائى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أتم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن ان يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا الا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له فى شئ من الجاه والمال ولولا ان ملوك الارض وقفوا فى خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل الى أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح الا لآحاد من الخلق وأفراد من الصادقين

به ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق فى هذه المواضع تولد منه محذور فينبغى أن يقابل
أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذى يحصل بالصدق أشد وقعا فى الشرع من
الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود أهون من مقصود الشرع فيجب الصدق وقد يتقابل الامران
بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق أولى لان الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فان شك
فى كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغى أن
يحترز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر
الكذب فأما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس انما
هو لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكى عن
زوجها ما تفخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بما لم يفعل اضارها بذلك فهل على شئ
فيه فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما
لا يطعم أو قال لى وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبى زور يوم القيامة ويدخل فى هذا فتوى
العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذى لا يتثبته اذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف
من أن يقول لا أدرى وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبى اذا كان لا يرغب فى المكتب
الا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا فى الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن
الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما أبيح
بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذى هو مستغن
عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع فى خطر الاجتهاد ليعلم
المقصود الذى كذب لاجله هل هو أهم فى الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه
الى أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى الى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد
ظن ظانون انه يجوز وضع الاحاديث فى فضائل الاعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا أن القصد
منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ فى الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات
والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه
أعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التى تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتح بابه الى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا يقاومها شئ نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد نقل عن السلف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضى الله عنه اما فى المعاريض ما يكفى
الرجل عن الكذب وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وانما أرادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى
الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون
ومثال التعريض ما روى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعال بمرض وقال ما رفعت جنبى مذ
فارقت الامير الا ما رفعنى الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شئ فكرهت ان تكذب فقل ان الله
تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شئ فيكون قوله ما حرف نفى عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ بن جبل
عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتى به العمال الى أهلهم وما كان

ينسلخون عن ارادتهم
واختيارهم ويكاشفهم
الله تعالى بمراده منهم
فيدخلون فى الاشياء
بمراد الله تعالى فاذا علموا
أن الحق يريد منهم
المخالطة وبذل الجاه
يدخلون فى ذلك بغيبة
صفات النفس وهذا
لاقوام ماتوا ثم حشروا
واحكموا مقام الفناء ثم
رقوا الى مقام البقاء فيكون
لهم فى كل مدخل ومخرج
برهان وبيان واذن من
الله تعالى فهم على بصيرة
من ربهم ليس فيهم
ارتياب لصاحب قلب
مكاشف بصريح المراد
فى خفى الخطاب فيأخذ
وقته أبدا من الاشياء ولم
تأخذ الاشياء من وقته
ولا يكون هذا فى قطر من
الاقطار الا واحد متحقق
بهذا الحال (قال) أبو
عثمان الحيرى لا يكمل
الرجل حتى يستوى
قلبه فى أربعة أشياء

قد أتاها بشئ فقال كان عندى ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبى
بكر رضى الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعاه اذا
وقال بعثت معك ضاغطا قال ما أجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه واعطاه شيأ فقال
ارضها به ومعنى قوله ضاغطا يعنى رقيبا وأراد به الله تعالى وكان النخعى لا يقول لابنته أشترى لك سكرا
بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان اذا طلبه من يكره ان يخرج اليه
وهو فى الدار قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبى
اذا طلب وهو فى المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعى الاصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا
كله فى موضع الحاجة فأما فى غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو
مكروه على الجملة كما روى عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبى على عمر بن عبد العزيز رحمة الله
عليه فخرجت وعلى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير
المؤمنين خيرا فقال لى أبى يابنى اتق الكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقرير الهم على ظن كاذب
لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب
الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وقوله للاخرى الذى فى عين زوجك
بياض وللاخرى نحملك على ولد البعير وما أشبهه وأما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصارى مع
عثمان فى قصة الضرير اذ قال له عثمان وكما يعتاده الناس بملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امرأة قد رغبت
فى تزويجك فان كان فيه ضرر وتعد الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبته فلا يوصف صاحبها
بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا يكمل للمرء الايمان حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه وأما قوله عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة
ليضحك بها الناس يهوى بها فى النار أبعد من الثريا أراد به ما فيه غيبة مسلم أو ايذاء قلب دون محض
المزاح ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة فى المبالغة كقوله طلبتك كذا كذا مرة
وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة
كان كاذبا وان كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثرة لا يأثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض
مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول
لا أشتهيه وذلك منهى عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس كنت
صاحبة عائشة فى الليلة التى هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله
ما وجدنا عنده الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردى يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولى صواحبك فقلن
لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يارسول الله ان قالت احدانا لشئ تشتهيه لا أشتهيه أيعد
ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان أهل الورع يحترزون
عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص
خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينيك فأقول لا وهذه مراقبة
أهل الورع ومن تركه انسل لسانه فى الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمى
قال جاءت أخت الربيع بن خيثم عائدة لابن لى فانكبت عليه فقالت كيف أنت يابنى فجلس الربيع
وقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخى فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه
قال عيسى عليه السلام ان من أعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب

المنع والعطاء والعز
والذل ولمثل هذا الرجل
يصلح بذل الجاه والدخول
فيما ذكرناه (قال) سهل
ابن عبد الله لا يستحق
الانسان الرياسة حتى
تجتمع فيه ثلاث خصال
يصرف جهله عن الناس
ويحتمل جهل الناس
ويترك ما فى أيديهم
ويبذل ما فى يده لهم
وهذه الرياسة غير الرياسة
التى زهد فيها وتعين
الزهد فيها ضرورة
صدقه وسلوكه وانما
هذه رياسة أقامها الحق
لاصلاح خلقه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشكر نعمتها لله تعالى

* (الباب الحادى والثلاثون فى ذكر الادب ومكانه من التصوف) *

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال أدبنى ربى فاحسن
تاديبى فالادب تهذيب
الظاهر والباطن فاذا

فى حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذقال عليه السلام ان من أعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام مالم ير أو يقول على مالم أقل وقال عليه السلام من كذب فى حلم كلف يوم القيامة أن يعقد شعيرة وليس بعاقد

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة والنظر فيها طويل)

فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو بردة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وأبى سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى اعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت النبى عليه الصلاة والسلام فقلت علمنى خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو ان تصب من دلوك فى اناء المستقى وان تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتابنه وقال البراء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع عورته يفضحه فى جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجىء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فائذن لى لأفطر فيأذن له والرجل يجىء حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما ان يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيآ فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار وفى رواية انه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله والله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتونى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئى فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم عليهما جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسر فغرس على قبر وقال أما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا فى الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر صلى

عليه

تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا وانما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ولا يتكامل الادب فى العبد الا بتكامل مكارم الاخلاق ومكارم الاخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم الخلق لا سبيل الى تغييره كالخلق وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل وقد قال تعالى لا تبديل لخلق الله والاصح أن تبديل الاخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حسنوا أخلاقكم وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للادب ومكارم الاخلاق ووجود الاهلية

عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن
من هذه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الاعمال
ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة
وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضج ويكلح وروى مرفوعا كذلك وروى أن رجلين كانا قاعدين
عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقى فيه منه شئ وأقيمت الصلاة
فدخلا فصليا مع الناس فجال ذلك فى أنفسهما فاتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة
وأمرهما أن يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد انه قال فى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان فى
الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة
وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الاكلة فى
الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن
أعراض الناس وقال ابن عباس اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة
يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب
حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك
فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر
عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه
الصلاة والسلام ما أشد بياض اسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه
لا يذكر من شئ من خلق الله الا أحسنه وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له
اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم
والغيبة وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

(بيان معنى الغيبة وحدودها)

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه أو فى خلقه أو فى
فعله أو فى قوله أو فى دينه أو فى دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته * أما البدن فذكرك العمش والحول
والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيف ما كان
وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطى أو هندى أو فاسق أو خسيس أو اسكاف أو زبال أو شئ مما يكرهه كيف
ما كان * وأما الخلق فبأن تقول هو سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف
القلب متهور وما يجرى مجراه * وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب
خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات
أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة
والتعرض لاعراض الناس * وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس أو لا يرى
لاحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو انه كثير الكلام كثير الاكل نؤوم ينام فى غير وقت
النوم ويجلس فى غير موضعه * وأما فى ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال
قوم لا غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصى وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال هى
فى النار وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها اذا فهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك
لحاجتهم الى تعرف الاحوال بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس الرسول صلى

فيه كوجود النار فى الزناد
ووجود النخل فى النوى
ثم ان الله تعالى بقدرته
ألهم الانسان ومكنه من
اصلاحه بالتربية الى أن
يصير النوى نخلا والزناد
بالعلاج حتى تخرج منه
نار وكما جعل فى نفس
الانسان صلاحية الخير
جعل فيها صلاحية الشر
حال الاصلاح والافساد
فقال سبحانه وتعالى
ونفس وما سواها فألهمها
فجورها وتقواها فتسويتها
بصلاحيتها للشيئين
جميعا ثم قال عز وجل
قد أفلح من زكاها وقد
خاب من دساها فاذا
تزكت النفس تدبرت
بالعقل واستقامت
أحوالها الظاهرة والباطنة
وتهذبت الاخلاق
وتكونت الآداب فالادب
استخراج ما فى القوة الى
الفعل وهذا يكون لمن
ركبت السجية الصالحة
فيه والسجية فعل الحق

الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فانه به مغتاب عاص لربه وآكل
لحم أخيه بدليل ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم
قال ذكرك أخاك بما يكرهه قال أرأيت ان كان فى أخى ما أقوله قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم
يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى
الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ماليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن
عائشة رضى الله عنها انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله
عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغيبة ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل فى كتاب الله عز وجل
فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ماليس فيه والافك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا
فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال أستغفر الله انى أرانى قد اغتبته وذكر ابراهيم النخعى فوضع يده على
عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا تغتابن أحدا فانى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبى صلى الله عليه
وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال ألفظى فلفظت مضغة لحم

﴿بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان﴾

اعلم أن الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به
كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود
فهو داخل فى الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضى الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت
بيدى أنها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعاوجا أو كما يمشى فهو غيبة
بل هو أشد من الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهيم ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة حاكت امرأة
قال ما يسرنى أنى حاكيت ولى كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم أحد اللسانين وذكر المصنف
شخصا معينا وتهجينه وذكر كلامه فى الكتاب غيبة الا أن يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره
كما سيأتى بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعريض لشخص معين اما حى أو
ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا
معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كره من انسان شيأ قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من
السفر أو بعض أهل العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهى غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة
القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة
ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل ان يذكر
عنده انسان فيقول الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل فى طلب الحطام أو يقول نعوذ
بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء
وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر فى العبادات ولكن
قد اعتراه فتور وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره فى ضمن ذلك
ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش
وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل اذا اشتغلوا
بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أنه يذكر
عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغى اليه ويعلم ما يقول

لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار فى الزناد اذ هو فعل الله المحض أو استخراجه بكسب الآدمى فهكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة الى استخراج ما فى النفوس مركوز بخلق الله تعالى الى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين والآداب تقع فى حق بعض الاشخاص من غير زيادة ممارسة ورياضة لقوة ما أودع الله تعالى فى غرائزهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبنى ربى فأحسن تأديبى وفى بعض الناس من يحتاج الى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها فى الغريزة فلهذا احتاج

فيذكر الله تعالى و يستعمل اسمه آلة له فى تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز و جل بذكره جهلا منه
وغرورا وكذلك يقول ساءنى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله ان يروح نفسه فيكون
كاذبا فى دعوى الاغتمام وفى اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه فى خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به
لاغتم أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه وهو
فى كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفى قصده وهو لجهله لا يدرى انه قد تعرض
لمقت أعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما
يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق
فيقول عجب ماعلمت أنه كذلك ماعرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من
بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال صلى الله
عليه وسلم المستمع أحد المغتابين وقد روى عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ان أحدهما قال لصاحبه ان
فلانا لنووم ثم انهما طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم
قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه قال بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما
والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه
الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا أن ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وان قدر على
القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق
ولا يخرجه من الاثم مالم يكرهه بقلبه ولا يكفى فى ذلك أن يشير باليد أى اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه
فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم من أذل
عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق وقال أبو الدرداء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم
القيامة وقال أيضا من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار وقد ورد فى نصرة
المسلم فى الغيبة وفى فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها فى كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول
باعادتها

(بيان الاسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد فى حق العامة وثلاثة
تختص باهل الدين والخاصة *(أما الثمانية)* فالاول أن يشفى الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب
به عليه فانه اذا هاج غضبه فيشتفى بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد
يمتنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر
المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة * الثانى موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء
ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو أنكر عليهم أو قطع
المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة فى الصحبة
وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى
ذكر العيوب والمساوى * الثالث أن يستشعر من انسان انه سيقصده و يطول لسانه عليه أو يقبح حاله
عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله و يطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو
يبتدئ بذكر مافيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول و يستشهد به و يقول ما من
عادتى الكذب فانى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت * الرابع أن ينسب الى شئ فيريد أن
يتبرأ منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره اليه أو

المريدون الى صحبة
المشايخ لتكون الصحبة
والتعلم عونا على
استخراج مافى الطبيعة
الى الفعل قال الله تعالى
قوا أنفسكم وأهليكم نارا
قال ابن عباس رضى الله
عنهما فقهوهم وأدبوهم
وفى لفظ آخر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أدبنى ربى فأحسن
تأديبى ثم أمرنى بمكارم
الاخلاق فقال خذ العفو
وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين * قال
يوسف بن الحسين
بالادب يفهم العلم و بالعلم
يصح العمل و بالعمل
تنال الحكمة و بالحكمة
يقام الزهد و بالزهد
تترك الدنيا و بترك الدنيا
يرغب فى الآخرة
و بالرغبة فى الآخرة
تنال الرتبة عند الله
تعالى (قيل) لما ورد
أبو حفص العراق
جاء اليه الجنيد فرأى

يذكر غيره بانه كان مشاركاله فى العمل ليمهد بذلك عذرنفسه فى فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وفهمه ضعيف وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه و يريهم انه اعلم منه او يحذران يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك * السادس الحسد وهوانه ربما يحسد من يثنى الناس عليه و يحبونه و يكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه واكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق * السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجيب * الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجرى فى الحضور و يجرى أيضا فى الغيبة ومنشؤه التكبر واستجهال المستهزأ به * وأما الاسباب الثلاثة التى هى فى الخاصة فهى أغمضها وأدقها لانها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر * الاول أن تنبعث من الدين داعية التعجب فى انكار المنكر والخطا فى الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا و يكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى اظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدرى ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل * الثانى الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمنى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام و يلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الى شر من حيث لا يدرى والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه و يذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا فى ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتى ذكره روى عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انى لابغض هذا فى الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه واخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله ان يدعوه له فدعاه وسأله فقال نعم قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآنى أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رآنى قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيأ فسأله عنه فقال لا فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيأ من ماله فى سبيل الله الا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر قال فاسأله هل رآنى نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذى يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك

* (بيان العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة) *

اعلم أن مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن

أصحاب أبى حفص وقوفا على رأسه يأتمرون لامره لايخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الادب فى الظاهر عنوان الادب فى الباطن قال أبو الحسين النورى ليس لله فى عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أعز من الخدمة (حكى) عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت استلقى وأمد رجلى فجاءتنى عائشة المكية فقالت لى يا أبا عبيد يقال انك من

سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على
الجملة فهو أن يعلم أن تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم أنها تحبط
حسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته في القيامة الى من اغتابه بدلا عما اجتاحه من عرضه فان لم تكن له
حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل
العبد يدخل النار بان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل
بها الرجحان و يدخل بها النار وانما أقل الدرجات ان تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة
والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في
حسنات العبد وروى أن رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي اني أحكمك
في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد من الاخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا
أن يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله
عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحيي من أن يترك ذم نفسه و يذم غيره بل ينبغي
أن يتحقق ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله
واختياره وان كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها قال رجل لحكيم
يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهي الي فأحسنه واذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا
يلوثن نفسه بأعظم العيوب فان ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن
ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم الذنوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته
كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه
معالجات جلية أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد
قدمنا الاسباب أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول اني اذا امضيت
غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت
بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال
صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اى الحور شاء وفي
بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك
فيمن امحق واما الموافقة فبأن تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين
فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى
وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه
بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث
يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الله اشد من التعرض لمقت المخلوقين وانت
بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا
بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق
نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام ففلان يأكله وان قبلت مال
السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله
تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته
لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين

أهل العلم أقبل مني كلمة
لا تجالسه الا بادب والا
فيمحى اسمك من ديوان
القرب قال أبو عبيد
وكانت من العارفات وقال
ابن عطاء النفس مجبولة
على سوء الادب والعبد
مأمور بملازمة الادب
والنفس تجري بطباعها
في ميدان المخالفة والعبد
يردها بجهده الى حسن
المطالبة فمن أعرض
عن الجهد فقد أطلق
عنان النفس وغفل عن
الرعاية ومهما أعانها
فهو شريكها وقال الجنيد
من أعان نفسه على هواها
فقد أشرك في قتل نفسه
لان العبودية ملازمة
الادب والطغيان سوء
الادب (أخبرنا) الشيخ
العالم ضياء الدين عبد
الوهاب بن علي قال أنا
أبو الفتح الهروي قال
أنا أبو النصر الترياقي قال
أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو العباس المحبوبي

المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهى أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان تنطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت العنز أكيس منى وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك فينبغى أن تعلم انك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيأ * وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت فى الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك فى الدنيا فصرت أيضا خاسرا فى الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأنفذت اليه حسناتك فاذا أنت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك أو تنقل اليك سيآته فلا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل

وإذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت فى حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسلطه على الانتقام منك وأما الرحمة على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبر الاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب أنت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة وأما التعجب اذا أخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت ستر أخيك بالتعجب فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التى هى من أبواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ولست أعنى به الا عقد القلب وحكمه على غيره بسوء الظن فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهى عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد فى غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغى أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز

قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا قتيبة قال ثنا يحيى ابن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع (وروى) أيضا أنه قال عليه السلام ما نحل والد ولدا من نحلة أفضل من أدب حسن (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه (وقال) أبو على الدقاق العبد يصل بطاعته الى الجنة وبادبه فى طاعته الى الله تعالى (قال) أبو القاسم القشيرى رحمه الله كان الاستاذ أبو على لا يستند الى شئ فكان يوما فى مجمع فاردت أن أضع وسادة خلف ظهره لانى رأيته غير

تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لان الفاسق يتصور أن يصدق فى خبره ولكن لايجوز لك أن تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لايجوز أن يحد اذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بها ومجها وماشربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة أو بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغى أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وان مارأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول امارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لايحققه أى لايحقق فى نفسه بعقد ولافعل لافى القلب ولافى الجوارح أما فى القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وأما فى الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقى اليه أن هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته وأما اذا أخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لوكذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغى ان تحسن الظن بواحد وتسئ بالآخر نعم ينبغى أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولاتكذبه ولكن تقول فى نفسك المذكور حاله كان عندى فى ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عنى وقد بقى كما كان لم ينكشف لى شئ من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولامحاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغى أن تزيد فى مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه فى السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بدالة الوعظ ولكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان فى دينك وينبغى أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب اليك من تركه بالنصيحة فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لايقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهى عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهى عنه فى آية واحدة ومعنى التجسس أن لايترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له مالو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا فى كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

(بيان الاعذار المرخصة فى الغيبة)

اعلم ان المرخص فى ذكر مساوى الغير هو غرض صحيح فى الشرع لايمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهى ستة أمور * الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا

مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة أوسجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شئ أبدا (وقال) الجلالى البصرى التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لاتوحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لاشريعة له لا ايمان له ولاتوحيد له والشريعة توجب الادب فمن لا أدب له لاشريعة له ولا ايمان له ولاتوحيد (وقال) بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الادب باطنا الا عوقب باطنا قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت الى غلام أمرد فنظر الى الدقاق وأنا أنظر اليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال

عاصيا أما المظلوم من جهة القاضى فله أن يتظلم الى السلطان و ينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا
به قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مطل الغنى ظلم وقال عليه السلام لى
الواجد يحل عقوبته وعرضه ❊ الثانى الاستعانة على تغيير المنكر و رد العاصى الى منهج الصلاح
روى ان عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب
الى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما
بلغ عمر رضى الله عنه ان أبا جندل عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة اذ كان
قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن
ذلك هو المقصود كان حراما ❊ الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتى ظلمنى أبى أو زوجتى أو أخى وكيف طريقى
فى الخلاص والاسلم التعريض بأن يقول ما قولك فى رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين
مباح بهذا العذر لما روى عن هند بنت عتبة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان رجل شحيح
لا يعطينى ما يكفينى وولدى أفآخذ من غير علمه فقال خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت
الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء ❊ الرابع تحذير المسلم
من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف
له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع
الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من
اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فان
سكوتك ضرر المشترى وفى ذكرك ضرر العبد والمشترى أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكى اذا سئل عن
الشاهد فله الطعن فيه وكذلك المستشار فى التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد
النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب
علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترغبون عن
ذكر الفاجر بما فيه اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون
ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه ❊ الخامس ان يكون الانسان معروفا بلقب
يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى أبو الزناد عن الاعرج وسلمان
الاعمش وما يجرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه
صاحبه لو علمه بعد ان قد صار مشهورا به نعم ان وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى
ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص ❊ السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث
وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف
من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فاذا ذكر فيه ما يتظاهر به فلا اثم عليه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضى الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد
به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل
الفاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب
الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون
به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو اغتابه بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على
ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج

فوجدت غبها بعد
عشرين سنة أن أنسيت
القرآن (وقال) سرى
صليت وردى ليلة من
الليالى ومددت رجلى
فى المحراب فنوديت
ياسرى هكذا تجالس
الملوك فضممت رجلى
ثم قلت وعزتك لا مددت
رجلى أبدا قال الجنيد
فبقى ستين سنة ما مد
رجله ليلا ولا نهارا (قال
عبد الله بن المبارك)
من تهاون بالادب عوقب
بحرمان السنن ومن
تهاون بالسنن عوقب
بحرمان الفرائض ومن
تهاون بالفرائض عوقب
بحرمان المعرفة (وسئل
السرى) عن مسئلة فى
الصبر فجعل يتكلم فيها
فدب على رجله عقرب
فجعلت تضربه بابرتها
فقيل له الا تدفعها عن
نفسك قال أستحى من
الله أن أتكلم فى حال ثم
أخالف ما أعلم فيه وقيل

فلعلوا انك اذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

﴿بيان كفارة الغيبة﴾

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم و يتوب و يتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته و ينبغى أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفى الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال و ربما استدل فى ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته أن تستغفر له وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن أبى رباح عن التوبة من الغيبة قال أن تمشى الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فان شئت آخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب فى العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل فى الحديث الصحيح ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال فليتحللها منه من قبل ان يأتى يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لابد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا أو ميتا فينبغى ان يكثر له الاستغفار والدعاء و يكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فأقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحب وسبيل المعتذر أن يبالغ فى الثناء عليه والتودد اليه و يلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا أحلل من ظلمنى وقال ابن سيرين انى لم أحرمها عليه فأحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله أبدا فان قلت فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن فى التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى قد تصدقت بعرضى على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه انى لا أطلب مظلمة فى القيامة منه ولا أخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه لانه عفو قبل الوجوب الا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء ان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدى الله عز و جل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس فى الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال ان الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك و روى عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه رطبا على طبق وقال بلغنى انك أهديت الى من حسناتك فأردت ان أكافئك عليها فاعذرنى فانى لا أقدر ان أكافئك على التمام

﴿الآفة السادسة عشرة النميمة﴾

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى

من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) أنس ابن مالك الادب فى العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الادب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال أن تعامل الله سرا وعلنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت أعجميا ثم أنشد

اذا نطقت جاءت بكل مليحة
وان سكتت جاءت بكل مليح

وقال الجريرى منذ عشرين سنة ما مددت رجلى فى الخلوة فان حسن الادب مع الله أحسن وأولى ٭ وقال أبو على ترك الادب موجب للطرد فمن أساء الادب على البساط رد الى الباب ومن أساء الادب على

لا يكتم الحديث وأشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد الزنا استنباطا من قوله عز وجل
عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعى وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة
الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل
كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
نمام وفى حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله
المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا أخبركم
بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أشار على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة
وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه
بها فى الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم القيامة فى النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر
من النميمة وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد
من دخلنى فقال الجبار جل جلاله وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك
مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذى
يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ولا يفى به وروى كعب الاحبار ان بنى اسرائيل أصابهم قحط
فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم
نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا قال يا موسى أنهاكم
عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات
فلما قدم عليه قال انى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن
الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه
وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرىء أثقل من السموات
والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى
القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم

(بيان حد النميمة وما يجب فى ردها)

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق فى الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم
فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حده كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول
اليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالايماء وسواء كان المنقول من
الاعمال أو من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا فى المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر
وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس فينبغى أن يسكت عنه الا ما فى
حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود
عليه فأما اذا رآه يخفى مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا فى المحكى
عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكى عنه أو اظهار الحب
للمحكى له أو التفرج بالحديث والخوض فى الفضول والباطل وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان
فلانا قال فيك كذا أو فعل فى حقك كذا أو هو يدبر فى افساد أمرك أو فى ممالاة عدوك أو تقبيح حالك

الباب رد الى سياسة الدواب

(الباب الثانى والثلاثون فى آداب الحضرة الالهية لاهل القرب)

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى مازاغ البصر وما طغى وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال أعرض عما سوى الله وتوجه الى الله وترك وراء ظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت الى ما أعرض عنه ولا لحقه الاسف على الغائب فى اعراضه قال الله تعالى لكيلا تأسوا

على مافاتكم فهذا الخطاب للعموم ومازاغ البصر اخبار عن حال النبي عليه السلام بوصف خاص من معنى ماخاطب به العموم فكان مازاغ البصر حاله في طرف الاعراض وفي طرف الاقبال تلقى ماورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فرمن الله تعالى حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفراره في مطاوى انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى لان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط

اوما يجرى مجراه فعليه ستة أمور * الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة * الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر * الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى * الرابع ان لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم * الخامس ان لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى ولا تجسسوا * السادس ان لا ترضى لنفسك مانهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد أتيت ما عنه نهيت وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيأ فقال له عمر ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذبا فانت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ وان كنت صادقا فانت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا * وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فاخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخى الى وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمينة وروى ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما قلت فقال سليمان ان الذى أخبرني صادق فقال له الزهرى لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل القاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن على رضي الله عنه ان رجلا سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أقلناك فقال أقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان أميرا بلغني ان فلانا أعلم الامير انى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي ان لا أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال * وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ فأخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعى فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعى بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال انى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا في الامة خسفا وفي الامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتها كا أعلى قربهم البغى والنميمة وأجل

وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤل عما أجرموا وليسوا المسؤلين عما أجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم
فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسوارى مايزال يذكرك فى قصصه بشر فقال له عمرو ياهذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا أديت حقى حين أعلمتنى عن أخى ما أكره ولكن أعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين * ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله ان نقبل مهتوكا فى مستور ولولا انك فى خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك فتوق ياملعون العيب فان الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعى لعنه الله وقال لقمان لابنه يابنى أوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا أبسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وأمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى اثافى الذل وقال بعضهم لو صح مانقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى مافيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه ان سيدى لايحبك وهو يريدان يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريدان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين فنسأل الله حسن التوفيق

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفى لفظ آخر هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال أبو هريرة لاينبغى لذى الوجهين أن يكون أمينا عند الله وقال مالك ابن دينار قرأت فى التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم أبغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا أبطاء واذا دعوا الى الشيطان وأمره كانوا اسراعا وقال ابن مسعود لايكونن أحدكم أمعة قالوا وما الامعة قال الذى يجرى مع كل ريح واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر رضى الله عنهما أيموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تصل

عليه

فى البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فموسى عليه السلام صح له فى الحضرة أحد طرفى مازاغ البصر وما التفت الى مافاته وماطغى متأسفا لحسن أدبه ولكن امتلأ من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت الى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ماوصل اليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرنى أنظر اليك فمنع ولم يطلق فى فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لارباب القرب والاحوال السنية فكل قبض يوجد عقوبة لان كل قبض سد فى وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الافراط فى البسط ولو حصل

عليه فقال يا أمير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بعدك
فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فأقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما
وكان صادقا فيه لم يكن ذا لسانين ولا منافقا فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة
لا تنتهى الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصحبة
والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بأن
ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل
واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بأن
ينصره وكذلك اذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك اذا أثنى على أحدهما واذا خرج من عنده
يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى أن يسكت أو يثنى على المحق من المتعاديين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره
وبين يدى عدوه قيل لابن عمر رضى الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول
على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذى
أحوج نفسه الى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة
الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى
القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فأما اذا ابتلى به لضرورة وخاف
ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال أبو الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه أقوام وان قلوبنا
لتلعنهم وقالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس
رجل العشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول
فقال يا عائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد فى الاقبال وفى الكشر والتبسم فأما
الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز الا لضرورة أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز
الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو
منافق بل ينبغى أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

(الآفة الثامنة عشرة)

المدح وهو منهى عنه فى بعض المواضع أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله
ست آفات أربع فى المادح واثنتان فى الممدوح *(فأما المادح)* فالاولى أنه قد يفرط فينتهى به الى
الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة
يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع
ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روى أن
رجلا مدح رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها
ما أفلح ثم قال ان كان أحدكم لا بد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكى على الله أحدا حسيبه الله ان
كان يرى أنه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التى تعرف بالادلة كقوله انه متق
وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراه فأما اذا قال رأيته يصلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة
ومن ذلك قوله انه عدل رضى فان ذلك خفى نعم لا ينبغى أن يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنه سمع عمر رضى
الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته فى المبايعة والمعاملة قال لا قال فأنت
جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذى لا اله الا هو لا أراك تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو

الاعتدال فى البسط
ما وجبت العقوبة بالقبض
والاعتدال فى البسط
بايقاف النازل من المنح
على الروح والقلب
والايقاف على الروح
والقلب بما ذكرناه من
حال النبى عليه السلام
من تغييب النفس فى
مطاوى الانكسار فذلك
الفرار من الله الى الله
وهو غاية الادب حظى
به رسول الله عليه الصلاة
والسلام فما قوبل
بالقبض فدام مزيده
وكان قاب قوسين أو
أدنى ويشاكل الشرح
الذى شرحناه قول أبى
العباس بن عطاء فى قوله
تعالى ما زاغ البصر وما
طغى قال لم يره بطغيان
يميل بل رآه على شرط
اعتدال القوى وقال
سهل بن عبد الله
التسترى لم يرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم
الى شاهد نفسه ولا الى

ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى فى أرضه والظالم الفاسق ينبغى أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح * (وأما الممدوح فيضره من وجهين) * أحدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضى الله عنه كان عمر رضى الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ أقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالى ولك يا أمير المؤمنين قال مالى ولك أما لقد سمعتها قال قد سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شئ فأحببت أن أطاطئ منك * الثانى هو أنه اذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما اذا انطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت أخاك فى وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضا وقال أيضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسى وقال زياد بن مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه وقال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذى يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالم لرجح وقال فى عمر لو لم أبعث لبعثت ياعمر وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما أثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبنى آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته أربع على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك فهذه آفات المدح

* (بيان ما على الممدوح) *

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما فى خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم احثوا فى وجوه المداحين التراب وقال سفيان بن عيينة لا يضر مدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفونى وأنت تعرفنى وقال آخر لما أثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الى بمقتك وأنا أشهدك على مقته وقال على رضى الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون وأثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال أتهلكنى وتهلك نفسك وأثنى رجل على على كرم الله وجهه

مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر بن عبد الله بن على السراج قال أنا أبو الطيب العكى عن أبى محمد الجريرى قال التبرع الى استدراك علم الانقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة والملاذ

فى وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال أنا دون ماقلت وفوق مافى نفسك

(الآفة التاسعة عشرة)

فى الغفلة عن دقائق الخطا فى فحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ فى أمور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر فى علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت وذلك لان فى العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه فى بعض الامر فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله عديلا بل ماشاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلنى ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغنى المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتنى خلقته خنزيرا رأيتنى خلقته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم قال عمر رضى الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها وقال صلى الله عليه وسلم لاتسموا العنب كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك ربى ولا ربتى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لاتقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فان يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل فى الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم انه اذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهى على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لاينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما فى القرآن الا أن ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامى يفرح بالخوض فى العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم فى العلم بما هو كفر وهو لا يدرى وكل كبيرة يرتكبها العامى فهى أسلم له من أن يتكلم فى العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من

بالهرب من علم الدنو وصلة واستفتاح فقد الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم فى حيز الاقبال مساءة والاصغاء الى تلقى ماينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقى جراءة والانبساط فى محل الانس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفى قوله تعالى مازاغ البصر وما طغى وجه آخر ألطف مما سبق مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وما طغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم فى تقدم النظر على

الله عز وجل و يتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسا الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذرونى ماتركتكم فانما اهلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه مااستطعتم وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلونى ولا تسألونى عن شئ الا أنبأتكم به فقام اليه رجل فقال يارسول الله من أبى فقال أبوك حذافة فقام اليه شابان أخوان فقالا يارسول الله من أبونا فقال ابوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يارسول الله أفى الجنة انا أم فى النار فقال لابل فى النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام اليه عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا قال اجلس ياعمر رحمك الله انك ماعلمت لموفق وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر مانزلت آية المتلاعنين الا لكثرة السؤال وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لاتؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بينى وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم فى حروف القرآن يضاهى حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لامحالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون * ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون الذى استدرج عباده من حيث لا يعلمون * وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون * وعرفهم انه لا يخفى عليه شئ مما يسرون وما يعلنون وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون * فقال ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * والصلاة على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه المتقون * وعلى آله وأصحابه الائمة المهديون * والسادة المرضيون * صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون * ويحظى ببركتها الاولون والآخرون * وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة * وانها لمستكنة فى طى الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد * و يستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد * كاستخراج الحجر النار من الحديد * وقد انكشف للناظرين بنور اليقين * ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين

القدم طغيان والمعنى
بالنظر علم وبالقدم حال
القالب فلم يتقدم النظر
على القدم فيكون طغيانا
ولم يتخلف القدم عن
النظر فيكون تقصيرا
فلما اعتدلت الاحوال
وصار قلبه كقالبه وقالبه
كقلبه وظاهره كباطنه
وباطنه كظاهره وبصره
كبصيرته وبصيرته كبصره
فحيث انتهى نظره وعلمه
قارنه قدمه وحاله ولهذا
المعنى انعكس حكم معناه
ونوره على ظاهره وأتى
ببراق ينتهى خطوه حيث
ينتهى نظره لا يتخلف
قدم البراق عن موضع
نظره كما جاء فى حديث
المعراج فكان البراق
بقالبه ممشاكلا لمعناه
ومتصفا بصفته لقوة حاله
ومعناه وأشار فى حديث
المعراج الى مقامات
الانبياء ورأى فى كل
سماء بعض الانبياء اشارة
الى تعويقهم وتخلفهم

فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين * فان شأن الطين السكون والوقار * وشأن النار التلظي والاستعار * والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد * وبهما هلك من هلك وفسد من فسد * ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب * مما يسوق العبد الى مواطن العطب * فما أحوجه الى معرفة معاطبه ومساويه * ليحذر ذلك ويتقيه * ويميطه عن القلب ان كان وينفيه * ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه * ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه * ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه * ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق

(بيان ذم الغضب)

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا وأقلله لعلي أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان ابن داود عليهما السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحكيم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا أستطيع أن لا أغضب انما أنا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب أحد الا أشفى على جهنم وقال له رجل أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب (الآثار) قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح ونادى ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني أنا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد

عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله أرني أنظر اليك تجاوزا للنظر عن حد القدم وتخلفا للقدم عن النظر وهذا هو الاخلال بأحد الوصفين من قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فرسول الله جعل مقتربا قدمه ونظره في مجال الحياء والتواضع ناظرا الى قدمه قادما على نظره ولو خرج عن مجال الحياء والتواضع وتطاول بالنظر متعديا حد القدم تعوق في بعض السموات كتعوق غيره من الانبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم مستجلس جماله في خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت اليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط ما زاغ البصر وما

أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم تقبله منك فقال انى الشيطان وقد
أردت ان أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك فقال ما أريد ان أسألك عن شئ فولى
مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرنى أى اخلاق بنى آدم أعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل
اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم واذا
رضى جئت حتى أكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب
مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم
والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس
ما أعجزنى بنو آدم فلن يعجزونى فى ثلاث اذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما
أحببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما فى يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم
ما أملك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك
والغضب فانه مصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب
وما علمك بأمانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت
على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال
على بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت
ان يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا وقال بعضهم لابنه يا بنى لا يثبت
العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى فى التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان
للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول
العقل وكان عمر رضى الله عنه اذا خطب قال فى خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب
وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة فى دين وحزم
فى لين وايمان فى يقين وعلم فى حلم وكيس فى رفق واعطاء فى حق وقصد فى غنى وتجمل فى فاقة واحسان
فى قدرة وتحمل فى رفاقة وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه
ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف
ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى عناء والناس منه فى رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك
أجمل لنا حسن الخلق فى كلمة فقال ترك الغضب وقال نبى من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لى أن لا يغضب
ويكون معى فى درجتى ويكون بعدى خليفتى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب
أنا وفى به فلما مات كان فى منزلته بعده وهو ذو الكفل سمى به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب
ابن منبه للكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخوف والطمع

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة
عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم سماه فى كتابه * أما السبب
الداخل فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال
الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد
من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق
فى الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به فى جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا

طغى فمر كالبرق الخاطف
الى مخدع الوصل
واللطائف وهذا غاية فى
الادب ونهاية فى الارب
(قال) أبو محمد بن رويم
حين سئل عن أدب
المسافر فقال لا يجاوز
همه قدمه فحيث وقف
قلبه يكون مقره (أخبرنا)
شيخنا ضياء الدين أبو
النجيب اجازة قال أنا عمر
ابن أحمد قال أنا أبو بكر
ابن خلف قال أنا أبو عبد
الرحمن السلمى قال ثنا
القاضى أبو محمد يحيى بن
منصور قال حدثنا أبو
عبد الله محمد بن على
الترمذى قال حدثنا محمد
ابن رزام الابلى قال حدثنا
محمد بن عطاء الهجيمى
قال حدثنا محمد بن نصير
عن عطاء بن أبى رباح
عن ابن عباس قال تلا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الآية رب
أرنى أنظر اليك قال قال
يا موسى انه لا يرانى حى

من الهلاك بهذا السبب * وأما الاسباب الخارجة التى يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الانسان وعجنها بطينته فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلى به دم القلب و ينتشر فى العروق و يرتفع الى أعالى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب عمن فوقه وكان معه تأثير من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار خوفا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر و يصفر و يضطرب و بالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال * أما التفريط ففقد هذه القوة أوضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب * وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته فى الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * وأما الاسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفى الغيظ وطاعة الغضب و يسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذى لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل فى ولا حلم ثم يذكره فى معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ فى نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها أعمت صاحبه وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل و ينمحى فى الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عليه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار فاسود جوه وحمى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغى أن يصبر الى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار فى الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسافله وذلك لابطال النار ما فى جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهذا حال القلب عند الغضب و بالحقيقة فالسفينة فى ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح فى لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ فى السفينة

الامات ولا يابس الا تذهده ولا رطب الا تفرق انما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الادب وهذا يختص ببعض الاحوال والاشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالى أمر بالدعاء وانما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط فى طلب المآرب والحاجات الدنيوية حتى رفعه الحق مقاما فى القرب وأذن له فى الانبساط وقال اطلب منى ولو ملح العجينك فلما بسط انبسط وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير لانه كان يسأل حوائج الآخرة و يستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو فى حجاب الحشمة عن سؤال

من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسويها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذا أعماه الغضب وأصمه ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان فى حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا أثره فى الجسد وأما أثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحيى منه ذو العقل ويستحيى منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أوفاته بسبب وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا وربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك وأما أثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو صونها قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا الغيور وأنا أغير من سعد والله أغير منى وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير أمتى أحداؤها يعنى فى الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور أوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغى أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغى أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغى أن يأتى بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير

(بيان الغضب هل يمكن ازالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن

المحقرات ولهذا امثال فى الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظمات ويحتشم فى طلب المحقرات فلما رفع حجاب الحشمة صار فى مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لان معروفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الادب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الادب أو العطب وقول القائل هذا يشير الى أن الاسماء والصفات تستقل بوجود محتاج الى الادب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالانوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفى ذلك

آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقى الانسان يحب شيأ و يكره شيأ فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شئ و يخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه و يكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا أن ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام * الاول ما هو ضرورة فى حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك اذا أخذ منه ثوبه الذى يستر عورته وكذلك اذا أخرج من داره التى هى مسكنه أو اريق ماؤه الذى يعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها * القسم الثانى ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين فى أنفسهما فيكثران و يغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما فى القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب اذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد فى الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها يغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضرورى كالجاه والصيت والتصدر فى المجالس والمباهاة فى العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالى ولو جلس فى صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هى التى أكثرت محاب الانسان ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لان الحاجة صفة نقص فهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده فى أن يزيد فى حاجاته وفى شهواته وهو لا يدرى انه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى أن يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضرورى لان حبه ليس بضرورى * القسم الثالث ما يكون ضروريا فى حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا فى حق العالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه و يغرقه وكذلك أدوات الصناعات فى حق المكتسب الذى لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضرورى ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور ان لا يغضب فى غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها * (أما القسم الاول) * فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله فى الظاهر الا على حد يستحبه الشرع و يستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ فى الباطن و ينتهى ضعفه الى أن لا يظهر أثره فى الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لان ما صار ضروريا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به و تضعف هيجانه فى الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه * (وأما القسم الثانى) * فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب

العطب نهاية الارب (وقال) أبو على الدقاق فى قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين قال لم يقل ارحمنى لانه حفظ أدب الخطاب وقال عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل لم أقل رعاية لادب الحضرة * وقال أبو نصر السراج أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الادب فى مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والادب أدبان أدب قول وأدب فعل فمن تقرب الى الله تعالى بادب فعله منحه محبة القلوب (قال

وذلك بأن يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها و يتزود منها قدر
الضرورة وما وراء ذلك عليه و بال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا و يمحو حبها عن قلبه ولو كان
للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة فى هذا تنتهى الى قمع
أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فان
قلت الضرورى من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت
لا يغضب على أحد وان كان يحصل منه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان
يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد
الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن
وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته كما لا يغضب على
موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز و جل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد و يندفع أيضا بحسن الظن
بالله وهو أن يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة و ربما تكون الخيرة فى مرضه
و جوعه و جرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا
على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب فى أحوال
مختطفة ولا تدوم و يرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك
على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال
اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها منى صلاة عليه و زكاة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل
ما قلت فى الغضب والرضا فقال اكتب فو الذى بعثنى بالحق نبيا ما يخرج منه الا حق وأشار الى لسانه فلم
يقل انى لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق أى لا أعمل بموجب الغضب وغضبت
عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك
شيطان قال بلى ولكنى دعوت الله فأعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بالخير ولم يقل لا شيطان لى وأراد
شيطان الغضب لكن قال لا يحملنى على الشر وقال على رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق
وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته
وحاجته التى لا بد له فى دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغضب فيما
هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى أهم منه فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله
بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان
خفت موازينى فأنا شر مما تقول وان ثقلت موازينى لم يضرنى ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة
فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة
ان قطعتها لم يضرنى ما تقول وان لم اقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ما ستر
الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن ان يتقى الله حق تقاته و يعرفه حق
معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره
وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال ما عرفنى غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفى عن نفسه آفة
الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبى فقال ان
كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة فى الظاهر على انهم لم يغضبوا

ابن المبارك) نحن الى
قليل من الادب أحوج
منا الى كثير من العلم
وقال أيضا الادب
للعارف بمنزلة التوبة
للمستأنف * وقال
الثورى من لم يتأدب
للوقت فوقته مقت
وقال ذو النون اذا خرج
المريد عن حد استعمال
الادب فانه يرجع من
حيث جاء وقال ابن
المبارك أيضا قد أكثر
الناس فى الادب ونحن
نقول هو معرفة النفس
وهذه اشارة منه الى أن
النفس هى منبع الجهالات
وترك الادب من مخامرة
الجهل فاذا عرف النفس
صادف نور العرفان على
ما ورد من عرف نفسه
فقد عرف ربه وهذا
النور لا تظهر النفس
بجهالة الا و يقمعها بصريح
العلم وحينئذ يتأدب
ومن أقام بأدب الحضرة
فهو بغيرها أقوم وعليها
أقدر

لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لايبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب المرآة عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب ومالايمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شئ قدير والحمد لله وحده

(بيان الاسباب المهيجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وازالة أسبابها فلابد من معرفة أسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام أي شئ أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على حصول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولاخلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وانما اختلفوا في الفضل أنسابا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص فبالصبر على مر العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها الرجوع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا من الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس فان المريض أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد

(الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها)

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات بالماء قال الكلبي هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة (روى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء لما نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله اذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت

بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم

* (بيان علاج الغضب بعد هيجانه) *

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل * أما العلم فهو ستة أمور * الاول أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه * الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب أعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه * الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة فيقدم بعضها على بعض الا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه * الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والانبياء في عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل * الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يقرره على قلبه * السادس أن يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من

الآية في أهل قباء وقيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة فقال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أنا أبو منصور الحريمي قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمر الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب

غضبه * وأما العمل فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فيتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض وكأن هذا اشارة الى السجود وتمكين أعز الاعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروى أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروى ان أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر بلغني انك اليوم عيرت أخاك بامه فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها مالك وهذا انك لست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فأعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فأعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بالحق فانهم لا يصلحهم الا ذلك أي لا تعطل الحدود * وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم

بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة (والفرض) في الاستنجاء شيآن ازالة الخبث وطهارة المزيل وهو أن لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا رمة وهي عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فاما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية يحبون أن يتطهروا ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء اذا كانت أرضا طاهرة وترابا طاهرا * وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قبل ملاقاة النجاسة ويمده بالمسح ويدير الحجر في مده حتى لا ينقل النجاسة

بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق و يخيره من أى الحور شاء (الآثار) قال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بنى لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثورى وأبو خزيمة اليربوعى والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضى الله عنه والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله أوصنى قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

(فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه و يحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه أشار بهذا الى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم أشار بهذا الى أن التكبر والتجبر هو الذى يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال على كرم الله وجهه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا أهل بيته وقال أبو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لى قرابة أصلهم و يقطعونى وأحسن اليهم و يسيئون الى و يجهلون على وأحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعنى به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيأ فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم انى قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا أصبح يقول اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى وقيل فى قوله تعالى ربانيين أى حلماء علماء وعن الحسن فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبى رباح يمشون على الارض هونا أى حلماء وقال ابن أبى حبيب فى قوله عز وجل وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما أى اذا أوذوا

صفحوا

من موضع الى موضع يفعل ذلك الى أن ينتهى الى مؤخر المخرج ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح الى المقدمة ويأخذ الثالث ويديره حول المسربة وان استجمر بحجر ذى ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء اذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا الى الحشفة بالرفق لئلا يندفق ببقية البول ثم ينتره ثلاثا و يحتاط فى الاستبراء بالاستنقاء وهو أن يتنحنح ثلاثا لان العروق ممتدة من الحلق الى الذكر وبالتنحنح تتحرك وتقذف ما فى مجرى البول فان مشى خطوات وزاد فى التنحنح فلا بأس ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر الى أن لا يرى

صفعوا و روى أن ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود
وأمسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم
قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلني منكم ذوو الأحلام والنهى ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق و روى انه وفد
على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة
ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل يمشي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلام ان فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ماهما بابي أنت وأمي يا رسول
الله قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما أو خلقتان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما
فقال الحمد لله الذى جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم
الحيى الغنى المتعفف أبا العيال التقى و يبغض الفاحش البذى السائل الملحف الغبي وقال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن
معاصى الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى
الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم
ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا
الجنة فنعم أجر العاملين (الآثار) قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على
رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك وان لا تباهى
الناس بعبادة الله واذا أحسنت حمدت الله تعالى واذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم
و زينوه بالوقار والحلم وقال أكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم و جماع الامر الصبر وقال أبو الدرداء
أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ان عرفتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك
قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال على رضى الله عنه ان أول ما عوض
الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى
حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم أى الرجال
أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أى الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال أنس بن مالك
في قوله تعالى فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه أخوه فيقول
ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحلم
على فاستعبدني بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن أوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا أمير المؤمنين
كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني
فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل
حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين
فقال ليس تقبل شهادتك وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى اليه بخميصة
كانت عليه وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص
الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع
ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني و بين قوم منازعة في أمر واني أريد

الرطوبة وشبهه بعضهم
الذكر بالضرع وقال
لا يزال تظهر منه الرطوبة
مادام يمد فيراعى الحد في
ذلك و يراعى الوتر في
ذلك أيضا والمسحات
تكون على الارض
الطاهرة أو حجر طاهر
وان احتاج الى أخذ
الحجر لصغره فليأخذ
الحجر باليمين والذكر
باليسار و يمسح على
الحجر وتكون الحركة
باليسار لا باليمين لئلا يكون
مستنجيا باليمين واذا أراد
استعمال الماء انتقل
الى موضع آخر و ينقع
الحجر مالم ينتشر البول
على الحشفة وفي ترك
الاستنقاء في الاستبراء
وعيد ورد فيما رواه عبد
الله بن عباس رضى الله
عنهما قال مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
قبرين فقال انهما ليعذبان
وما يعذبان في كبير اما
هذا فكان لا يستبرئ
أو لا يستنزه من البول

ان أتركه فاخشى أن يقال لى ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكننى أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغنى انك ذكرتنى بسوء قال أنت اذا أكرم على من نفسى انى اذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتى وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال معك يدخل لا معى ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل واحد منا ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل بعض الحكماء على صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فافسدت ما عليها فلم يغضب أحدنا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان كثرت منه على الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته عرضى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

(بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام)

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصى وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه وأما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان ما قالا فهو على البادئ مالم يعتد المظلوم وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصى به والذى يرخص فيه ان تقول من أنت وهل أنت الا من بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت الا من بنى هذيل فقال ابن مسعود وهل أنت الا من بنى أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى فى ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من أحد الا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض وكان

ذلك

وأما هذا فكان يمشى بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا والعسيب الجريد واذا كان فى الصحراء يبعد عن العيون * روى جابر رضى الله عنه ان النبى عليه السلام كان اذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد وروى المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأتى النبى عليه السلام حاجته فابعد فى المذهب وروى أن النبى عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط أو نشز من الارض أو كوم من الحجارة ويجوز أن يستتر الرجل براحلته فى الصحراء أو بذيله اذا حفظ الثوب من الرشاش

ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحقرك فى عينى بما فعلت وأخزاك الله وانتقم منك فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعنى أن يأثم بعضنا فى بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضى الله عنها ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن اليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني اليك أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة والنبى صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية أتحبين ما أحب قالت نعم قال فأحبى هذه فرجعت اليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيأ فأرسلن زينب ابنة جحش قالت وهى التى كانت تساميني فى الحب فجاءت فقالت بنت أبى بكر وبنت أبى بكر فما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب فأذن لى فسببتها حتى جف لسانى فقال النبى صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة أبى بكر يعنى انك لا تقاومينها فى الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبى صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم فأثبت للمظلوم انتصارا الى أن يعتدى فهذا القدر هو الذى أباحه هؤلاء وهو رخصة فى الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة فى هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه فى الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس فى الغضب أربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطىء الوقود بطىء الخمود وبعضهم بطىء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطىء الخمود وهذا شرهم وفى الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطىء الغضب سريع الفىء ومنهم سريع الغضب سريع الفىء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطىء الفىء ألا وان خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء وشرهم السريع الغضب البطىء الفىء ولما كان الغضب يهيج ويؤثر فى كل انسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا فى حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغى أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه * ورأى عمر رضى الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسى ولم أحب ان أضرب مسلما حمية لنفسى وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا انك أغضبتني لعاقبتك

(القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور * الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان أصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتى ذمه ان شاء الله تعالى * الثانى أن يزيد على اضمار الحسد فى الباطن فيشمت بما أصابه من

و يستصحب البول فى أرض دمثة أو على تراب مهيل قال أبو موسى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يبول فأتى دمثا فى أصل جدار فبال ثم قال اذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله و ينبغى أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة فى البنيان والاولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء الى كراهية ذلك فى البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض ويجتنب مهاب الرياح احترازا من الرشاش قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه قال لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك انى بها لحاذق قال فصفها لى فقال أبعد الاثر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى

البلاء * الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك * الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغاراله * الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وعورة * السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه * السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه * الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن يحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا يخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله به ولكن يستثقله في الباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى أن يبقى على ما كان عليه فان أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللحقود ثلاثة أحوال عند القدرة * أحدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل * الثاني أن يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل * الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

* (فضيلة العفو والاحسان) *

اعلم ان معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك أفردناه قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم في ذلك غضبا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى ان يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول

اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام يعني أستقبل أصول النبات من الشيح وغيره واستدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه * ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي من الرياء وحصن فرجي من الفواحش ويكره ان يبول الرجل في المغتسل روى عبد الله ابن مغفل أن النبي عليه السلام نهى أن يبول الرجل في مستحمه وقال أن عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك يوسع في البول في المستحم اذا جرى فيه الماء واذا كان في البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول بسم الله أعوذ بالله من

أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ماذا تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وعن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذى له على الله أجر قال العافون عن الناس فيقوم كذا كذا ألفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لوالى أمر ان يؤتى بحد الا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو احداهن يا رسول الله قال أو احداهن (الآثار) قال ابراهيم التيمى ان الرجل ليظلمنى فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا أراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك أن تلقى الله ومظلمتك كما هى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان آخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئتما استجبنا لك وأجبنا عليك وان شئتما أخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوى وقال مسلم ابن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه أسرع اليه من دعائك عليه الا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل وعن ابن عمر عن أبى بكر انه قال بلغنا ان الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شئ فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام ابن محمد قال أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف حلمها * ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله فى وفد من أهل البصرة الى أبى جعفر قال فكنت عنده اذ أتى برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت يا أمير المؤمنين الا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادى من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خلينا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا فقال لا ولكنه انما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعنى الحقد والغضب وأتى هشام برجل بلغه عنه أمر فلما

الخبث والخبائث حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى قال أنا أبو منصور المقرى قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمر والهاشمى قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود قال ثنا عمرو وهو ابن مرزوق البصرى قال ثنا شعبة عن قتادة عن النضر بن أنس عن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل أن تتخذ الكنف فى البيوت وقوله محتضرة أى يحضرها الشياطين وفى الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا

أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم أيضا فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله
عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما فقال
هشام بلى ويحك تكلم وروى ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له أقطعه فانه من أعدائنا
فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم
طلب الدراهم وكانت فى عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعى فجعلوا يدعون على من
أخذها ويقولون اللهم أقطع يد السارق الذى أخذها اللهم أفعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حمله
على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل
ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس الى فى المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت
معه فجعل يبكى فقلت أعلى الدنانير تبكى فقال لا ولكن مثلتنى واياه بين يدى الله عز وجل فاشرف
عقلى على ادحاض حجته فبكائى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة
أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن
قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له فى الجب فقال باعوا أخاهم
وأحزنوا أباهم وذكر ما لقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال أيها الامير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع
ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله قال لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول
لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد الا ثوبى هذا لواريتكم تحته وكتب بن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن
بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد
العفو فضلا وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى
قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروى ان زيادا أخذ رجلا من
الخوارج فأفلت منه فأخذ أخاله فقال له ان جئت بأخيك والا ضربت عنقك فقال أرأيت ان جئتك
بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليك شاهدين
ابراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى فقال
زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

(فضيلة الرفق)

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن
الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش
عن التفكر ويمنع من التثبت والرفق فى الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط
قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة
ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله
أهل بيت أدخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق
واذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة
رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف
وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقى فان الله اذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى
الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم أيما وال ولى ورفق ولان رفق الله

يتولع بيده ولا يخط فى الارض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر الى عورته الا للحاجة الى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى ولا يستصحب معه شيأ عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أبى بكر رضى الله عنه أنه قال استحيوا من الله فانى لأدخل الكنيف فألزق ظهرى وأغطى رأسى استحياء من ربى عز وجل

(الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره)

تعالى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلاثا قال نعم قال اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شئ الازانه ولا ينزع من شئ الاشانه (الآثار) بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من عماله اشتكوا فامرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيتها الرعية ان لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير أيتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شئ أحب الى الله ولا أعز من حلم امام ورفقه وليس شئ أبغض الى الله ولا أغم من جهل امام وخرقه واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا أو مرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده وقال بعضهم ما أحسن الايمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شئ الى شئ مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

و وضع الندى في موضع السيف بالعلا ✱ مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة أميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله وروى أن عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية أما بعد فان التفهم في الخبر زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الأناة وان المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وان العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن أبي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيأ الا أعطوك باللين ما هو أفضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في أكثر الاحوال وأغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فان كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

✱(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته)✱

✱(بيان ذم الحسد)✱

اذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك (حدثنا) شيخنا أبو النجيب قال أنا أبو عبد الله الطائي قال أنا الحافظ الفراء قال أنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي قال أنا أبو منصور محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد بن زنجويه قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لاخرت العشاء الى ثلث الليل وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروت عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم للحسد
من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد
وأسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال أنس
كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل
الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان
الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام
النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل
عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره
يقوم من الليل شيأ غير أنه اذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير
أني ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين
والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف
عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو
الا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه قال عبد الله
فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن
والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا
تبغ وفي رواية ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فأثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال
صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر
ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا
أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد
الحسد أن يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم أنه سيصيب أمتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر
والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج وقال صلى الله
عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل الى
ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يخبره
باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق
والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير
راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم
المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي
نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله أعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على
ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من
هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة
والعلماء بالحسد (الآثار) قال بعض السلف ان أول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم عليه
السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي أن عون بن عبد الله دخل على
الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال اياك والكبر
فانه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص

اذا قام من الليل يشوص
فاه بالسواك والشوص
الدلك ويستحب السواك
عند كل صلاة وعند كل
وضوء وكلما تغير الفم
من أزم وغيره وأصل
الازم امساك الاسنان
بعضها على بعض وقيل
للسكوت أزم لان الاسنان
تنطبق وبذلك يتغير الفم
ويكره للصائم بعد الزوال
ويستحب له قبل الزوال
وأكثر استحبابه مع غسل
الجمعة وعند القيام من
الليل ويندي السواك
اليابس بالماء ويستاك
عرضا وطولا فان اقتصر
فعرضا فاذا فرغ من
السواك يغسله ويجلس
للوضوء والاولى أن يكون
مستقبل القبلة ويبتدئ
بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول رب أعوذ بك
من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن
يحضرون ويقول عند
غسل اليد اللهم اني أسألك

فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر الآية وإياك والحسد فانما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق الآيات واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك و يقول ما يقول زعم ان الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن الى المحسن باحسانه فان المسىء سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فأخذه ومضى به الى العامل فقال العامل فى كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى فالله الله فى أمرى حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك قال لانه أطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسىء اساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شىء من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنى يعقوب نعم ولكن غمه فى صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

كل العداوة قد ترجى اماتتها ❊ الا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابى ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذى أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

❊(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)❊

اعلم أنه لا حسد الا على نعمة فاذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهى لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة و يوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر فى الاسامى بعد فهم المعانى وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فأما الاول فهو

اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة و يقول عند المضمضة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك و يقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأوجدنى رائحة الجنة وأنت عنى راض و يقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار و يقول عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد و بيض وجهى يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود وجوه أعدائك وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم انى أعوذ بك أن تؤتينى

حرام بكل حال الا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هى نعمة بل من حيث هى آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته و يدل على تحريم الحسد الاخبار التى نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة والى هذا أشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما فى قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم فلما كرهوا حب أبيهم له وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا أى لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى فى معرض الانكار أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس أمة واحدة الى قوله الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل فى التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم و يؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبى الذى وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذى تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ليكفروا بما أنزل الله بغيا أى حسدا وقالت صفية بنت حيى للنبى صلى الله عليه وسلم جاء أبى وعمى من عندك يوما فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول انه النبى الذى بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة فهذا حكم الحسد فى التحريم ﴿ وأما المنافسة فليست بحرام بل هى اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلى حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة والذى يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلمه الناس ثم فسر ذلك فى حديث أبى كبشة الانصارى فقال مثل هذه الامة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته علما ولا

يؤته

كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى وعند مسح الرأس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك ويقول عند مسح الاذنين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنى ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعنى منادى الجنة مع الابرار و يقول فى مسح العنق اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال و يقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين و يقول عند اليسرى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين واذا

يؤته مالا فيقول لو أن لى مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط غيره فى نعمة ويشتهى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لانه اذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادته مساواته واللحوق به فى النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها فى المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو أنه اذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه ورد الى اختياره لسعى فى ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده فى طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ أى ان وجدت فى قلبك شيأ فلا تعمل به وبعيد أن يكون الانسان مريدا اللحاق بأخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر ومامن انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقاربه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوى الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذا لم يقدر هو أن يرتقى الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان فى مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه فى ذلك مالم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه ❁ وأما مراتبه فأربع (الاولى) أن يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث (الثانية) أن يحب زوال النعمة اليه لرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها (الثالثة) ان لا يشتهى عينها لنفسه بل يشتهى مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كى لا يظهر التفاوت بينهما (الرابعة) ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب اليه ان كان فى الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى استغفرك واتوب اليك فاغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا ❁ وفرائض الوضوء النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وحد الوجه من مبتدا تسطيح الوجه الى منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الأذن الى الاذن عرضا ويدخل فى الغسل البياض الذى بين الاذنين واللحية

(بيان أسباب الحسد والمنافسة)

أما المنافسة فسببها حب مافيه المنافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن فى الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لايختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه أو الى من يحبه واما أن يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما أن يكون فى طبعه ان يتكبر على المحسود و يمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيما فيعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته فى أغراضه واما أن يكون يحب الرياسة التى تنبنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما أن لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الاسباب *(السبب الاول)* العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه فى غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ فى نفسه الحقد والحقد يقتضى منه التشفى والانتقام فان عجز المتنغص عن ان يتشفى بنفسه أحب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وانها لاجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقى ان لا يبغى وان يكره ذلك من نفسه فأما ان يبغض انسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضى الى التقاتل والتنازع واستغراق العمر فى ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجرى مجراه *(السبب الثانى)* التعزز وهو أن يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه *(السبب الثالث)* أن يكون فى طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة فى أغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف الى مساواته أو الى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم *(السبب الرابع)* التعجب كما أخبر الله تعالى عن الامم السالفة اذ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم

فحسدوهم

وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء الى شعر التحذيف وهو القدر الذى يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء الى العنفقة والشارب والحاجب والعذار وما عدا ذلك لا يجب ثم اللحية ان كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد فى تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين الواجب الثالث غسل اليدين الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين فى الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت الاظافير حتى خرجت من رؤس الاصابع يجب غسل ما تحتها على

فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة وقال تعالى أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآية ❊ (السبب الخامس) ❊ الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم الى أغراض (السبب السادس) حب الرياسة وطلب الجاه بنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له فى أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه فى المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب فى هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم (السبب السابع) خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر وطلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب أمور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث فى النفس ورذالة فى الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع فى ازالتها وهذا خبث فى الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل فى العادة ازالته فهذه هى أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب أو أكثرها أو جميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يتهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

❊ (بيان السبب فى كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه) ❊

اعلم أن الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التى ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه فى غرض من

الاصح الواجب الرابع مسح الرأس ويكفى ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو ان يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى الموضع الذى بدأ منه وينصف بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا ❊ والواجب الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين فى الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف الساقين ويقنع غسل القدمين مع الكعبين ويجب تخليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر رجله اليسرى وان كان فى الرجل شقوق يجب ايصال الماء الى باطنها وان ترك فيها شحما أو شمعا يجب ازالة

الاغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد فى قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه
ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التى توصله الى أغراضه وتترادف جملة الاسباب
اذ لا رابطة بين شخصين فى بلدتين متقابلتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك فى محلتين نعم اذا تجاور فى
مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض
التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد
العابد دون التاجر والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر
سوى الاجتماع فى الحرفة ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها
وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون
على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر
اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه الى
طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان
مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض
وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه
والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص فاصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة
التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد
بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت فى جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من
هو فى العالم وان بعد ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هى
التى تضيق على المتزاحمين أما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب
معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره اذا عرف
ذلك أيضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به
ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة
فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهى بحر واسع لا ضيق
فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لان أجل ما عند الله سبحانه
من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد
الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال أعيان وأجسام اذا وقعت
فى يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم
عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح
بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال
لا يحل فى يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم فى قلب العالم مستقر ويحل فى قلب غيره بتعلمه من غير
أن يرتحل عن قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما فى الارض لم يبق بعده
مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته
وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون فى قلبه
حسد لاحد من الخلق لان غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون
لذة هؤلاء فى مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى أشجار الجنة وبساتينها بالعين
الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التى هى صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبدا يجنى ثمارها فهو

عين ذلك الشئ * الواجب
السادس الترتيب على
النسق المذكور فى كلام
الله تعالى * الواجب
السابع التتابع فى القول
القديم عند الشافعى
رحمه الله تعالى وحد
التفريق الذى يقطع
التتابع نشاف العضو مع
اعتدال الهواء * وسنن
الوضوء ثلاثة عشر
التسمية فى أول الطهارة
وغسل اليدين الى
الكوعين والمضمضة
والاستنشاق والمبالغة
فيهما فيغرغر فى المضمضة
حتى يرد الماء الى
الغلصمة ويستمد فى
الاستنشاق الماء
بالنفس الى الخياشيم
ويرفق فى ذلك ان
كان صائما وتخليل
اللحية الكثة وتخليل
الاصابع المنفرجة
والبداءة بالميامن واطالة
الغرة واستيعاب الرأس
بالمسح ومسح الاذنين

روحه وقلبه متغذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية و رياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة أيضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنه رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور اذ العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل سافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية في حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياءه وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمن البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو انك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الاعداء لك وتشتهيه لاعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع

والتثليث وفي القول الجديد التتابع ويجتنب أن يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلي بالوضوء ما تيسر والا فمكروه

(الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء)

أدب الصوفية بعد القيام بمعرفة الاحكام أدبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة ومن آدابهم استدامة الوضوء والوضوء سلاح المؤمن والجوارح اذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر

فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما انه لا ضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد أن يدوم الى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة فى دفعه بل كل شئ عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك كان لنبى من الانبياء امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضى أيامها أى ما قدرناه فى الازل فلا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليه اثم فى الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه أولا لنفسك فانك أيضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنه يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد أيضا يشتهى أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك فى أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها وأما ان المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح أما منفعته فى الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما اذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه أعنى انك بذلك تهدى اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فأضفت اليه نعمة الى نعمة وأضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة وأما منفعته فى الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمانى أعاديك أن يكونوا فى نعمة وأن تكون فى غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهى عدوك موتك بل يشتهى أن تطول حياتك ولكن فى عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات أعداؤك بل خلدوا ✽ حتى يروا فيك الذى يكمد
لا زلت محسودا على نعمة ✽ فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة و بلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تأملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به فى الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك فى الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا فى الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال أعظم سرور على ابليس الذى هو أعدى أعدائك لانه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذى اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه فى الثواب بسبب المحبة لان من أحب الخير للمسلمين كان شريكا فى الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر فى الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف ابليس أن تحب ما أنعم

شرعى يقل طروق الشيطان عليها قال عدى بن حاتم ما أقيمت صلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وقال أنس بن مالك قدم النبى عليه السلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لى يا بنى ان استطعت ان لا تزال على الطهارة فافعل فانه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة (وحكى) عن الحصرى أنه قال مهما أنتبه من الليل لا يحملنى النوم الا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا يعود الى النوم وأنا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ على ابن الهيتى انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول

الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه
بعملك وقد قال اعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقام اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال
يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام الا أنى أحب
الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم
كفرحهم يومئذ اشارة الى ان أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله
وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال أبو موسى قلت يا رسول الله
الرجل يحب المصلين ولا يصلى ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبى صلى الله عليه وسلم
هو مع من أحب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت أن تكون عالما فكن
عالما وان لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فان لم تستطع
فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك
ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك أخاك وحملك على الكراهية حتى أثمت وكيف لا وعساك
تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ فى دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن
يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق
به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء فى الحديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب
له والكاف عنه أى من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك ابليس عن
جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك
فى عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد فى صورة من
يرمى سهما الى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود
ثانية فيرمى أشد من الاولى فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه
فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون
عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك فى الحسد أقبح من هذا لان الرمية العائدة لم
تفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه
الى غضب الله والى النار فلأن تذهب عينه فى الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها
لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن
الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا
يحيق المكر السيئ الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى
بمثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها ما تمنيت لعثمان شيأ الا نزل بى حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا
اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش
والتشفى من الاعداء وهو الداء الذى فيه هلك الامم السالفة فهذه هى الادوية العلمية فمهما تفكر
الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه
ومسخط ربه ومنغص عيشه وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول
وفعل فينبغى أن يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فى محسوده كلف لسانه المدح له والثناء
عليه وان حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه ألزم
نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر

لا أكون أسأت الادب
فيقوم ويجدد الوضوء
ويصلى ركعتين
(وروى) أبو هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لبلال عند صلاة
الفجر يا بلال حدثنى
بأرجى عمل عملته فى
الاسلام فانى سمعت دف
نعليك بين يدى فى
الجنة قال ما عملت عملا
فى الاسلام أرجى عندى
أنى لم أتطهر طهرا فى
ساعة ليل او نهار الا
صليت لربى عز وجل
بذلك الطهر ما كتب
لى ان اصلى * ومن
أدبهم فى الطهارة ترك
الاسراف فى الماء والوقوف
على حد العلم (أخبرنا)
الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن على قال
أنا أبو الفتح الهروى قال
أنا أبو نصر الترياقى قال
أنا أبو محمد الجراحى قال
أنا أبو العباس المحبوبى
قال أنا أبو عيسى الترمذى

حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار
السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه و يسترقه و يستعطفه و يحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم
ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه و يصير ما تكلفه أولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول
الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وان ذلك مذلة
ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة من
الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب الى التآلف والتحاب و بذلك تستريح القلوب من ألم الحسد
وغم التباغض فهذه هى أدوية الحسد وهى نافعة جدا الا أنها مرة على القلوب جدا ولكن النفع فى الدواء
المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للاعداء
والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضا بقضاء الله تعالى
وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون فى العالم شئ على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد
ما لا يكون اذ لا مطمع فى أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل
الا بأحد أمرين اما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف
والمجاهدة فيه وأما الثانى فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل
هذا هو الدواء الكلى فاما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة
الحرص على ما لا يغنى وسيأتى تفصيل مداواة هذه الاسباب فى مواضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد
هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة
ولا يزال يعود مرة بعد أخرى و يطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد أن يحسد
من استأثر بالجاه والمنزلة فى قلوب الناس دونه و يغمه ذلك لا محالة وانما غايته أن يهون الغم على نفسه
ولا يظهر بلسانه و يده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

(بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب)

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك
أن لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما
تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوى ذلك فيك حتى بعثك الى اظهار الحسد
بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان
كففت ظاهرك بالكلية الا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهية لهذه الحالة فانت
أيضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما
أوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم أما
الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون
الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك و بين الله تعالى وانما يجب
الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة
ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما فى طبعها فتكون تلك
الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت
اختيارك فى أغلب الاحوال أكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن و يكون
فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام
ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهى أمره الى

قال حدثنا محمد بن بشار
قال حدثنا أبو داود قال
حدثنا خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد عن
الحسن عن يحيى بن ضمرة
السعدى عن أبى بن
كعب عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال للوضوء
شيطان يقال له الولهان
فاتقوا وساوس الماء قال
أبو عبد الله الروذبارى
ان الشيطان يجتهد أن
يأخذ نصيبه من جميع
أعمال بنى آدم فلا يبالى
أن يأخذ نصيبه بأن
يزدادوا فيما أمروا به أو
ينقصوا عنه (وحكى)
عن ابن الكرنبى انه
أصابته جنابة ليلة من
الليالى وكانت عليه
مرقعة ثخينة غليظة فجاء
الى الدجلة وكان برد
شديد فحرنت نفسه عن
الدخول فى الماء لشدة
البرد فطرح نفسه فى
الماء مع المرقعة ثم خرج
من الماء وقال عقدت

لا يلتفت قلبه الى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته أعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى أنه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك مالم تبده وروى عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد أن لا يبغي والاولى أن يحمل هذا على ماذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ماورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل فهو في محل الاجتهاد والاظهر ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد أن يعفى عن العبد في ارادته اساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال أحدها أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه * الثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا * الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان أحسنت ساعة أساءت سنة وان أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن أعرض عنها واقفته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي غدارة مكارة خداعة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما أصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يغن بالامس تمني أصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح

ان لا أنزعها من بدني حتى تجف على فكنت عليه شهر الشتاء نتنها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عن الائتمار لامر الله تعالى (وقيل) ان سهل بن عبد الله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الارض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف النفس واماتة الشهوات وكسر القوة ومن أفعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء للوضوء (قيل) كان ابراهيم الخواص اذا دخل البادية لا يحمل معه الا ركوة من الماء وربما كان لا يشرب منها الا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل انه كان يخرج من مكة الى الكوفة ولا يحتاج الى التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب وقيل اذا رأيت الصوفي

قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا ودعاؤهم ثبورا هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله أما عداوتها الله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها وأما عداوتها لاولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذ عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه

* (بيان ذم الدنيا) *

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الاجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه

ليس معه ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه في الطهارة الى حد أنه أقام بين ظهرانى جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لانه كان يقضى حاجته اذا خلا الموضع في وقت يريد تأديب نفسه وقيل مات الخواص في جامع الرى في وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان ابراهيم بن أدهم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلى ركعتين وقيل ان بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا في وقت البراز يراعى

أفضل الصلاة والسلام أيضا يامعشر الحواريين انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من عباد بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شئ وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كآمالكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لاحد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لادنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتى يا لاشئ انى لم أرضك لهم فى الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروى فى أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شئ من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له أى شئ تريد قال آدم أريد أن أضع ما فى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن

الادب فى الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر قال أنا أبو محمد قال أنا أبو العباس قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبد الله بن وهب عن زيد بن حباب عن أبى معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء * وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية فى تطهير البواطن من الصفات الرديئة والاخلاق

أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستوى حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء واحد وروى ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهى لكل شئ مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى يا موسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى فى الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى

المذمومة لا الاستقصاء فى طهارة الظاهر الى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحترزون عن الخمر وأجرى الامر على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الارض من غير سجادة ويمشون حفاة فى الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر فى الاستنجاء فى بعض الاوقات وكان أمرهم فى الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم فى الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون فى بعض الاشخاص تشدد فى الطهارة ويكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا

اليه اذا كان الليل فناداهم مجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بينا نحن في عافية أصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لأمه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني من بينهم قال لأني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال أبغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة وقال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدرون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونه المصائب وتقيمون فيه المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت ان الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله أستعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك للدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى

يبالي بما في باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الارض حافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينكر عليه أن يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك في الاستبراء لانه ربما يسترخي العرق ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرط (ومن حكايات) المتصوفة في الوضوء والطهارات أن أبا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم ويخرج الى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لان الماء كان يضره

لاتركنن الى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال على رضى الله عنه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله أدركت أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح فى شئ من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من تعب الدنيا انها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها اما أن تزيد واما أن تنقص وقال سفيان أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها وقال أبو سليمان الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابى حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو أخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجىء فى طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال أبو حازم اياكم والدنيا فانه بلغنى انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفى ذلك قيل

وما المال والاهلون الا وديعة * ولا بد يوما أن ترد الودائع

وزارت رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وكان مع ذلك لايدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل فى عينه الماء فحملوا اليه المداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوى يحتاج الى ترك الوضوء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

(الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها)

(روى) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح

وقيل أيضا أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ماقد بناه تهدما
وقيل أيضا فى ذلك هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى انتقال
ومادنياك الامثل فىء * أظلك ثم آذن بالزوال
وقال لقمان لابنه يابنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل
ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم
وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها وفى ذلك قيل
اذا امتحن الدنيا اللبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق
وقيل أيضا ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد تطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة * كر الجديدين اقبالا وادبارا
يامن يعانق دنيا لابقاء لها * يمسى ويصبح فى دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك أن لا تأمن النارا
وقال أبو امامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى ان لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن غير حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لكم من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال أبو سليمان الدارانى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ماترضى احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه مايبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ماتقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له ان يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر

للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بى الظهر واشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة اذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التى لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها المصلى من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلى كالمصطلى بالنار ومن اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لايعرض على نار جهنم الاتحلة القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبى العباس

بهاان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة
بحبل فسلم وساله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه و رحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا
فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك
وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت
فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم
يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت الى دار
تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته
وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله
ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا
تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا
كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال
أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه
من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه
وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قدمات
فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول
فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا
لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم
أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن
الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا
المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده أو أجل
حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لى اليك وقال داود الطائى رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ
أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما
يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما فى الدنيا شئ يسرك الا وقد ألصق الله اليه شيأ يسوءك وقال
الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن
الزاد لما يقدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو
سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على
حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى أى عذاب الله
ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هى لأحد
بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه
واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول فى دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الأرض
الا باذنك أمسك الدنيا عنى وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام
وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم
فى عينه ما صغره الله وصغر فى عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة
عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة

فانك

الخليلى قال أنا أبو سعيد
الفرخزاذى قال أنا أبو
اسحق أحمد بن محمد قال
أنا أبو القاسم الحسن بن
محمد قال أنا أبو زكريا
يحيى بن محمد العنبرى قال
ثنا جعفر بن أحمد بن
الحافظ قال أنا أحمد بن
نصير قال ثنا آدم بن أبى
اياس عن ابن سمعان عن
العلاء بن عبد الرحمن
عن أبيه عن أبى هريرة
رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله عز وجل
قسمت الصلاة بينى وبين
عبدى نصفين فاذا قال
العبد بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله عز وجل
مجدنى عبدى فاذا قال
الحمد لله رب العالمين قال
الله تعالى حمدنى عبدى
فاذا قال الرحمن الرحيم
قال الله تعالى أثنى على
عبدى فاذا قال مالك يوم
الدين قال فوض الى
عبدى فاذا قال اياك نعبد

فانك لاتجد عليها أعوانا وأمامؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شئ منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالى تنادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضنى فيقول لها اسكتى يالاشئ وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته فتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشئ من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هى قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا وعظ أخا له فى الله وخوفه بالله فقال يا أخى ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فىء زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك وقال ابراهيم بن أدهم لرجل أدرهم فى المنام أحب اليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كانك تحبه فى المنام والذى تحبه فى الآخرة كانك تحبه فى اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا ياخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم انهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته بنيرانها حتى يصير رمادا يعنى الحرص ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لاحد لقيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء يستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وأن المرأة لتزين أحسن شئ منها ويراد أقبح شئ منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

(بيان المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى

واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ما سأل فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه وبين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد ورد ان الله تعالى اذا تجلى لشئ خضع له ومن يتحقق بالصلة فى الصلاة تلمع له طوالع التجلى فيخشع والفلاح للذين هم فى صلاتهم خاشعون وبانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح وقال الله تعالى وأقم الصلاة لذكرى واذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع فيها النسيان قال الله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فمن

لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هى الآخذة ما تعطى الراجعة فيما تهب بيناهى تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبيناهى تبكى له اذ أبكت عليه وبيناهى تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقى تجد فى الباقى من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوى جرحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لازواجها كلهم قالية فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه السار فى اهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز انه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامى الجوع

قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلى وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والغافل يصلى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل فى غرائب التفسير فى قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر فى الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء فى الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت الذين هم فى صلاتهم خاشعون جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما رؤى بعد ذلك أحد منهم ينظر الا الى الارض وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلائى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابتى رجلاى وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الارض أبيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الارض أغنى منى وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذنى ولا يعجبنكما ماتمتع به منها فانما هى زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان قدرته تعجز عنها وتعجز الفعلات ولكنى ارغب بكما عن ذلك فأزوى ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائى انى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لاجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل الغرة وماذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل مافيها الى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لاتدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور واذاهم منها فى بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على مابينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ماصاروا اليه من البلى والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل مافى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد * وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص

ان العبد اذا قام الى الصلاة فانه بين يدى الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك منى ابن آدم أقبل الى فانا خير لك ممن تلتفت اليه وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليت فصل صلاة مودع فالمصلى سائر الى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شئ سواه والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكأن المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب فى الهيئات تملقات متضرع سائل محتاج فاذا دعا بكليته

لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار
وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذ اعجزنها الحكيم وقد أعيت الواصف
لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا الى الصواب
وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك
لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته
وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل
وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة
الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به
فانكم هالكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم فى دار لكم فيها من طعامكم
غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم
صائرون اليه خالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل ✻ وقال على كرم الله وجهه فى خطبته أوصيكم بتقوى
الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما
مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى
أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية وكم عسى أن يبقى له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى
يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت
لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل العقل والعلم والمعرفة
والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا ولم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى
وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه ما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا
بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا
بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم
لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم
الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم ✻(بيان صفة الدنيا بالامثلة)✻
اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء تنظر اليها فتراها
ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها
فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك فى الحقيقة ساكن فى
الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه
الله أنشد وقال

أحلام نوم أو كظل زائل ✻ ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول

يا أهل لذة دنيا لا بقاء لها ✻ ان اغترارا بظل زائل حمق

وقيل ان هذا من قوله ويقال ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم
فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول

الا انما الدنيا كظل بنيته ✻ ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وان امرأ دنياه أكبر همه ✻ لمستمسك منها بحبل غرور

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها) تشبه خيالات المنام

أجابه مولاه لانه وعده
فقال ادعونى أستجب
لكم كان خالد الربعى
يقول عجبت لهذه الآية
ادعونى أستجب لكم
أمرهم بالدعاء ووعدهم
بالاجابة ليس بينهما
شرط والاستجابة والاجابة
هى نفوذ دعاء العبد فان
الداعى الصادق العالم
بمن يدعوه بنور يقينه
تخرق الحجب وتقف
الدعوة بين يدى الله تعالى
متقاضية للحاجة وخص
الله تعالى هذه الامة
بانزال فاتحة الكتاب
وفيها تقديم الثناء على
الدعاء ليكون أسرع الى
الاجابة وهى تعليم الله
تعالى عباده كيفية
الدعاء وفاتحة الكتاب هى
السبع المثانى والقرآن
العظيم قيل سميت مثانى
لانها نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله صلى

وأضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيدة ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بأيديهم شئ مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء أى شئ أشبه بالدنيا قال أحلام النائم * (مثال آخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها) * اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهى كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر * (مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها) * اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهى شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من أنت قالت أوما تعرفني قلت لا أدرى من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت ان أحببت ان تعاذ من شرى فأبغض الدرهم وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائى أقبلت الى فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل ان أقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أى رب أين اتباعى وأشياعى فيقول الله عز وجل ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغنى ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب واذا لا يمر بها أحد الا جرحته فاذا هى أدبرت كانت أحسن شئ رآه الناس واذا هى أقبلت كانت أقبح شئ رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من أنت قالت أنا الدنيا * (مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها) * اعلم أن الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيأ وهى ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهى ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهى أيام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفى الازل والابد حتى تعلم انه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا وانما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية بل لا يبنى لبنة على لبنة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص فقال أرى الامر أعجل من هذا وأنكر ذلك والى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها

الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثانى لانها استثنيت من الرسل وهى سبع آيات * وروت أم رومان قالت رآنى أبو بكر وأنا أتميل في الصلاة فزجرنى زجرا كدت ان انصرف عن صلاتى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام أحدكم الى الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود فان سكون الاطراف من تمام الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق

ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور
والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان * (مثال آخر
للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها) * اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن
حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة
شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها
ويقتل سمها فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها
وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه
والسلام * (مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) * قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كالماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه
وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن
بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها
فكما أن المشي على الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة
في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر
المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع
ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب
اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم ان الزق ما لم يتخرق أو يقحل يوشك
أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف
تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل أحدكم
كمثل الوعاء اذا طاب أعلاه طاب أسفله واذا خبث أعلاه خبث أسفله * (مثال آخر لما بقي من الدنيا
وقلته بالاضافة الى ما سبق) * قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق
من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع * (مثال آخر لتأدية علائق
الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك) * قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما
ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله يعني المالح * (مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها
وخبث عواقبها) * اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد
عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة
غايتها وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا فكذلك
كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا
مشاهدة فان من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته
به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى
للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي
ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالام يصير قال الى ما قد علمت
يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال أبي بن كعب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه
وملحه الام يصير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم
للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم

قال خشوع البدن
ونفاق القلب فاما تميل
اليهود فقيل كان موسى
يعامل بني اسرائيل على
ظاهر الامور لقلة ما في
باطنهم فكان يهيب الامور
ويعظمها ولهذا المعنى
أوحى الله تعالى اليه
أن يحلي التوراة بالذهب
ووقع لي والله أعلم أن
موسى كان يرد عليه
الوارد في صلاته ومحال
مناجاته فيموج به باطنه
كبحر ساكن تهب عليه
الريح فتتلاطم الامواج
فكان تمايل موسى عليه
السلام تلاطم أمواج
بحر القلب اذا هب عليه
نسمات الفضل وربما
كانت الروح تتطلع الى
الحضرة الالهية فتهم
بالاستعلاء وللقالب
بها تشبك وامتزاج
فيضطرب القالب ويتمايل
فرأى اليهود ظاهره
فتمايلوا من غير حظ
لبواطنهم من ذلك ولهذا

وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر انى أريد أن أسألك واستحيي قال فلا تستحي واسأل قال اذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم * (مثال آخر فى نسبة الدنيا الى الآخرة) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر أحدكم بم يرجع اليه * (مثال آخر للدنيا وأهلها فى اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها) اعلم ان أهل الدنيا مثلهم فى غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا فى نواحى الجزيرة فقضى بعضهم حاجته و بادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الاماكن وألينها وأوفقها لمراده و بعضهم توقف فى الجزيرة ينظر الى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه و بعضهم أكب على تلك الاصداف والاحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد فى السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله ضيقا وصار ثقيلا عليه و بالا فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله فى السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف و بعضهم تولج الغياض ونسى المركب و بعد فى متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واشتمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل فى رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته و يمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد فى المركب موضعا فبقى فى الشط حتى مات جوعا و بعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات فى الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل الى المركب بثقل ما أخذ من الازهار والاحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الازهار وكمدت تلك الالوان والاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا أن ألقاها فى البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد أن ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الاوسع و وصل الى الوطن سالما فهذا مثال أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الارض وهى الذهب والفضة وهشيم النبت وهى زينة الدنيا وشئ من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا و بالا عليه وهو فى الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عز وجل * (مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم) قال الحسن رحمه الله بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلى ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا

المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكارا على أهل الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بنى اسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها اذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم أن الله تعالى أوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر فبالصلاة تحقيق العبودية وأداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلاة قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد الى السنن الرواتب لتكميل الفرائض و يحتاج الى النوافل

منها أكثر اومابقى أنفدوا الزاد وخسروا الظهر وبقوا بين ظهرانى المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا
بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل فى حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما
جاءكم هذا الامن قريب فلما انتهى اليهم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا فقال علام أنتم فقالوا على ما ترى فقال
أرأيتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيأ قال عهودكم ومواثيقكم
بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيأ قال فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم
ماشاء الله ثم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا قال الرحيل قالوا الى أين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست
كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت
طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيأ وقد صدقكم فى أول
حديثه فوالله ليصدقنكم فى آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدو فأصبحوا من بين أسير
وقتيل *(مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها) اعلم ان مثل الناس فيما أعطوا من
الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد
داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل
رسمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان
عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله فى الدنيا علم انها
دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون
بالعوارى ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها
وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة ماهى وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما
الذى لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله
ماهى فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الدانى يسمى دنيا وهو كل
ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض
وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك الا أن جميع مالك اليه ميل وفيه نصيب وحظ
فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام *(القسم الاول)* ما يصحبك فى الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد
الموت وهو شيآن العلم والعمل فقط وأعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله
وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس
العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح فى لذته لانه أشهى عنده من
جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلا بل
قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم
العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل وكان آخر
يقول اللهم ارزقنى قوة الصلاة والركوع والسجود فى القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة
وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة
ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة فجعل
الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا
والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك أضافها الى الدنيا الا أنا لسنا

لتكميل السنن ويحتاج
الى الآداب لتكميل
النوافل ومن الادب ترك
الدنيا والذى ذكره سهل
هو معنى ما قال عمر على
المنبر ان الرجل ليشيب
عارضاه فى الاسلام وما
أكمل لله صلاة قيل
وكيف ذاك قال لا يتم
خشوعها وتواضعها
واقباله على الله فيها وقد
ورد فى الاخبار ان العبد
اذا قام الى الصلاة رفع
الله الحجاب بينه وبينه
وواجهه بوجهه الكريم
وقامت الملائكة من لدن
منكبيه الى الهواء
يصلون بصلاته ويؤمنون
على دعائه وان المصلى
لينثر عليه من البر من
عنان السماء الى مفرق
رأسه ويناديه مناد لو علم
المصلى من يناجى ما التفت
أو ما انفتل وقد جمع الله
تعالى للمصلين فى كل
ركعة ما فرق على أهل
السموات فلله ملائكة

هذا

هذا الكتاب نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا * (القسم الثانى) * وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا أو فى محل الحاجة نظر طويل اذ روى عن عمر رضى الله عنه انه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا أنفق عليه درهمين فكتب اليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عويمر قد كان لك فيما بين فارس والروم ما تكتفى به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها فاذا أتاك كتابى هذا فقد سيرتك الى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه * (القسم الثالث) * وهو متوسط بين الطرفين كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التى بها يصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الادناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت * أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهى من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد فى الاخبار أن أعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث وأما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى أن يدخل أوان الرؤية فى الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة فى الرجوع اليه ولذلك قيل

ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهى الذكر والفكر والعمل الذى يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى أسباب فالقدر الذى لا بد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة وان أخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا الراغبين فى حظوظها الا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف فى عرصات القيامة لاجل المحاسبة أيضا

فى الركوع منذ خلقهم الله لا يرفعون من الركوع الى يوم القيامة وهكذا فى السجود والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف فى ركوعه بصفة الراكعين منهم وفى السجود بصفة الساجدين وفى كل هيئة هكذا ويكون كالواحد منهم وبينهم وفى غير الفريضة ينبغى للمصلى أن يمكث فى ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه فان طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع المحق أنه ان سبق همه فى حال الركوع أو السجود الى الرفع منه ما وفى الهيئة حقها فيكون همه الهيئة مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت

عذاب فمن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال أيضا حلالها عذاب الا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلا فى الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك فى الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك فى فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر الى خضرة أو بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه فى الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه هذا من النعيم الذى تسئل عنه أشار به الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضى الله عنه اعزلوا عنى حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره فى كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت فى الدنيا وحتى أن سليمان عليه السلام فى ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذى هو لله فأقول الاشياء ثلاثة أقسام منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات وأنواع التنعمات فى المباحات وهى الدنيا المحض المذمومة فهى الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهى لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن أو الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء لذة فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ومجامع الهوى خمسة أمور وهى ما جمعه الله تعالى فى قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والاعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقد عرفت أن كل

فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان السرعة التى يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف فى مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتنمحى آثاره بحسن الاسترسال ويستقر فى مقعد الوصال (وقيل) فى الصلاة أربع هيآت وستة أذكار فالهيآت الاربع القيام والقعود والركوع والسجود والاذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع فى الركعتين ما يفرق على مائة ألف من الملائكة

(الباب السابع والثلاثون فى وصف صلاة أهل القرب)

ماهولله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت ومالابد منه من مسكن وملبس هولله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغى أن يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم فى الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما أمكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم السلام اذ كانوا يردون أنفسهم الى حد الضرورة حتى ان أويسا القرنى كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتى عليهم السنة والسنتان والثلاث لايرون له وجها وكان يخرج أول الاذان ويأتى الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره وان لم يصب مايقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه مايقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها فى الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم ياخوتاه ان كنتم ولابد أن ترمونى فارمونى باحجار صغار فانى أخاف ان تدموا عقبى فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال انى لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه رحمه الله ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الامن كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الامن كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الامن كان من قرن فجلسوا كلهم الارجلا واحدا فقال له عمر أقرنى أنت فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرنى فوصفه له فقال نعم وماذاك تسأل عنه ياأمير المؤمنين والله مافينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ماقلت ماقلت الا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر قال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لى هم الا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذى نعت لى فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى فقلت حياك الله من رجل ومددت يدى لاصافحه فأبى ان يصافحنى فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتنى العبرة من حبى اياه ورقتى عليه اذ رأيت من حاله مارأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت فحياك الله ياهرم بن حيان كيف أنت يا أخى ومن دلك على قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفنى ولا والله مارأيته قبل ذلك ولا رآنى فقلت من اين عرفت اسمى واسم أبى ومارأيتك قبل اليوم قال نبأنى العليم الخبير وعرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك ان الارواح لها أنفس كأنفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتغربت بهم المنازل قال قلت حدثنى رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال انى لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى صحبة بابى وامى رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغنى من حديثه كما بلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس ياهرم بن حيان فقلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن اسمعها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية احفظها منك فانى أحبك فى الله حبا شديدا قال فقام وأخذ بيدى على شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع

ونذكر فى هذا الفصل كيفية الصلاة بهيآتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال باقصى ماانتهى اليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الاقوال فى كل شئ من ذلك اذفى ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والايجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغى للعبد أن يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولايوقع الوضوء فى وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج فى معرفة الوقت الى معرفة الزوال وتفاوت الاقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بان الظل مادام فى الانتقاص فهو النصف الاول من النهار فاذا أخذ الظل فى الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس واذا عرف

العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق
الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم
لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن
حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء
ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى
الله عليه وسلم وعليهم رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفي
ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الى ربي ونعى الى نفسي ثم قال انا وأنت
في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي
اياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت
لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك اذا رجعت اليهم وأنصح للامة جميعا واياك ان تفارق
الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا
يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه
ما دام في الدنيا حيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره
له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال أستودعك الله
يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني أكره الشهرة
والوحدة أعجب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم
انك مني على بال وان لم أرك ولا تراني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وأدعو لك ان شاء الله انطلق
أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا فحرصت ان أمشي معه ساعة فأبى علي وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت
أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله
وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن
سيرة الانبياء والاولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من
ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة
طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل
بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث
في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى
به قوته على سلوك طريق العلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه
بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب
بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم ألا من
أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك فاعلم ذلك ترشد
ان شاء الله تعالى

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم)

اعلم ان الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور وقد
يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض
وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فالارض فراش

الزوال وأن الشمس على
كم قدم تزول ويعرف
أول الوقت وآخره ووقت
العصر ويحتاج الى معرفة
المنازل ليعلم طلوع
الفجر ويعلم أوقات الليل
وشرح ذلك يطول ويحتاج
أن يفرد له باب فاذا دخل
وقت الصلاة يقدم
السنة الراتبة ففي ذلك
سر وحكمة وذلك والله
أعلم أن العبد تشعث
باطنه وتفرق همه لما
بلي به من المخالطة مع
الناس وقيامه بمهام
المعاش أو سهو جرى
بوضع الجبلة أو صرفهم
الى أكل أو نوم بمقتضى
العادة فاذا قدم السنة
ينجذب باطنه الى الصلاة
ويتهيأ للمناجاة ويذهب
بالسنة الراتبة أثر الغفلة
والكدورة من الباطن
فيصلح الباطن ويصير
مستعدا للفريضة فالسنة
مقدمة صالحة يستنزل
بها البركات وتطرق

للآدميين ومهادومسكن ومستقر وماعليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ماعلى الارض
ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوى وأما المعادن
فيطلبها للآلات والاوانى كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد وأما
الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكل وظهورها للمركب والزينة
وأما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك أبدان الناس ليستخدمهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجوارى
والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذى يعبر عنه بالجاه
اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هى الاعيان التى يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى فى قوله
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها والخيل المسومة
والانعام وهى البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هى أعيان الدنيا الا أن لها مع
العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو
المحب المستهتر بالدنيا ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد
والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هى الدنيا الباطنة
وأما الظاهرة فهى الاعيان التى ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان
لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا
أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو
عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الاعيان التى سميناها دنيا لم تخلق الا
لعلف الدابة التى يسير بها الى الله تعالى وأعنى بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم ومشرب وملبس
ومسكن كما لا يبقى الجمل فى طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد فى الدنيا فى نسيانه نفسه
ومقصده مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها
ألوان الثياب ويحمل اليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج
وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل
الا القدر الذى يقوى به على المشى فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة
فكذلك البصير فى سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا لضرورة
ولا فرق بين ادخال الطعام فى البطن وبين اخراجه من البطن فى أن كل واحد منهما ضرورة البدن
ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منها وأكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان
القوت ضرورى وأمر المسكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليه
لم تستغرقهم أشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا
وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا فى
كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها
وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف
أنستهم عاقبة أمورهم فنقول الاشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والاعمال التى ترى الخلق
مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو أن الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت
للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الاهل
والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك

النفحات ثم يجدد التوبة
مع الله تعالى عند
الفريضة عن كل ذنب
عمله ومن الذنوب عامة
وخاصة فالعامة الكبائر
والصغائر مما أومأ
اليه الشرع ونطق به
الكتاب والسنة والخاصة
ذنوب حال الشخص فكل
عبد على قدر صفاء حاله
له ذنوب تلائم حاله
ويعرفها صاحبها وقيل
حسنات الابرار سيئات
المقربين ثم لا يصلى الا
جماعة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تفضل صلاة الجماعة
صلاة الفذ بسبع وعشرين
درجة ثم يستقبل القبلة
بظاهره والحضرة الالهية
بباطنه ويقرأ قل أعوذ
برب الناس ويقرأ فى
نفسه آية التوجه وهذا
التوجه قبل الصلاة
والاستفتاح قبل الصلاة
لوجهته الظاهر بانصرافه
الى القبلة وتخصيص

للبهائم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هى أصول الصناعات وأوائل الاشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء أما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفهما من أمر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للطعم والرعاية للمواشى والخيل أيضا للمطعم والمركب والاقتناص نعنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النبات والراعى يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمى وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمى ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعنى بالنجار كل عامل فى الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل فى الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابرى وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة وأما الخراز فنعنى به كل عامل فى جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين أحدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثانى التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضى الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد فى المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها وتحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وأعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا فى المنزل وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون فى الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعى والاراضى والمياه وهى لا تفى بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا هلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة

جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه عند شحمة أذنيه ورؤس الاصابع مع الاذنين ويضم الاصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيل النشر نشر الكف لا نشر الاصابع ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا ويجزم أكبر ويحصل المد فى الله ولا يبالغ فى ضم الهاء من الله ولا يبتدئ بالتكبير الا اذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نفض فالوقار اذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتأيدت بالاولى والاصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلى الصلاة بعينها (وحكى) عن الجنيد أنه

ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق و يلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى و يحتاجون الى المعاش و يحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى أن يصرف الى معايشهم وأرزاقهم الاموال الضائعة التى لا مالك لها ان كانت أو تصرف الغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وان أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة لصناعات أخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الاموال وهم العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا و يختار لكل واحد ما يليق به و يراعى النصفة فى أخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح و بعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة و يدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والملبس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب الا و ينفتح بسببه أبواب أخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى أخرى وهكذا على التوالى فهذه الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما ينتفع به وأعلاها الاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان اليها وهى الدور ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الركوب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما و يحتاجان الى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا أن النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى آلته فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات والى أبيات يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات ليترصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع

قال لكل شئ صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الاولى وانما كانت التكبيرة صفوة لانها موضع النية وأول الصلاة ❊ قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والآفات التى تدخل فى صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو وان كثر لا يوازن بالنية التى هى لله بالله وان قل (وسئل) أبو سعيد الخراز كيف الدخول فى الصلاة فقال هو أن تقبل على الله تعالى اقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدى الله ليس بينك و بينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدى من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الاولى فقال

الامتعة والاموال ثم يحدث لامحالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الا ٓلات و ينقلون ذلك و يتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل و باعثهم عليه حرص جمع المال لامحالة فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى يأ كله لامحالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى فى غفلتهم و جهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضا ثم هذه الاموال التى تنقل لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة و يصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى التقدير فان من يريد أن يشترى طعاما بثوب فمن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالا ٓخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وأبقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة الى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهى معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى أن يأ كل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما أنهما يأ كلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين و يحفظون عنهم أموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير * أما اللصوص فمنهم من يطلب أعوانا و يكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون و يتكاثرون و يقطعون الطريق كالاعراب والاكراد * وأما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بأن يكون طرارا أو سلالا الى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها * وأما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يعطى شيأ فافتقروا الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة و جماعة يلتمسون أقوالا وأفعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس لاسيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه انه أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين

ينبغى اذا قلت الله أكبر ان يكون مصحوبك فى الله التعظيم مع الالف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من الناس من اذا قال الله أكبر غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء وامتلأ باطنه نورا وصار الكون بأسره فى فضاء شرح صدره كخردلة بأرض فلاة ثم يلقى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فألقيت فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية غير انه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة

ويدخل

ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ اموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرها زحمة اشتغالات الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه * فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر الى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة أخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر * وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الارض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون * وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هو السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس * وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم * ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها الى أواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعبت به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا

في نور العظمة اندراج
الكوكب في ضوء الشمس
ثم يقبض بيده اليمنى يده
اليسرى ويجعلهما بين
السرة والصدر واليمنى
لكرامتها تجعل فوق
اليسرى ويمد المسبحة
والوسطى على الساعد
ويقبض بالثلاثة البواقي
اليسرى من الطرفين
* وقد فسر أمير المؤمنين
علي رضي الله عنه قوله
تعالى فصل لربك وانحر
قال انه وضع اليمنى على
الشمال تحت الصدر
وذلك ان تحت الصدر
عرقا يقال له الناحر أي
ضع يدك على الناحر
وقال بعضهم وانحر أي
استقبل القبلة بنحرك
وفي ذلك سر خفي يكاشف
به من وراء أستار الغيب
وذلك ان الله تعالى بلطيف
حكمته خلق الآدمي
وشرفه وكرمه وجعله
محل نظره ومورد وحيه
ونخبة ما في أرضه

وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم فى الاعراض أيضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد فى الدنيا أو لم يتعبد فرأوا أن الصواب فى أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالاحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لابد أولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع فى الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم فى معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجى منها فرقة واحدة وهى السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شئ من الدنيا ولا يطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقى ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجى منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابى وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الامور تفريط ولا افراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذى خلق الخلق ووسع الرزق وأفاض على العالمين أصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير

والتقتير

وسمائه روحانيا وجسمانيا أرضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الاعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ونصفه الاسفل مستودع أسرار الارض فمحل نفسه ومركزها النصف الاسفل ومحل روحه الروحانى والقلب النصف الاعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتغاربان وباعتبار تطاردهما وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معانى الباطن ارتباطا وموازنة فبوضع اليمنى

والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم آثر الدنيا
على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد
الذى نسخ بملته مللا وطوى بشريعته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا
وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف
لكن الاموال أعظم فتنها وأطم محنها وأعظم فتنة فيها أنه لاغنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة
منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذى
لاتكون عاقبة أمره الا خسرا وبالجملة فهى لاتخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات
وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التى لايقوى عليها الا ذوو البصائر فى الدين
من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ماذكرناه
فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل
والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفى الغيظ بحكم
الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان
للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن فى هذا الكتاب فى المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان
من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد
حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما فى أيدى
الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك
بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد
والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك فى
أربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم
الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم
حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف فى المال ثم
ذم الغنى ومدح الفقر ان شاء الله تعالى

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم
الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند
الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال
تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء
البقل وقال صلى الله عليه وسلم ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف
والمال والجاه فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به فى عباد الله
هكذا وهكذا وقليل ماهم وقيل يارسول الله أى أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتى
بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها
ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع عاكفين على
الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم
يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم
ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى

على الشمال حصر
النفس ومنع من صعود
جواذبها وأثر ذلك يظهر
بدفع الوسوسة وزوال
حديث النفس فى الصلاة
ثم اذا استولت جواذب
الروح وتملكت من الفرق
الى القدم عند كمال
الانس وتحقق قرة العين
واستيلاء سلطان
المشاهدة تصير النفس
مقهورة ذليلة ويستنير
مركزها بنور الروح
وتنقطع حينئذ جواذب
النفس وعلى قدر استنارة
مركز النفس يزول كل
العبادة ويستغنى حينئذ
عن مقاومة النفس
ومنع جواذبها بوضع
اليمين على الشمال
فيسبل حينئذ ولعل لذلك
والله أعلم مانقل عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه صلى مسبلا
وهو مذهب مالك رحمه
الله ثم قرأ وجهت
وجهى الآية وهذا

الله عليه وسلم دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا أديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الدنيا ومدح الفقر يرجع الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا *(الآثار)* روى أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بي سوأ فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لابد أن يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك ما لم تخرج عني لم تنفعني وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل رحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم وذلك لان الدرهم والدينار هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضا

لا يغرنك من المرء * قميص رقعه * أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه * أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف * حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال

التوجه انقاد وجه قلبه
والذي قبل الصلاة لوجه
قالبه ثم يقول سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك اللهم أنت
الملك لا اله الا أنت سبحانك
وبحمدك أنت ربي
وأنا عبدك ظلمت نفسي
واعترفت بذنبي فاغفر لي
ذنوبي جميعا انه لا يغفر
الذنوب الا أنت واهدني
لأحسن الأخلاق فانه
لا يهدي لأحسنها الا
أنت واصرف عني سيئها
فانه لا يصرف عني سيئها
الا أنت لبيك وسعديك
فالخير كله بيديك
تباركت وتعاليت
أستغفرك وأتوب اليك
ويطرق رأسه في قيامه
ويكون نظره الى موضع
السجود ويكمل القيام
بانتصاب القامة ونزع
يسير الانطواء عن الركبتين
والخواصر ومعاطف البدن

عمر أتقعدونى فاقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فانى لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالى على ما وقع وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى ويروى أن رجلا قال لابى عبد ربه يا أخى لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله

(بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم)

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيرا فى مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين الذم والمدح الا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب الامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الاكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التى هى النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس وأكيسهم فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هى الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها لتخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة فى ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التى هى ضرورة بقاء البدن الذى هو ضرورة كمال النفس الذى هو خير ومن عرف فائدة الشئ وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا فى حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهى المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة فيها ومعينا عليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء عليهم السلام من شره فاعيذوا حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين واستعاذ ابراهيم

ويقف كأنه ناظر بجميع جسده الى الارض فهذا من خشوع سائر الاجزاء ويتكون الجسد بتكون القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين بقدر أربعة أصابع فان ضم الكعبين هو الصفد المنهى عنه ولا يرفع احدى الرجلين فانه الصفن المنهى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد واذا كان الصفن منهيا عنه ففى زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الاخرى معنى من الصفن فالاولى رعاية الاعتدال فى الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو أن يرخى أطراف الثوب الى الارض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذى

صلى الله عليه وسلم فقال واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الالهية فى شئ من هذه الحجارة اذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عابدا لغير الله من ثور أو غيره فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم وهو شرك الا أن الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه أخفى من دبيب النمل وشرك جلى يوجب الخلود فى النار نعوذ بالله من الجميع

﴿بيان تفصيل آفات المال وفوائده﴾

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره ﴿أما الفوائد﴾ فهى تنقسم الى دنيوية ودينية ﴿أما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها ﴿وأما الدينية فتنحصر جميعها فى ثلاثة أنواع (النوع الاول) أن ينفقه على نفسه اما فى عبادة أو فى الاستعانة على عبادة أما فى العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فى هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط (النوع الثانى) ما يصرفه الى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام ﴿أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم ﴿وأما المروءة فنعنى بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف فى ضيافة وهدية واعانة وما يجرى مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا أن هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها ﴿وأما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة ﴿وأما الاستخدام فهو ان الاعمال التى يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج اليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى غيره خسران (النوع الثالث) ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب فى الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهى من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين

يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وفى معناه ما اذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو أن يرفع ثيابه بيديه عند السجود ويكره الاختصار وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين ويجافى العضدين فاذا وقف فى الصلاة على الهيئة التى ذكرناها مجتنبا للمكاره فقد تمم القيام وكله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرنا ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها فى كل ركعة أمام القراءة ويقرأ الفاتحة وما بعدها بخضوع رقاب وجمعهم ومواطأة بين القلب واللسان بحظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم

الى أوقات متمادية وناهيك بها خسرا فهذه جملة فوائد المال فى الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة فى القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية (وأما الآفات) فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث (الاولى) أن تجر الى المعاصى فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة أن لا يجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصى وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع فى شدة اذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء (الثانية) انه يجر الى التنعم فى المباحات وهذا أول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى ملكه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض فى المراآة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد أن ينافقهم ويعصى الله فى طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهى مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصى التى تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدى أيضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه (الثالثة) وهى التى لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام فى المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل ان أخذه من حله فقال يضعه فى غير حقه فقيل ان وضعه فى حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر فى جلاله وذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرا فى خصومة الفلاح ومحاسبته وفى خصومة الشركاء ومنازعتهم فى الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان فى الخراج وخصومة الاجراء على التقصير فى العمارة وخصومة الفلاحين فى خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره فى العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشى وهكذا سائر أصناف الاموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف ممن يعثر عليه وفى دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها والذى معه قوت يومه فى سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الاموال فى الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ المال وكسبه فاذا ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقى الى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه انه على ذلك قدير

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس عما فى أيدى الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه فى كتاب الفقر ولكن ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى

والوقار والمشاهدة والمناجاة وان قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها اذا كان اماما فى السكتة الثانية اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد فحسن وان قالها فى السكتة الاولى فحسن روى عن النبى عليه السلام انه قال ذلك وان كان منفردا يقولها قبل القراءة ويعلم العبد ان تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق القلب وكل مخاطب الشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما فى قلبه ولو أمكن المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام الا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير

شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابى واقد الليثى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحى اليه أتيناه يعلمنا مما أوحى اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان ولو كان له الثانى لاحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الاشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل وحب الدنيا أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد فقير ولا غنى الا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أى عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصارى أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظنى وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما فى أيدى الناس وقال عوف بن مالك الاشجعى كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وان تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا ان يناوله اياه * (الآثار) * قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفى ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر
اقنع بعيش ترضه * واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنيا كم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادى

مواطأة القلب فاللسان ترجمانا ولا القارئ متكلما قاصدا اسماع الله حاجته ولا مستمعا الى الله فاهما عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول فينبغى أن يكون متكلما مناجيا أو مستمعا واعيا فأقل مراتب أهل الخصوص فى الصلاة الجمع بين القلب واللسان فى التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها (قال بعضهم) ما دخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها غير ما أقول * وقيل لعامر ابن عبد الله هل تجد فى الصلاة شيأ من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الاسنة أحب الى من أن أجد فى الصلاة ما تجدون * وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك فى الصلاة بشئ من أمور الدنيا فقال لا فى الصلاة

يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس عما فى أيدى الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق وكتب بعض بنى أمية الى أبى حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجى الى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت وقيل لبعض الحكماء أى شئ أسر للعاقل وأيما شئ أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضا وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * أن الذى قسم الارزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى دهره شيأ يؤرقه

وقد قيل أيضا

حتى متى أنا فى حل وترحال * وطول سعى وادبار واقبال

ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ما حالى

بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرصى على بالى

ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفى ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين فى كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان فى كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل فى قلبك

ولا فى غيرها ومن الناس من اذا أقبل على الله فى صلاته يتحقق بمعنى الانابة لان الله تعالى قدم الانابة وقال منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة فينيب الى الله تعالى ويتقى الله تعالى بالتبرى عما سواه ويقيم الصلاة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة فى فضاء قلب ليس فيه غيرها فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الاصغاء ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعى ويدرك لطيف معناها وشريف فحواها معانى تلطف عن تفصيل الذكر وتتشكل بخفى الفكر ويصير الظاهر من معانى القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متعوضة بمعانى القرآن

وقيد فى رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدنى

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولاتك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لى قول كعب قال يطمع الرجل فى الشئ يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس فى هذا وفى هذا حتى لا تحب أن يفوتها شئ و يكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان وقال بعض الحكماء من عجيب أمر الانسان انه لو نودى بدوام البقاء فى أيام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من أين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذى خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده الى رحا أضراسه فسبحان القدير الخبير

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور * الاول وهو العمل الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق فمن أراد عز القناعة فينبغى أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه و يرد نفسه الى ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغى أن يقنع بثوب واحد خشن و يقنع بأى طعام كان و يقلل من الادام ما أمكنه و يوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد و يمكن معه الاجمال فى الطلب والاقتصاد فى المعيشة وهو الاصل فى القناعة ونعنى به الرفق فى الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق فى الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب وروى أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك فى معيشتك وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة وفى الخبر التدبير نصف العيش وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة فى الانفاق من أهم الامور * الثانى أنه اذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فلا ينبغى أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل و يعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بأن الرزق الذى قدر له لا بد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هى السبب لوصول الارزاق بل ينبغى أن يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر و يأمره بالفحشاء و يقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض و ربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل فى السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه فى الطلب خوفا من التعب و يضحك عليه فى احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب فى

عن حديثها لكونها
معانى ظاهرة متوجهة
الى عالم الحكمة والشهادة
تقرب مناسبتها من
النفس المكونة لاقامة
رسم الحكمة ومعانى
القرآن الباطنة التى
يكاشف بها من الملكوت
قوت القلب وتخلص الروح
المقدس الى أوائل سرادقات
الجبروت بمطالعة عظمة
المتكلم وبمثل هذه
المطالعة يكون كمال
الاستغراق فى لجج
الاشواق كما نقل عن
مسلم بن يسار انه صلى
ذات يوم فى مسجد البصرة
فوقعت أسطوانة تسامع
بسقوطها أهل السوق
وهو واقف فى الصلاة
لم يعلم بذلك ثم اذا أراد
الركوع يفصل بين
القراءة والركوع ثم
يركع منطوى القامة
والنصف الاسفل
بحاله فى القيام من غير
انطواء الركبتين ويجافى

ثانى الحال وربما لا يكون وفى مثله قيل

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير أرزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال فى الطلب بل ينبغى أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغى أن يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أى لا يترك التقى فاقدا لضرورته بل يلقى الله فى قلوب المسلمين أن يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبى قلت لاعرابى من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندرى لم نعش وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيأ منهما هو لى فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ منهما هو لغيرى فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقى يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى أى هذين أفنى عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر * الثالث أن يعرف ما فى القناعة من عز الاستغناء وما فى الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه فى الحرص لا يخلو من تعب وفى الطمع لا يخلو من ذل وليس فى القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس ولا تمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره * الرابع أن يكثر تأمله فى تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى أحوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويسمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم فى البطن فالحمار أكثر أكلا منه وان تنعم بالوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وان تزين فى الملابس والخيل ففى اليهود من هو أعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته الا الانبياء والاولياء * الخامس أن يفهم ما فى جمع المال من الخطر كما ذكرنا فى آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما فى خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه فى آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الاغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر أبدا الى من دونه فى الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره فى الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ويصرف

مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الاصابع (روى) مصعب بن سعد قال صليت الى جنب سعد ابن مالك فجعلت يدى بين ركبتى وبين فخذى وطبقتهما فضرب بيدى وقال أضرب بكفيك على ركبتيك وقال يا بنى انا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالاكف على الركب ويقول سبحان ربى العظيم ثلاثا وهو أدنى الكمال والكمال أن يقول احدى عشرة وما يأتى به العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع وللرفع من الركوع ويكون فى ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب الى الخشوع من النظر الى موضع السجود وانما

نظره فى الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر أوصانى خليلى صلوات الله عليه أن انظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى أى فى الدنيا وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وأن يعلم أن غاية صبره فى الدنيا أيام قلائل للتمتع دهراطويلا فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المال ان كان مفقودا فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغى أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الانبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة وعنه عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما فسوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال أبو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى أكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها وقال أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسئل على الاسلام شيأ الا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال

رسول

ينظر الى موضع سجوده فى قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى وعظمى ومخى وعصبى ويكون قلبه فى الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى قائما يحمد ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد ثم يقول أهل الثناء والحمد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فان أطال فى النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل ربى الحمد مكررا ذلك مهما شاء فاما فى الفرض فلا

رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت
نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى
عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل وأدوأ الداء البخل
وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت
أهله وان لم تصب أهله فانت من أهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بصلاة ولا
صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال أبو سعيد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم
فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به
أهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة
وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل
معروف فعلته الى غني أو فقير صدقة وروى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل
السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة
فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان
الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت (الآثار) قال علي كرم الله وجهه اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها
فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وأنشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فأحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل
دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية * وأما النجدة فالذب عن
الجار والصبر في المواطن * وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة
بالسائل مع بذل النائل * ورفع رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل
له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل
مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار
بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا
وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ
بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما
وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال أن تمنع مالك
فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من
العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم
لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان في الجنة
وقال حذيفة رضي الله عنه رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وروى ان

يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة
ويقنع في الرفع من الركوع
بتمام الاعتدال باقامة
الصلب (ورد) عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لا ينظر الله
الى من لا يقيم صلبه بين
الركوع والسجود ثم
يهوي ساجدا ويكون في
هويه مكبرا مستيقظا
حاضرا خاشعا عالما بما
يهوي فيه واليه وله فمن
الساجدين من يكاشف
انه يهوي الى تخوم
الارضين متغيبا في أجزاء
الملك لامتلاء قلبه من
الحياء واستشعار روحه
عظيم الكبرياء كما ورد
ان جبرائيل عليه السلام
تستر بخافقة من
جناحه حياء من الله
تعالى ومن الساجدين
من يكاشف أنه يطوي
بسجوده بساط الكون
والمكان ويسرح قلبه في
فضاء الكشف والعيان

الاحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما انه ليس لك حتى يخرج
من يدك وفي معناه قيل

أنت للمال اذا أمسكته * فاذا أنفقته فالمال لك

وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيأ وقال
الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب
اليه خير المال ما وقى به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود
بالمال قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صررا الى اخوانه وقال قد كنت أسأل الله تعالى
لاخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود
وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس اليك قال من كثرت أياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت
أيادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي
مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا أمير المؤمنين ان
الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر فقال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها * لله أولذوي القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام
كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا

(حكايات الاسخياء)

عن محمد بن المنكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان معاوية بعث اليها بمال في
غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت يا جارية هلمي
فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر
عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت * وعن أبان بن عثمان قال أراد رجل أن يضار عبد الله بن عباس فأتى
وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فأتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ما هذا فأخبر
الخبر فأمر عبد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى
وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبد الله لوكلائه أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد
عندنا هؤلاء في كل يوم * وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي
لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد لنا من اتيانه فركب
في أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن
الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى أبي محمد * وعن واقد بن محمد
الواقدي قال حدثني أبي أنه رفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون
على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك
وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد أصبت
فازدد في بسط يدك وان لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد
عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم
أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل
قلل له وأنت أعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المأمون اياي بالحديث أحب الي من الجائزة وهي مائة
ألف درهم * وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي
ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما

فتهوي دون هويه
أطباق السموات وتنمحي
لقوة شهوده تماثيل
الكائنات ويسجد على
طرف رداء العظمة وذلك
أقصى ما ينتهي اليه
طائر الهمة البشرية وتنبي
بالوصول اليه القوى
الانسانية ويتفاوت
الانبياء والاولياء في
مراتب العظمة واستشعار
كنهها الكل منهم على
قدره حظ من ذلك
وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من
يتسع وعاؤه وينشر ضياؤه
ويحظى بالصنفين ويبسط
الجناحين فيتواضع
بقلبه اجلالا ويرفع
بروحه اكراما وافضالا
فيجتمع له الانس والهيبة
والحضور والغيبة
والفرار والقرار والاسرار
والجهار فيكون في
سجود ساجدا في بحر
شهوده لم يتخلف منه عن
السجود شعرة كما قال سيد

فى ملكى وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عنى مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة ألف درهم فاحضر خمسين ألفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هى عندى قال أحضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال أرجو أن يكون لى عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا النا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بايديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما تشغل به مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا ❁ وحكى انه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان أنى عدوه فعال محاويجهم الى أن رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته ❁ وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن أبى طالب لما وهبت لى نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى الى القاضى وادع على بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسنى فان أهلى لا يتركونى محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس ❁ وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل الامير البستان أعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها

أيا جود معن ناج معنا بحاجتى ❁ فما لى الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان فى اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار ❁ وقال أبو الحسن المدائنى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوه وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمى بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك

البشر فى سجوده سجد لك سوادى وخيالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها الطوع للروح والقلب لما فيهما من الاهلية والكره من النفس لما فيها من الاجنبية ويقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا الى العشر الذى هو الكمال ويكون فى السجود مفتوح العينين لانهما يسجدان وفى الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه فى السجود فهو أبلغ فى الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى ولا يلفهما فى الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق

المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار ❊ وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيه بنفسي وأعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك ❊ وحكي أن قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي وكان السخي الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان ابن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان ابن فلان شيأ وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذه هذا نجيبه ثم قال هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان ابن فلان وسماه ❊ وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي معك من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكاني ❊ واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ائتهم فاعلمهم أن المال والدار لهم جميعا ❊ وقيل بعث هرون الرشيد الى مالك ابن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعيتي فقال يا أمير المؤمنين ان لي من غلاتي كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطي مثله أقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار وحكي أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيأ من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا ❊ وكان الليث ابن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى في علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال

سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك وان قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فحسن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الابهام ولا يفرش ذراعيه على الارض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالاصابع الى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفريجهما ويقول رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني

ياأمير المؤمنين مامددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيأ فاستكثرت شيأ أعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيأ كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال

انى سمعت مع الصباح مناديا ❊ يامن يعين على الفتى المعوان

ثم قال ماحاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه برىء قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده ❊ وعن أبي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ أبو سعيد الحركوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيأ فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شئ فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لي شئ قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى أن يفتح عليك بشئ قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أي هؤلاء أسخى ❊ وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه أي أراد به هذا وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشئ بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد أن ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فأخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه

يالهف قلبي على مال أجود به ❊ على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذاري الى من جاء يسألني ❊ ماليس عندي من احدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر

وعافني واعف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الاقعاء في القعود وهو ههنا أن يضع أليتيه على عقبيه ثم اذا أراد النهوض الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ويفعل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيآت على تدريج طبقات السموات والتحيات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول ويتأدب مع من يقول ويدر كيف يقول ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويمثله بين عيني قلبه ويسلم على عباد الله الصالحين فلا

اليه عنى وقال الربيع سمعت الحميدى يقول قدم الشافعى من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه فى موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شئ * وعن ابى ثور قال أراد الشافعى الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيأ من سماحته فقلت له ينبغى أن تشترى بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكننى أن أشتريها لمعرفتى باصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافعى رحمه الله لنفسه يقول

أرى نفسى تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى
فنفسى لا تطاوعنى ببخل * ومالى لا يبلغنى فعالى

وقال محمد بن عباد المهلبى دخل أبى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه عاتبه المأمون فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائتى ألف أخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك قال أبكى على الارض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى * ودخل أبو تمام على ابراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب اليه يقول

ان حراما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجى من الصفد
كما الدنانير والدراهم فى البيع حرام الا يدا بيد

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين ألفا وجئنى بدواة فكتب اليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وروى انه كان لعثمان على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هولك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك * وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له ما لك فقال اجتمع عندى مال وقد غمنى فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام على بقومى فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان قال أربعمائة ألف * وجاء اعرابى الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سألنى بها أحد قبلك ان لى أرضا قد أعطانى بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن * وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى * وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال على أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها اليه وعاد يبكى فقالت امرأته لم أعطيته اذ شق عليك فقال انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتى فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح

يبقى عبد فى السماء ولا فى الارض من عباد الله الا ويسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة ويرفع المسبحة فى الشهادة فى الا الله لا فى كلمة النفى ولا يرفعها منتصبة بل مائلة برأسها الى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب اليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وان كان اماما ينبغى ان لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن وراءه فان الامام المتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان وو راءه أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجاتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى فى

فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال صلى
الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبان ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا
منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله عجب من ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم
مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فأما المنفق فلا
ينفق شيأ الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيأ الا قلصت
ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى
أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك ان أرد الى أرذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم
والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح
فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا
وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع * وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم
فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه الناس مقفله من خيبر اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى
سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه
العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال انهم يخيروني بين أن يسألوني بالفحش
أو يبخلوني ولست بباخل وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه
ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا معروفا
وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم
لكن فلان أعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان أحدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي
نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا ان الله عز وجل خلق
الجود فجعله في صورة رجل وجعل أسه راسخا في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة
المنتهى ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا ان السخاء من الايمان
والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل أسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها الى
الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم
السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال
أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بني لحيان من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس
الا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح
وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل
فقال عليه السلام وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن
البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي
عند موته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول أحب الى الله من العابد
البخيل وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم الشح والايمان لا يجتمعان في قلب عبد وقال أيضا خصلتان

كلامه بقوله سبحانه
كأنهم بنيان مرصوص
وفي وصف هذه الامة في
الكتب السالفة صفهم
في صلاتهم كصفهم في
قتالهم (حدثنا) بذلك
شيخنا ضياء الدين أبو
النجيب السهروردي
املاء قال أنا أبو عبد
الرحمن محمد بن عيسى بن
شعيب الماليني قال أنا
أبو الحسن عبد الرحمن بن
محمد بن المظفر الواعظ
قال أنا أبو محمد عبد الله بن
أحمد السرخسي قال أنا أبو
عمران عيسى بن عمر بن
العباس السمرقندي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن عبد الرحمن الدارمي
قال أنا مجاهد بن موسى
قال ثنا معن هو ابن عيسى
انه سأل كعب الاحبار
كيف تجد نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في التوراة قال نجد محمد
ابن عبد الله يولد بمكة
ويهاجر الى طيبة ويكون

لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لى ذنبى فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لى فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الارضون فقال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبى أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لى ذنبك قال يا رسول الله انى رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتينى يسألنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم اليك عنى لا تحرقنى بنارك فو الذى بعثنى بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله فى النار ويحك أما علمت ان البخل كفر وان الكفر فى النار ويحك أما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (الآثار) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها اظهرى أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها فى الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها اظهرى سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت فنظر اليها فقال تكلمى فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله تعالى وعزتى لا أسكنك بخيلا وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز أف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدى بخلائهم وقال على كرم الله وجهه فى خطبته انه سيأتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لان الشحيح هو الذى يشح على ما فى يد غيره حتى يأخذه ويشح بما فى يده فيحبسه والبخيل هو الذى يبخل بما فى يده وقال الشعبى لا أدرى أيهما أبعد غورا فى نار جهنم البخل أو الكذب وقيل وردعلى أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندى تكلم فقال خير الناس من ألفى سخيا وعند الغضب وقورا وفى القول متأنيا وفى الرفعة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا وقام الرومى فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك فى قوله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا قال البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعى سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان فى عينى لعظم الدنيا فى عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت اذا أتاه وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة وقال على كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقى من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبى

ملكه بالشام وليس بفحاش ولا صخاب فى الاسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون يحمدون الله فى كل سراء ويكبرون الله على كل نجد يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديهم فى جو السماء فالامام فى الصلاة مقدمة الصف فى محاربة الشيطان فهو أولى المصلين بالخشوع والاتيان بوظائف الادب ظاهرا وباطنا والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاضد وتسرى من البعض الى البعض أنوار وبركات بل جميع المسلمين المصلين فى أقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسب

صلى الله عليه وسلم انك اذ البخيل ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة
الا أن فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب
المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا
ابرارا وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في
صورته فقال له يا ابليس أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الى المؤمن
البخيل وأبغض الناس الى الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي
أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر
وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله
للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت فقال هاه أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك * وقيل أقبل
أعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من
القرآن شيأ قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسائك * ودعا بعضهم
أخاه ولم يطعمه شيأ فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود
وقال له بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت المقلى * ويحكى أن محمد بن يحيى بن خالد بن برمك
كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر
وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه أحد قال
بلى الذباب فقال سوأة له أنت خاص به وثوبك مخرق قال اني والله ما أقدر على ابرة أخيطه بها ولو ملك محمد
بيتا من بغداد الى النوبة مملوأ ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون
منه ابرة ويسألونه أعرنا اياها نخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل * ويقال كان مروان بن
أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له
نراك لا تأكل الا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة
الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه ان مس عينا أو أذنا او
خدا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة
طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق * وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك
ان رجعت بالجائزة فقال ان أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفا فأعطاها أربعة
دوانق * واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره
الاسراف * وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرة وملحا
فأبى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه
كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل
الثالثة قال له أذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله
ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

(بيان الايثار وفضله)

اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فأرفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال
مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه لمحتاج أو لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما

القلوب ونسب الاسلام
ورابطة الايمان بل
يمدهم الله تعالى بالملائكة
الكرام كما أمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
بالملائكة المؤمنين
فحاجتهم الى محاربة
الشيطان أمس من
حاجتهم الى محاربة
الكفار ولهذا كان يقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد
الاكبر فتتداركهم
الاملاك بل بأنفاسهم
الصادقة تماسك الافلاك
* فاذا أراد الخروج من
الصلاة يسلم عن يمينه
وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على الملائكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمني الجن ويجعل
خده مبينا لمن على يمينه
بالوراء عنقه ويفصل
بين هذا السلام والسلام
عن يساره فقد ورد النهي

ان السخاوة قد تنتهي الى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال و يمرض فلا يتداوى و يشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لا كلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والايثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله التستري قال موسى عليه السلام يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فقال ياموسى انك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار ياموسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته و بوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه اذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ماهي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام ومافيه من الآلات فاعتق الغلام و وهبه منه وقال عمر اهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات و رجع الى الاول وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة واحباها فأوحى الله عزوجل اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه و بين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وعن أبي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع اذا الطعام بحاله لم يأكل أحد منه شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه و روى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شئ فنزع خشبة من سقف بيته

فاعطاه

من المواصلة والمواصلة خمس اثنتان تختص بالامام وهو ان لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنتان على المأموم وهو ان لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه و واحدة على الامام والمأمومين وهو ان لا يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل و يجزم التسليم ولا يمده مدا ثم يدعو بعد التسليم بما يشاء من أمر دينه ودنياه و يدعو قبل التسليم أيضا في صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكل المقامات والاحوال زبدتها الصلوات الخمس في جماعة وهي سر الدين و كفارة المؤمن وتمحيص للخطايا على ما أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام

فأعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شئ من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي الى انطلق به اليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين وقال عباس بن دهقان ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من أخبار الايثار وأحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه المتكل فيما يرضيه عز وجل

(بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد من نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك أحد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي فرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه ان أريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير رؤية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيأ فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق الصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو

ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر محمد ابن العباس بن زكريا قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا يحيى ابن عبد الله قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقرؤا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

(الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها)

أحسن آداب المصلي أن لا يكون مشغول

المحمود وينبغى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه اذلم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء
وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو
ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفى أن يفعل ذلك بجوارحه مالم يكن قلبه طيبا به غير منازع
له فيه فان بذل فى محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخى بل ينبغى أن
لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد
صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله فأقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع
وواجب بالمروءة والعادة والسخى هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما
فهو بخيل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبخل كالذى يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو
يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف أو الذى يتيمم الخبيث من ماله ولا
يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة
والاستقصاء فى المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله
استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه
ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح فى الضيافة من المضايقة
ما لا يستقبح فى المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة فى ضيافة أو معاملة وبما فيه المضايقة من
طعام أو ثوب اذ يستقبح فى الاطعمة ما لا يستقبح فى غيرها ويستقبح فى شراء الكفن مثلا أو شراء الاضحية
أو شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح فى غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب
أو زوجة أو ولد أو أجنبى وبمن منه المضايقة من صبى أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو
فقير فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغى ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص
على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة
الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة اهم من حفظ المال والمضايق فى
الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى
وهو ان يكون الرجل ممن يؤدى الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى
الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب
ليكون رافعا الدرجاته فى الآخرة وامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل
عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان
مهما وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه ان كان فى جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة
الواجبة وليس على غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج
وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم
لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت
نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة فى العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له
نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء
ما توجبه العادة والمروءة هو الجود لكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء
خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع فى الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشترى المدح
بماله والمدح لذيذ وهو مقصود فى نفسه والجود هو بذل الشئ من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور

ذلك

القلب بشئ قل أو كثر
لان الاكياس لم يرفضوا
الدنيا الا ليقيموا الصلاة
كما أمروا لان الدنيا
وأشغالها لما كانت
شاغلة للقلب رفضوها
غيرة على محل المناجاة
ورغبة فى أوطان
القربات واذعانا بالباطن
لرب البريات لان حضور
الصلاة بالظاهر اذعان
الظاهر وفراغ القلب
فى الصلاة مما سوى
الله تعالى اذعان الباطن
فلم يرو احضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يختل اذعانهم فتنخرم
عبوديتهم فيجتنب أن
يكون باطنه مرتهنا بشئ
ويدخل الصلاة (وقيل)
من فقه الرجل ان يبدأ
بقضاء حاجته قبل
الصلاة ولهذا ورد اذا
حضر العشاء والعشاء
فقدموا العشاء على العشاء
ولا يصلى وهو حاقن
يطالبه البول ولا حازق

ذلك الامن الله تعالى وأما الآدمى فاسم الجود عليه مجاز اذلا يبذل الشئ الالغرض ولكنه اذالم يكن غرضه الاالثواب فى الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أوما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهى أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لاجواد كمار وى عن بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلى عما شئت وأشار واالى حيان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأى شئ تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندى أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لاتريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الاتستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيأ بشئ ان هذا فى الدنيا القبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون ان السخاء فى الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندى فى المهج وقال المحاسبى السخاء فى الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير اكراه ولاتريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن تغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذى يفعل لك مالا تحسن أن تختاره لنفسك

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان * أحدهما حب الشهوات التى لاوصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لوعلم انه يموت بعد يوم ربما انه كان لايبخل بماله اذالقدر الذى يحتاج اليه فى يوم أوفى شهر أوفى سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجىء الرزق قوى البخل لامحالة السبب الثانى أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ماجرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلاولد ومعه أموال كثيرة ولاتسمح نفسه باخراج الزكاة ولابمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها فى يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلاتسمح نفسه بان يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لاسيما فى كبر السن وهو مرض مزمن لايرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كانه محبوب فى نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الامن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الاقران وطول تعبهم فى جمع المال وضياعه بعدهم وتعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان

يطالبه الغائط والحزق أيضا ضيق الخف ولا يصلى أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لارأى لحازق قيل الذى يكون معه ضيق وفى الجملة ليس من الادب أن يصلى وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الاشياء التى ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب (وفى الخبر) لايدخل أحدكم فى الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان فلاينبغى للعبد أن يتلبس بالصلاة الا وهو على أتم الهيا ٓت وأحسن لبسة المصلى سكون الاطراف وعدم الالتفات والاطراق ووضع اليمين على الشمال فأحسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدى ملك عزيز وفى رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز

فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل فى الاخبار الواردة
فى ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة
التأمل فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من
غيره ويستثقل البخيل من أصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر فى قلوب الناس مثل سائر البخلاء فى قلبه
ويعالج أيضا قلبه بان يتفكر فى مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته الى
والباقى يدخره لنفسه فى الآخرة بان يحصل له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا
عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك فى الدنيا والآخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان
عاقلا فاذا تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه
ويصده عنه وحكى أن أبا الحسن البوشنجى كان ذات يوم فى الخلاء فدعا تلميذاله وقال انزع عنى القميص
وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسى أن تتغير وكان قد خطر لى بذله ولا
تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا
سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى أن يفارق المال
تكلفا بان يبذله بل لو رماه فى الماء كان أولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه
ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى
حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك
على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى
الصبى عند الفطام عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها الا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدى اليه ثم
ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على
الغضب وتكسر سورته بها او يسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد فى حق من
كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده
كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع من علة ويزيد فى أخرى مثلها الا ان علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل
لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى ان يبذل
فان ذلك يدل على ان مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان
الميت يستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها
بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان الى ان تغلب احداهما الاخرى
فتأكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان
يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها ويجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تنتهى
العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها
تقتضى لا محالة أعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضى امساك المال فاذا
منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه
فان علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود
والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه واذا لم
تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذى يمنع معرفة الدواء
وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية فى معالجة
علة البخل فى المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم فى مريد فرحه بزاوية أو بشئ

وأرباب العزيمة يتركون
الحركة فى الصلاة جملة
وقد حركت يدى فى
الصلاة وعندى شخص
من الصالحين فلما انصرفت
من الصلاة أنكر على
وقال عندنا ان العبد اذا
وقف فى الصلاة ينبغى أن
يبقى جمادا جامدا لا يتحرك
منه شئ (وقد) جاء فى الخبر
سبعة أشياء فى الصلاة
من الشيطان الرعاف
والنعاس والوسوسة
والتثاؤب والحكاك
والالتفات والعبث بالشئ
من الشيطان أيضا وقيل
السهو والشك (وقد
روى) عن عبد الله بن
عباس رضى الله عنهما
انه قال ان الخشوع فى
الصلاة ان لا يعرف
المصلى من على يمينه
وشماله (ونقل عن
سفيان) انه قال من لم
يخشع فسدت صلاته
وروى عن معاذ بن جبل
أشد من ذلك قال من

فيهاتله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه وأخرجه عن جميع ماملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه أوسجادة يفرح بها يأمره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لايميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيافمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك اذاسرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به ألف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقدسلب عنه بل هو فى حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك ٭ حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم يرله نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أوفقرا قال كيف قال ان كسر كان مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجدمثله وقد كنت قبل أن يحمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن كسر أوسرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذاشأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة أولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال لايحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لايمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ماأمسكه لحاجته فليس ببخل ومالا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذلا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة

٭(بيان مجموع الوظائف التى على العبد فى ماله)٭

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقى ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لايدرى ولايخلو أحد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف (الاولى) أن يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى يكتسب ولا يحفظ الاقدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق مايستحقه (الثانية) أن يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروءة كالهدايا التى فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذى فيه الذلة وهتك المروءة ومايجرى مجراه (الثالثة) فى المقدار الذى يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجىء من جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع فى هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات فى كتاب الزهد (الرابعة) ان يراعى جهة المخرج ويقتصد فى الانفاق غير مبذر ولامقتر كما ذكرناه فيضع مااكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم فى الاخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء (الخامسة) ان يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ مايأخذ ليستعين على العبادة ويترك مايترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضى الله عنه لوأن رجلا أخذ جميع مافى الارض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولوأنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أومايعين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة فى حقك وكذلك ينبغى أن تكون نيتك فى كل مايحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه فى الدين ومافضل عن الحاجة ينبغى أن يقصد به أن ينتفع به غيره من عباد الله ولايمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذى أخذ من حية المال جوهرها وترياقها

عــرف من عن يمينه وشماله فى الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قــرأ كتابة مكتوبة فى حائط أو بساط فى صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لان ذلك عدوه عملا وقيل فى تفسير قوله تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون قيل هوسكون الاطــراف والطمأنينة (قال) بعضهم اذا كبرت التكبيرة الاولى فاعــلم ان الله ناظر الى شخصك عالم بما فى ضميرك ومثل فى صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وانما ذكرنا تمثيل الجنــة والنـار لان القلب اذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا بالقلب لدفع الوسوسة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى اجازة قال أنا أبو عمر بن احمد

واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ فى الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامى اذا تشبه بالعالم فى الاستكثار من المال و زعم انه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبى الذى يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية و يتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدى به و يظن انه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله فى الحال الا أن قتيل الحية يدرى أنه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل

هى دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت

وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير فى تخطى قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال

(بيان ذم الغنى ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبى رضى الله عنه فى بعض كتبه فى الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبى رحمه الله حبر الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له فى الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكى من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فاى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محل المتحيرين كانكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحرث رحمه الله اخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله وبعد فانى رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصى والى البوار والتلف مصير فرح الهالك برجاه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها الا فراقبوا الله اخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآيسين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج و يزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة

الصفار قال انا ابو بكر بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت ابا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فامامن باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهده قال أبو سعيد الخراز اذا ركع فالادب فى ركوعه ان ينتصب ويدنو ويتدلى فى ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل الا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون فى قلبه شئ أعظم من الله ويصغر فى نفسه حتى يكون أقل من الهباء واذا رفع رأسه وحمد الله يعلم انه سبحانه وتعالى يسمع ذلك (وقال) أيضا ويكون معه من الخشية ما يكاد يذوب

ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لانك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازريت محمدا والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب ان أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت واترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر انت تريد الاكثر وأنا أريد الاقل فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج * وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم أر احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان أرقاءها احرار لعلي أن أدخلها معهم سعيا * وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف أما انك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت تدخلها الا حبوا ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا افاظنك بامثالنا

به (قال) السراج اذا أخذ العبد في التلاوة فالادب في ذلك ان يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى وقال السراج أيضا من ادبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفي كل شئ غير الله تعالى فاذا قاموا الى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة الى الصلاة فيكون مع النفس والعقل الذين دخلوا في الصلاة بهما فاذا خرجوا من الصلاة رجعوا الى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبدا في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة (وقيل) كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة أربع

الغرقى فى فتن الدنيا و بعد فالعجب كل العجب لك يامفتون تمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب
على أوساخ الناس وتتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب فى فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن
وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم و يحك ان هذا من قياس
ابليس ومن فتياه لاوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة
ولعمرى لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل فى سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا
وأنفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم
بجميعها وفى الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت والله انك لبعيد الشبه بالقوم و بعد
فان أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين و بالله فى أرزاقهم واثقين و بمقادير الله
مسرورين وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين وكانوا لله
متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا
الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا فى نعيمها وزهراتها فبالله أكذلك أنت ولقد
بلغنا انهم كانوا اذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى واذا رأوا الفقر مقبلا
قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا أصبح وعند عياله شئ أصبح كئيبا حزينا واذا لم
يكن عندهم شئ أصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شئ حزنوا واذا كان عندهم شئ
فرحوا وأنت لست كذلك قال انى اذا أصبحت وليس عند عيالى شئ فرحت اذ كانت لى برسول الله صلى
الله عليه وسلم أسوة واذا كان عند عيالى شئ اغتممت اذ لم يكن لى بآل محمد أسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك
بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف واذا سلك بهم
سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل
أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت انك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضدا
لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذى النعماء
وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك
فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن
بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها
ولذاتها ولقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم فربت عليه
اجسامهم و بلغنا ان بعض أهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم أذهبتم
طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وأنت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها
حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة فى الدنيا وقد بلغنا انه من طلب
الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقى الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين
أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث فى الدنيا أحب اليك من النقلة الى جوار الله فأنت تكره لقاء
الله والله للقائك أكره وأنت فى غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر وقيل سنة وانت تأسف
على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتفرح
باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب
الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه و بلغنا أن بعض أهل العلم قال انك تحاسب على التحزن
على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك فى الدنيا اذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الحزن

شعب حضور القلب فى المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بالارتقاب لان عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الابواب وعند خضوع الاركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطئ ومن أتاها بلا خشوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف (وقد ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه و بصره انصرف من صلاته

من الله تعالى وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ما تعنى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك فى معاصيك أهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة فى الدنيا وعساك ترضى المخلوقين بساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكأن احتقار الله تعالى لك فى القيامة أهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفى من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكأن العبيد أعلى عندك قدرا من الله تعالى الله من جهلك فكيف تنطق عند ذوى الالباب وهذه المثالب فيك أف لك متلوث بالاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف الاخيار والله لقد بلغنى أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبائر المعاصى فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك فى العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغنى عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولا معهم فى الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة فى العلو عند الله وفريق منا لكم فى السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فانك ان زعمت انك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل فى سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى دهرهم أوتحسب انك محتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغنى أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام أفتطمع من نفسك فى مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر فى اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترأ على الشبهات أوشك ان يقع فى الحرام أيها المغرور أما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها فى سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدرى أيحل لك أم لا فان زعمت انك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا فى الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرنى أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وانفقها فى طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لانى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول عبدى من اين كسبت وفى أى شئ أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا فى جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الامن والحلال فى دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك اين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شئ من الحق فى أمرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك انى لك ناصح أرى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال باعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش فى الحساب عذب وقال عليه السلام

وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابها وبغسل رجليه خطيئة أصابها حتى يدخل فى صلاته وليس عليه وزر (وذكرت) السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال ان أقبح السرقة ان يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروى) عن أبى عمرو ابن العلاء انه قدم للامامة فقال لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشى عليه فقدموا اماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بى هاتف هل استويت أنت مع

يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال فيقال له قف لعلك قصرت فى طلب هذا بشئ مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت فى شئ من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على فيقال لعلك اختلت فى هذا المال فى شئ من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم اباه فى شئ فيقال لعلك منعت حق احد أمرتك ان تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم اضيع شيأ مما فرضت على ولم اختل ولم اباه ولم أضيع حق احد أمرتنى ان اعطيه قال فيجئ أولئك فيخاصمونه فيقولون يارب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان أعطاهم وما ضيع مع ذلك شيأ من الفرائض ولم يختل فى شئ فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من اكلة اوشربة أولذة فلا يزال يسئل ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان أبيت ذلك وزعمت انك بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيأ من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شئ من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول فى زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسألة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتى انتم حكام الناس وملوكهم فارونى ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ماسرنى ان لى حمر النعم ولا اكون فى الرعيل الاول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين فى زمرة المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغنى ان بعض الصحابة وهو ابو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فاتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه أحد فى البيت غيرى فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عنى فقلت له فداك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الى بعنقها ورأسها فقالت لى يا محمد خذنى فقلت اليك عنى فقالت ان تنج منى يا محمد فانه لا ينجو منى من بعدك فاخاف أن تكون هذه قد لحقتنى تقطعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياقوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك أنت فى أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن الى أهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع

الله قط (وقال عليه السلام) ان العبد اذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتنى ثم صعدت ولها نور حتى تنتهى الى السماء وحتى تصل الى الله فتشفع لصاحبها واذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهى الى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال أبو سليمان الدارانى) اذا وقف العبد فى الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بينى وبين عبدى فاذا التفت يقول الله أرخوها فيما بينى وبينه وخلوا عبدى وما اختار لنفسه (وقال) أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فانصرف منهما

بالقليل

بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين فى أهوال يوم الدين فتدبر ويحك ماسمعت وبعد فان زعمت انك فى مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد فى الحلال بذول لمالك مؤثر على نفسك لاتخشى الفقر ولاتدخر شيأ لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلا فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوى فى أمرك لايتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك فى الله وأحكمت أمورك كلها على ماوافق رضوان الله ولن توقف فى المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر الامر وانعم النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسألة وآمن من روعات القيامة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لوان رجلا فى حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر افضل ❊ وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابربه ❊ وبلغنا ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله مابينهما الذى جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارضى لبالك واقل لهمومك فما عذرك فى جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال فى سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل فى الآجل ❊ وبعد فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لوجب عليك فى مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك اذهداك الله به وترضى مااختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ماسمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين فى الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الامايواريه ولم يقدر على ان يكتسب مايغنيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا الا يا أخى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحى من دعواك أيها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الفضل والخير فى الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال ❊ اخوانى اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم فى المباح لهم ونحن فى دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال فى دهرنا فاعاذنا الله واياكم منه ❊ وبعد فاين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بادواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته آمين ❊ هذا آخر كلامه وفيه كفاية فى اظهار فضل الفقر على الغنى ولامزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التى أوردناها فى كتاب ذم

وأنا أستحى من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا العظيم الادب عنده ومعرفة كل انسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب (وقيل) لموسى بن جعفر ان الناس أفسدوا عليك الصلاة بمرهم بين يديك قال ان الذى أصلى له أقرب الى من الذى يمشى بين يدى (وقيل) كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما اذا أراد ان يخرج الى الصلاة لايعرف من تغيرلونه فيقال له فى ذلك فيقول أتدرون بين يدى من اريد أن أقف (وروى) عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لايكتب للعبد من صلاته الامايعقل وقد ورد فى لفظ آخر منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع

الدنيافي كتاب الفقر والزهدو يشهدله أيضامار وى عن أبي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال
يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيرمن كثير لا تطيقه قال يارسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة امالك في أسوة اماترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى اما والذى
نفسي بيده لوشئت ان تسيرمعي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيالئن دعوت الله ان
يرزقني مالا لأعطين كل ذى حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق
ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديامن أوديتها حتى
جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ماسواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا
الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار
في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال مافعل ثعلبة بن حاطب فقيل يارسول الله اتخذ
غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بامره كله فقال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة قال وأنزل الله
تعالى خذمن أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وأنزل الله تعالى
فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلامن جهينة ورجلامن بني سليم على الصدقة
وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما ان يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرابثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم وخذاصدقاتهما فخرجاحتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الاجزية ماهذه الاجزية ماهذه الاأخت الجزية انطلقاحتى تفرغا ثم
تعودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهمافقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما
رأوها قالوا لايجب عليك ذلك ومانريد نأخذهذا منك قال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لتأخذوها
فلما فرغامن صدقاتهمار جعاحتى مرابثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه
أخت الجزية انطلقاحتى أرى رأيي فانطلقاحتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال ياويح
ثعلبة قبل أن يكلماه ودعاللسلمي فاخبراه بالذى صنع ثعلبة وبالذى صنع السلمي فانزل الله تعالى
في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه
وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه
فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لاام لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى
الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب
على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيأ
رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى
أن يقبلهامنه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلهامنه وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان
فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال كانت لي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يارسول الله فقام وقمت معه حتى
وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أناومن
معي قالت ومن معك يارسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ماعلى الاعباءة
فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذاجسدي قدواريته فكيف برأسي فألقى اليها ملاءة

والخمس حتى يبلغ العشر (قال) الخواص ينبغي للرجل ان ينوى نوافله لنقصان فرائضه فان لم ينوها لم يحسب له منها شئ بلغنا ان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة يقول الله تعالى مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين (وقال) أيضا انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق وفتح العين في الصلاة أولى من تغميض العين الا أن يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع فان تثاءب في

كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت
قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى انى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدنى الجوع
فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على
الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها
أبشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية
سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك تكن فى بيوت
من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى
الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب أحوال الانبياء والاولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم
لم يشك فى ان فقد المال أفضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ أقل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقى
من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ
ولا فراغ مع شغل المال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم فقال أكون
معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى
رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ
الرغيف فقال لا أدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه
فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل
أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدرى ثم انتهيا الى وادى ماء فأخذ عيسى بيد
الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدرى
فانتهيا الى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار
ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف
فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه
منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشترى لنا طعاما نأكله قال فبعثوا
أحدهم فقال الذى بعث لأى شئ أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع فى هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ
المال وحدى قال ففعل وقال ذانك الرجلان لأى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه
واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك
الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكى
أن ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس بأيديهم شئ مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا
فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى
ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال ما لى اليه
حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك
لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين ما لى أراكم على
حال لم أر أحدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم
بهما قالوا انما كرهناهما لان أحدا لم يعط منهما شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو أفضل منه فقال
ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا أردنا اذا نظرنا اليها
وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم

الصلاة يضم شفتيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم فى الصلاة غيره (قيل) ذهب المزحوم بصلاة المزاحم (وقيل) من ترك الصف الاول مخافة أن يضيق على أهله فقام فى الثانى أعطاه الله مثل ثواب الصف الاول من غير أن ينقص من أجورهم شئ (وقيل) ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل (وروت) عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع فى بعض سكك المدينة (وسئل) الجنيد ما فريضة الصلاة قال قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدى الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر

من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأي ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى ويليه كتاب ذم الجاه والرياء

﴿كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك وهو أغنى الاغنياء عن الشرك والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات

واستلانت

دينك اذا هانت عليك صلاتك (وقيل) أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء فقال اذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب (وقال) أبو الخير الاقطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال يا أبا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي ان أقرب ما أكون منك وأنت تصلي (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة (وقيل ان محمد بن يوسف الفرغاني) رأى حاتما الاصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ الناس أفتحسن أن تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال

واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله و بعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية و يرى انه مخلص في طاعة الله و مجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الاعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه و يتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين

(الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة و بيان فضيلة الخمول و بيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته و بيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال و بيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي و بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم و بيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم و بيان العلاج في حب الجاه و بيان علاج حب المدح و بيان علاج كراهة الذم و بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلابد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه)

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله ان أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه الا من عصمه الله وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلا لا بأس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد ان الناس اذا رأوك أشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السختياني والله ما صدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن أبي العالية انه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن وروى أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال ان استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسئل فافعل وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا اني أعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في

أقوم بالامر وأمشي بالخشية وأدخل بالهيبة وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها الى ربي واحفظها أيام حياتي وارجع باللوم على نفسي واخاف ان لا تقبل مني وأرجو ان تقبل مني وأنا بين الخوف والرجاء وأشكر من علمني وأعلمها من سألني واحمد ربي اذ هداني فقال محمد بن يوسف مثلك يصلح ان يكون واعظا وقوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال أيضا ان الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع

طوله وهى اليوم فى تشميره وقال بعضهم كنت مع أبى قلابة اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثورى كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحرث أوصنى فقال أخمد ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكى و يقول بلغ اسمى مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين

(بيان فضيلة الخمول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره منهم البراء ابن مالك وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لابره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلخل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من أمتى من لو أتى أحدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لاعطاه اياها ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه الا لهوانها عليه منهم ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وروى أن عمر رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب أقسمت عليك الا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انى أتيتك فى حاجة فقال ماهى قال تخصنى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألنى أن أخصك بدعوة ثم قال ما الذى بلغك ما رأيت قال أطعت الله فيما أمرنى ونهانى فسألت الله فأعطانى وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفوا فى أهل السماء وتخفوا فى أهل الارض وقال أبو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان أغبط أوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أحب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغنى أن الله تعالى يقول فى بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء وقال ابراهيم بن أدهم ما قرت عينى يوما فى الدنيا قط الا مرة بت ليلة فى بعض

وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهى خداج أى ناقصة * وقد ورد أن المؤمن اذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان فى أقطار الارض خوفا منه لانه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس قيل يضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه و واجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك فى قلبه فاذا لم يكن فى قلبه أكبر من الله تعالى يقول صدقت الله فى قلبك كما تقول وتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات وان الجاهل الغافل اذا قام الى الصلاة احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل

مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه أحد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوى فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

(بيان ذم حب الجاه)

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالى عن الارادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأسرع افسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى أن يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى أن تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات

فاذا كبر اطاع الله على قلبه فاذا كان شئ فى قلبه أكبر من الله تعالى عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر فى قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا للقلب من الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه وفى الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء والقلوب الصافية التى كمل أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير فى السماء كما تدخل فى الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوى لا سبيل

كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في أغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شئ مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم

* (بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة) *

اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانها اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه الاول أن التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب * الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه أخطار كثيرة وأما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي الغصاب وأثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بانفسها وذو الجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله * الثالث أن ملك القلوب يسري وينمي ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيأ فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقفه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة اذا كان لا يتوصل

للشيطان اليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي كل طبقة من اطباق السماء يتخلف شئ من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس الى أن يتجاوز السموات ويقف امام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار وتتأدى حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب (وما ذكرنا) من أدب الصلاة يسير من كثير وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا وقد غلط أقوام وظنوا ان المقصود من الصلاة

الى دفع العقوبة عن نفسه الاجمال أوجاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل مالا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفى الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى أقاصى البلاد التى يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أوليبروه بمال أوليعينوه على غرض من أغراضه ومع ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت فى الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان أحدهما جلى تدركه الكافة والآخر خفى وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبيعة مستكنة فى الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون * فأما السبب الاول فهو دفع ألم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله أن المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى أن يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف * وأما السبب الثانى وهو الاقوى أن الروح أمر ربانى به وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ومعنى كونه ربانيا انه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة فى اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الامر الربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة فى الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس فى أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا فى حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمتفرد بالوجود هو الله تعالى فليس معه موجود سواه فان ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة فى الرتبة والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال بل الكامل من لا نظير له فى رتبته وكما أن اشراق نور الشمس فى أقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها فى الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما فى العالم يرجع الى اشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية

ذكر الله تعالى واذا حصل الذكر فأى حاجة الى الصلاة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا الى أباطيل الخيال ومحوا الرسوم والاحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا فى ذلك طريقا أدتهم الى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لانهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل واغتروا بيسير روح الحال وأهملوا فضل الاعمال ولم يعلموا ان الله فى كل هيئة من الهيئات وكل حركة من الحركات أسرارا وحكما لا توجد فى شئ من الاذكار فالاحوال والاعمال روح وجسمان ومادام العبد فى دار الدنيا اعراضه عن الاعمال عين الطغيان فالاعمال تزكو بالاحوال والاحوال تنمو بالاعمال

مامن انسان الاوفي باطنه ماصرح به فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال
فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أومأ اليها قوله تعالى
قل الروح من أمر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي
محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لالمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال
ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد أن يسلم التفرد
بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن
منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود
يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا أن الاستيلاء على الشئ بالقدرة على التأثير فيه
وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على
كل الاشياء الموجودة معه الا أن الموجودات منقسمة الى مالا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى
وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت
السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وماتحت الجبال والبحار والى ما يقبل
التغيير بقدرة العبد كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس
فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر
الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى مالا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب
الانسان أن يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم
المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة
والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع
استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق
الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى
صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أوغيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور
عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم ان علمه وأما القسم الثاني
وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها
كيف يريد وهي قسمان أجساد وأرواح أما الاجساد فهي الدراهم والدنانير والامتعة فيجب أن يكون
قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من
صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه
ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر
والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله
حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها فان الحشمة القهرية أيضا لذيذة لما فيها من القدرة والقسم
الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الارض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة
عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية
والقلوب انما تسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات
الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه
الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى
والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة

والاستيلاء

(الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل مافي عمل ابن آدم شئ الا ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا يقتص أحد منه شيأ (وفي الخبر) الصوم لي وأنا أجزي به قيل أضافه الى نفسه لان فيه خلقا من أخلاق الصمدية وأيضا لانه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد الا الله وقيل في تفسير قوله تعالى السائحون الصائمون لانهم ساحوا الى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب هم الصائمون لان الصبر

والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم مالا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لابد من بيانها ان شاء الله تعالى ❁(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمى الذى لاحقيقة له)❁

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه ❁ أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب الى الله تعالى ❁ الثانى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ماهى عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب الى الله تعالى ❁ الثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات ❁(أما المتغيرات)❁ فمثالها العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر مايذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب ❁(القسم الثانى)❁ هو المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات أزلية أبدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمه في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أى تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف مالم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفى فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض

اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم افراغا ويجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم (وقال) يحيى بن معاذ اذا ابتلى المريد بكثرة الاكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الاكل فقد أحرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه ييبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله واذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكن الشيطان والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع

فاذا لاسعادة الا فى معرفة الله تعالى وأما ماعداذلك من المعارف فمنها مالافائدة له أصلا كمعرفة الشعر
وانساب العرب وغيرهما ومنها ماله منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير
والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة
ما فى القرآن من كيفية العبادات والاعمال التى تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس
تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقال
عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله
تعالى وانما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة
بالموجودات اذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها
بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن
لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكلام * وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى
للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب
ارادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل
وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة
فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهى وسيلة له الى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده
للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج
فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك
الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية
التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون فى غمرة هذا الجهل
فانهم يظنون أن القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب
بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا
الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه
من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر
تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس
من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن
كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان الى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله
أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى أقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى
عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات
وفى صفات الكمال فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا
ككمال العلم وكمال الحرية وأعنى به عدم العبودية للشهوات وارادة الاسباب الدنيوية وكمال القدرة
فللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد
موته اذ قدرته على أعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته
لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون
وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى
لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان أبديا لا انقطاع له
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين

نهـرفى الروح تردّه
الملائكة ويهزم الشيطان
من جائع نائم فكيف اذا
كان قائما ويعانق الشيطان
شبعانا قائما فكيف
اذا كان نائما فقلب المريد
الصادق يصرخ الى الله
تعالى من طلب النفس
الطعام والشراب* دخل
رجل على الطيالسى
وهو يأكل خبزا يابسا قد
بله بالماء مع ملح جريش
فقال له كيف تشتهى
هذا قال أدعه حتى
أشتهيه (وقيل) من
أسرف فى مطعمه ومشربه
يعجل الصغار والذل
اليه فى دنياه قبل آخرته
(وقال) بعضهم الباب
العظيم الذى يدخل منه
الى الله تعالى قطع
الغذاء (وقال بشر) ان
الجوع يصفى الفؤاد
ويميت الهوى ويورث
العلم الدقيق* وقال ذو
النون ما أكلت حتى
شبعت ولا شربت حتى

ربهم وأقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير
أملا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي
على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله فأصبح
هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو
الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وان من قصر الوقت
على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه أشار أبو الطيب بقوله

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك

(بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم)

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من أعراض
الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه
للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة
مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام
فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه واستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه
ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان
يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له
في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل
في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا
فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى أن لا يكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له بل ينزل
ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن
قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل
به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب
زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة
لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب
الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول
وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوصل بهما الى مهمات
البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف
صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع
وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على
الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت طلبه المنزلة والجاه في قلب أستاذه
وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الاطلاق كيفما كان أو يباح الى حد مخصوص
على وجه مخصوص فأقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهان مباحان ووجه محظور أما الوجه
المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع
والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس اما

رويت الا عصيت الله
أو هممت بمعصية
وروى القاسم بن محمد
عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان يأتي علينا
الشهر ونصف شهر
ما تدخل بيتنا نار لا لمصباح
ولا لغيره قال قلت سبحان
الله فبأي شئ كنتم
تعيشون قالت بالتمر
والماء وكان لنا جيران
من الانصار جزاهم
الله خيرا كانت لهم منائح
فربما واسونا بشئ
(وروى) أن حفصة
بنت عمر رضي الله عنه
قالت لابيها ان الله قد
أوسع الرزق فلو أكلت
طعاما أكثر من طعامك
ولبست ثيابا ألين من
ثيابك فقال اني أخاصمك
الى نفسك ألم يكن من
أمر رسول الله كذا يقول
مرارا فبكت فقال قد
أخبرتك والله لاشاركنه
في عيشه الشديد لعلي
أصيب عيشة الرخاء وقال

بالقول أو بالمعاملة وأما أحد المباحين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثانى أن يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به كالذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى اليه أنه ورع فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى اكتساب المال بالحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض أو فى غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الاموال

(بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه)

اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب *(السبب الاول)* وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذى به مدح لا يخلو اما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا اشعر به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وفى كمال علمه وورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف فى القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه فى غاية اللذة وان صدر ممن يجازف فى الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح *(السبب الثانى)* أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته أعظم لان الفائت فيه أعظم *(السبب الثالث)* أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى أجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس *(السبب الرابع)* أن المدح يدل على

بعضهم ما نخلت لعمر دقيقا الا وأناله عاص (وقالت) عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت عائشة رضى الله عنها أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظما (وقيل) ظهر ابليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ما هذه قال الشهوات التى أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لى فيها شهوة قال لا غير انك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم انى لا أشبع أبدا قال ابليس لا جرم انى لا أنصح أحدا أبدا (وقال) شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمان لابنه اذا امتلأت

حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد فى الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجمع فى مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الاولى وهى استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح أنه غير صادق فى قوله كما اذا مدح بانه نسيب أو سخى أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لاجلهم ولا يزال فى أقواله وأفعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل فى العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل فالنفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذى لاجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى أن يترك به الدين الذى هو الحياة الابدية التى لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه الا أن ذلك انما يصغر فى عين من ينظر الى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال فى الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال عز وجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغى أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر فى الاخطار التى تستهدف لها أرباب الجاه فى الدنيا فان كل ذى جاه

المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة (وقال) الحسن لا تجمعوا بين الادمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الاغذية فيكره للمريد أن يوالى فى الافطار أكثر من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن الى العادة وتتسع بالشهوة (وقيل) الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا وقال عليه السلام ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال فتح الموصلى صحبت ثلاثين شيخا كل يوصينى عند مفارقتى اياه بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل

محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم * وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا أن أرباب الاحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه وأقوى الطريق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه الى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم أجمعين

(بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم)

اعلم أن أكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم * (أما السبب الاول) * فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها

(الباب الاربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار)

جمع من المشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى (وكان) أبو عبد الله بن جابار قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد (روى) أبو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك ما رواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى

ام لا

أم لافان كنت متصفا بها فهى اماصفة تستحق بها المدح كالعلم والورع واماصفة لاتستحق المدح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبى

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغى أن يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما تستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى أن لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضى الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة فى استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغى أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التى مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك أنت اذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغى أن يغمك ذلك ولا تفرح به * (وأما السبب الثانى) * وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبأن تعلم أن طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به * (وأما السبب الثالث) وهو الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو أيضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد أمكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروى فى بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة وقال عليه السلام الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال انى لم آمرك أن تزكينى وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغى أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد

الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر فقال لا صام ولا أفطر وأول قوم ان صوم الدهر هو ان لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذى يكره واذا أفطر هذه الايام فليس هو الصوم الذى كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد أفضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر * ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم يوما ويفطر يومين ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة (وقيل) كان سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة وفى رمضان يأكل

الخلق ومهما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه والله الموفق للصواب برحمته

(بيان علاج كراهة الذم)

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتقلد منته فان من أهدى اليك عيوبك فقد أرشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدرى ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوى الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تغتنمه واما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به الحالة الثالثة ان يفترى عليك بما أنت برىء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة أمور أحدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وأنت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ان كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا ابراهيم بن أدهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال علمت انى مأجور بسببه وما نالني منه الا خير فلا أرضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك في قلبك وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

(بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالاضافة الى الذام والمادح * الحالة الاولى أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات

أكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة (وحكى) عن الجنيد انه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه أفطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان بأقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج الى علم فقد يكون الداعى الى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب (وسمعت) شيخنا يقول لى سنين ما أكلت شيأ بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم الى الشئ فأراه من فضل الله ونعمته وفعله فأوافق الحق في فعله (وذكر) انه في ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم الطعام اليه قال ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام وأخذت رمانة

لا كلها فدخلت السنور
وأخذت دجاجة كانت
هنالك فقلت هذا عقوبة
لى على تصرفى فى أخذ
الرمانة (ورأيت) الشيخ
أبا السعود رحمه الله
يتناول الطعام فى اليوم
مرات أى وقت أحضر
الطعام أكل منه ويرى
ان تناوله للطعام موافقة
الحق لان حاله مع الله
كان ترك الاختيار فى
مأكوله وملبوسه وجميع
تصاريفه وكان حاله
الوقوف مع فعل الحق
وقد كان له فى ذلك بداية
يعز مثلها حتى نقل أنه
كان يبقى أياما لا يأكل
ولا يعلم أحد بحاله ولا
يتصرف هو لنفسه ولا
ينبعث الى تناول شئ
وينتظر فعل الحق
لسياقه الرزق اليه ولم
يشعر أحد بحاله مدة من
الزمان ثم ان الله تعالى
أظهر حاله وأقام له
الاصحاب والتلامذة وكانوا

المعصية فى هذا الباب الثانية أن يمتعض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته
ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه
بالاضافة الى ماقبله كمال * الثالثة وهى أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه
المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته
وعلاماته أن لا يجد فى نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده فى المادح وان
لا يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق ما يجده فى قضاء حاجة الذام وان لا يكون
انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطرى له أشد نكاية
فى قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام
وان لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح
واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح
الناس لهم مستبطن فى قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر
العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك
والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض
التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن فى الناس من ارتكب من كبائر المعاصى أكثر مما ارتكب الذام فى
مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذى مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد فى نفسه
نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو
غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم ان الشيطان يخيل اليه أنه من الدين حتى يعتقد
على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته
تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسره فى الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهى الصدق
فى العبادة أن يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له فى الدين ويحب الذام اذ
يعلم أنه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع
أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى وقد روى فى بعض الاخبار ماهو قاصم لظهور أمثالنا ان صح اذ روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا فقيل يارسول الله
الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا
الطمع فى الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل
فأما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة
الثانية فانها لا تفى بها لانها لابد وأن تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام
الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على أن نسوى بينهما فى الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه فى
سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام فى ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة فى
هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل
واحدة من هذه الرتب فيها درجات أما الدرجات فى المدح فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء
وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائى بالعبادات ولا يبالى بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه
بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذى

يستميل به القلوب وحدود الاعمال لايمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لايحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لايريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التى قبلها وان جاهد نفسه فى ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور اليه بالتفكر فى آفات المدح فهو فى خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لاينتهى به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لاان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال فى حق الذام وأول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن فى قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفى له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذصار بالمذمة أوضع فى أعين الناس حتى لايبتلى بفتنة الناس واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيرا لعيوبه التى هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لايتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيأ منها الا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل

* (الشطر الثانى من الكتاب فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لايحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة فى اظهار الطاعات وبيان الرخصة فى كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهى عشرة فصول وبالله التوفيق) *

* (بيان ذم الرياء) *

اعلم ان الرياء حرام والمرائى عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار * (اما الآيات) * فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال مجاهد هم أهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفى كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته وأعماله * (وأما الاخبار) * فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يارسول الله فيم النجاة فقال ان لايعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وقال أبو هريرة فى حديث الثلاثة المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما أوردناه فى كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول للكل واحد منهم كذبت بل أردت ان يقال فلان جواد كذبت بل

يتكلفون الاطعمة ويأتون بها اليه وهو يرى فى ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما الى الصوم وينقض الحق على محبتى الصوم بفعله فأوافق الحق فى فعله (وحكى) عن بعض الصادقين من أهل واسط انه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا فى رمضان (وقال) أبو نصر السراج أنكر قوم هذا لمخالفة العلم أو ان كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لان صاحبه كان يريد بذلك تاديب النفس بالجوع وأن لايتمتع برؤية الصوم ووقع لى ان هذا ان قصد أن لايتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والاليق بموافقة العلم امضاء الصوم

أردت أن يقال فلان شجاع كذبت بل أردت ان يقال فلان قارئ فأخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفى حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول لملائكته ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وماهو يارسول الله قال واد فى جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا منه برىء وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك وقال المسيح صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم واذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حيث رآه يبكى ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان أدنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهى أيضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائى ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن أوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله قال أمر تخوفت على أمتى الشرك أما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن بأعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء باطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى يا معاذ قلت لبيك بأبى أنت وأمى يارسول الله قال انى محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته وكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يفتخر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها

قال الله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف كان والصادق فى خفارة صدقه كيف تقلب * وقال بعضهم اذا رأيت الصوفى يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شئ من الدنيا وقيل اذا كان جماعة متوافقين اشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فان لم يساعدوه يهموا الافطار ويتكلفوا له رفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره الا من يأمره الشيخ بغير ذلك * وقيل ان بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب اليه فيتأدب به ويصوم بصيامه وحكى عن أبى الحسن

قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي ان لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضربه بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي ان لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه اني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي ان لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا أتدري ما هن يا معاذ قلت ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث (وأما الآثار) فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب ورأى أبو امامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك وقال علي كرم الله وجهه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا أثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شيء لك ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر

المكي انه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا يأكل الخبز الا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر أربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف ويبيعها وكان الشيخ أبو الحسن ابن سالم يقول لا أسلم عليه الا أن يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له في ذلك لانه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما أخلص لله عبد قط الا أحب أن يكون في جب لا يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسي بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه وأكله فرآه انسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال

فقال

فقال له أتحب أن تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فأخلصه وقال الضحاك لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيأ اما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت أقواما ان كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان أحدهم ليمر فيرى الاذى في الطريق فما يمنعه أن ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادي يوم القيامة بأربعة أسماء يا مرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان التوقي عن العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف ذاك قال يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن أدهم ما صدق الله من أراد أن يشتهر

(بيان حقيقة الرياء وما يراءى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بايرائهم خصال الخير الا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات *(القسم الاول الرياء في الدين بالبدن)* وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائي بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مرا آة أهل الدين بالبدن فأما أهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة

الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنايتك ورفقك فقال أنا تائب من جنايتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روى أن آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض اسود جسده من أثر المعصية فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم أيام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام أيام البيض ويستحبون صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الآخير وان واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن ان لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم أو يومين وكان يكره

الاعضاء وتناسبها * (الثانى الرياء بالهيئة والزى) * أما الهيئة فتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من أهل العلم والمراؤن بالزى على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من أعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبق والكتان الدقيق الابيض والمقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من ان يقول أهل الصلاح قد رغبوا فى زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه والى ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة وأما أهل الدنيا فمراآتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا فى الزينة * (الثالث الرياء بالقول) * ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال فى المحاورة واظهار الغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته فى علم الدين والرياء بالقول كثير وأبوابه لا تنحصر وأما أهل الدنيا فمراآتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح فى العبارات وحفظ النحو الغريب للاعراب على أهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب * (الرابع الرياء بالعمل) * كمراآة المصلى بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات واظهار الهدء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات فى المشى عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار فى الكلام حتى ان المرائى قد يسرع فى المشى الى حاجته

بعضهم أن يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذى الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الاشهر الحرم وورد فى الخبر من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام

* (الباب الحادى والاربعون فى آداب الصوم ومهامه) *

آداب الصوفية فى الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالاقسام (سمعت) أن بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا

اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون مجددا الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته فى الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار فى خلوته أيضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته فى الخلوة ليكون كذلك فى الملا لا لخوف من الله وحياء منه ❊ وأما أهل الدنيا فمراآتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة ❊ (الخامس المراآة بالاصحاب والزائرين والمخالطين) ❊ كالذى يتكلف أن يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا أو عابدا من العباد ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه أو ملكا من الملوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته فى الدين وكالذى يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيتباهى بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يرائى به المراؤن وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه فى قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة فى ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة فى ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه فى أسبابه فانه نوع قدرة وكمال فى الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت فى البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التى ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة فى قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضا محمود وهو الذى طلبه يوسف عليه السلام حيث قال انى حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهى ويطغى وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصى القلب واللسان وغيرها وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان فى الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند

يفطرون الا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الادب أن يمسك المريد عن مباح الطعام ويفطر بحرام الآثام (قال) أبو الدرداء ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم ولذرة من ذى يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن فضيلة الصوم وأدبه ان يقال الطعام عن الحد الذى كان يأكله وهو مفطر والا فاذا جمع الاكلات باكلة واحدة فقد أدرك بها ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم أن الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الافعال والاقوال الى الضرورة والنفس من طبعها انها اذا قهرت

الخروج الى الناس مراآة وهوليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ماروى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج يوما الى الصحابة فكان ينظر فى حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أوتفعل ذلك يارسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ولوسقط من أعينهم لم يرغبوا فى اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فان أعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه فى أعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا مباحا اذ للانسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراآة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخى فهذا مراآة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان احداهما أن لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم كما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم أنه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر * الثانى يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بى ومثاله أن يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراآة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى ولا يخلو شئ منه عن اثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراآة ولو لم يكن فى الرياء الا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمرى ولو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا أن الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا أنه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه

لله تعالى فى شئ واحد على الضرورة تأدى ذلك الى سائر أحوالها فيصير بالاكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لاهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده ولا يختص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها الا عبد يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع فى صومه من ملاعبة الاهل بالملامسة لان ذلك أنزه للصوم ويتسحر استعمالا للسنة وهوداعى الى امضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثانى التقوية بالطعام على الصيام (روى) أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فان فى السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول

فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ بل تقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان تشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فأما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا أجر له فيه أصلا

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء *(الركن الاول)* نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما أن يكون مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما أن تكون ارادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعا * الاولى وهي أغلظها ان لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء * الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم * الثالثة أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص * الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا أغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح *(الركن الثاني)* المراءى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها * القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات * الاولى الرياء باصل الايمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى * ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل

الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء ما بين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر أو باكل لقيمات ان كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين ففي احياء ذلك له فضل كثير والا فيقتصر على الماء لاجل السنة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا اسحق بن موسى الانصارى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن قرة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل أحب عبادى

عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة أو يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى أهل الاباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالا من الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر * الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الايمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته فى محمدتهم أشد من رغبته فى ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن أصل الايمان من حيث الاعتقاد * الثالثة أن لا يرائى بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائى بالنوافل والسنن التى لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائى جملة ذلك خوفا من المذمة وطلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذى قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات * القسم الثانى الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهو أيضا على ثلاث درجات * الاولى أن يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل أى أنه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة فاذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدى انسان متربعا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة فى الملا دون الخلوة وكذلك الذى يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الردىء فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا اكمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا أيضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائى انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهى خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر وما أنت فى هذا الا كمن يهدى وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يقلدها فيهديها اليه وهى عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالى به اذا كان

الى أعجلهم فطرا وقال عليه السلام لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر * والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات (وفى الخبر) كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة (قال) سفيان من اغتاب فسد صومه * وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب قال الشيخ أبو طالب المكى قرن الله الاستماع الى الباطل والقول بالاثم باكل الحرام فقال سماعون للكذب أكالون للسحت (وورد) فى الخبر ان امرأتين صامتا على عهد

الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب
غلام الملك ينبغى ان تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائى فيه حالتان احداهما أن يطلب بذلك المنزلة
والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية أن يقول ليس يحضرنى الاخلاص فى تحسين الركوع
والسجود ولو خففت كانت صلاتى عند الله ناقصة وآذانى الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة
دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا
فيه أدنى نظر والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغى أن يستمر على عادته
فى الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق * الدرجة الثانية أن يرائى
بفعل ما لا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل فى الركوع والسجود
ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة فى
القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على
الجيد فى الزكاة واعتاق الرقبة الغالية فى الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه * الثالثة
أن يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول
وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى اين
وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يراءى به وبعضه أشد من بعض والكل
مذموم * (الركن الثالث) * المراءى لاجله فان للمرائى مقصودا لامحالة وانما يرائى لادراك مال أو
جاه أو غرض من الاغراض لامحالة وله أيضا ثلاث درجات * الاولى وهى أشدها وأعظمها ان يكون
مقصوده التمكن من معصية كالذى يرائى بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع
عن أكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها
أو يسلم اليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويجحدها
أو تسلم اليه الاموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها الى استتباع الحجيج
ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة فى المعاصى وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع
وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة أو غلام لاجل الفجور وقد
يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقرآن وغرضهم
ملاحظة النسوان والصبيان أو يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن فى الرفقة من امرأة أو غلام وهؤلاء
أبغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة
لهم فى فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد
ان ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق
بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامرأة أو غلام
فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى * الثانية أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ
الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير
لتبذل له الاموال ويرغب فى نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة
وكالذى يرغب فى أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه ابنته فهذا رياء
محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه
* الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر اليه بعين
النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس

رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاجهدهما الجوع
والعطش من آخر النهار
حتى كادتا ان تهلكا
فبعثتا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تستأذنانه فى الافطار
فارسل اليهما قدحا وقال
قولوا لهما قيئا فيه ما
أكلتما فقاءت احداهما
نصفه دما عبيطا ولحما
غريضا وقاءت الاخرى
مثل ذلك حتى ملأتاه
فعجب الناس من ذلك
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هاتان
صامتا عما أحل الله لهما
وأفطرتا على ما حرم الله
عليهما وقال عليه الصلاة
والسلام اذا كان يوم
صوم أحدكم فلا يرفث
ولا يجهل فان امرؤ شاتمه
فليقل انى صائم (وفى
الخبر) ان الصوم أمانة
فليحفظ أحدكم امانته
(والصوفى) الذى
لا يرجع الى معلوم ولا

فيحسن المشي و يترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك أو يبدو منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح و يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب الى الكسل و يلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيأ من ذلك وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس أنه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله أو يدعى الى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وانه محترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بأن يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل أن يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في أن يأكل الانسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بدا من تطييب قلبه ومثل أن يقول ان أمي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن أني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق الى الانسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وان من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم

(بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل)

اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل و يحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه وأخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة و يثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن أن يعرف الا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعاته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده و يتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس ما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر منه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت و يبس الشفتين

يدري متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله بالادب وهو دائم المراقبة لوقته وهو في افطاره أفضل من الذي له معلوم معد فان كان مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل (حكي) عن رويم قال اجتزت في الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت ان أتناول من يدها قالت صوفي و يشرب بالنهار وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم فاستحيت من ذلك ونذرت ان لا أفطر أبدا والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لكان ان النفس اذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الافطار وهكذا

وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يختفى بحيث
لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس أحب أن يبدؤه بالسلام وأن
يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا فى قضاء حوائجه وان يسامحوه فى البيع والشراء
وأن يوسعوا له فى المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كأنه
يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان
يستبعد تقصير الناس فى حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فى كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع
بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الاجر
ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روى عن على كرم الله وجهه أنه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم
القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤن بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفى
الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال ان
رجلا من السواح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل
علينا فى أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الاموال فى أموالهم ان احدنا اذا لقى أحب أن يعظم
لمكان دينه وان سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ أحب أن يرخص عليه لمكان
دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح
ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو
شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفى حديث
آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى
ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك فى مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة
يحرصون على اخفائها أعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص أعمالهم
الصالحة فيجازيهم الله فى القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل فى القيامة الا
الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده
ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله
اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربى الخالص لعلمهم بان أرباب البوادى
لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد فى البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا
ينجى الا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذى يتزودونه له من التقوى
فاذا شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان
أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم او الصبيان الرضع أم
غابوا اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم
ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر
عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا
للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى أحدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم
كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول أولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود
والى مذموم فأما المحمود فاربعة أقسام * الاول أن يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما
اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره
اليه وألطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم

بتعودها الافطار تكره
الصوم فيرون الفضل فى
أن لا تركن النفس الى
عادة ورأوا ان افطار يوم
وصوم يوم أشد على
النفس * ومن أدب الفقراء
ان الواحد اذا كان بين
جمع وفى صحبة جماعة
لا يصوم الا باذنهم وانما
كان ذلك لان قلوب الجمع
متعلقة بفطوره وهم على
غير معلوم فان صام باذن
الجمع وفتح عليهم بشئ
لا يلزمهم ادخاره للصائم
مع العلم بان الجمع
المفطرين يحتاجون
الى ذلك فان الله تعالى
يأتى للصائم برزقه الا ان
يكون الصائم يحتاج الى
الرفق لضعف حاله أو
ضعف بنيته لشيخوخة
أو غير ذلك وهكذا
الصائم لا يليق ان يأخذ
نصيبه فيدخره لان
ذلك من ضعف الحال
فان كان ضعيفا يعترف
بحاله وضعفه فيدخره

من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به * الثانى أن يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه فى الدنيا انه كذلك يفعله فى الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد ذنبا فى الدنيا الا ستره عليه فى الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول فى الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل * الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به فى طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور ولا محالة * الرابع أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص فى هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه * وأما المذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته فى قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام فى مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى والجلى وما لا يحبط)

فنقول فيه اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور بمجرد الظهور من غير اظهار فهذا لا يفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن اظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة فى الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف وفى الآثار والاخبار ما يدل على أنه محبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه أظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به اذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس أن يقال انه مثاب على عمله الذى مضى ومعاقب على مراآته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد فى أثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر فى العمل واما أن يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون فى تطوع فتجددت له نظارة أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهى أن ينظر اليه أو يذكر شيأ نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاعادة ان كان فى فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوله أى النظر الى خاتمته وروى أنه من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله وهذا منزل على الصلاة فى هذه الصورة لا على الصدقة

والذى ذكرناه لاقوام هم على غير معلوم فاما الصوفية المقيمون فى رباط على معلوم فالاليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع فى الافطار وهذا يظهر فى جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار فاما اذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام وأمر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق تفقد النية وأحوال النفس فكل ما صحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة فهو الافضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه اذا كان صائما وأفطر للموافقة وان صام ولم يوافق فله وجه * فاما وجه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبى الفضل

ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقى دون الماضى والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغى أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء أصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه ولقد ذهب الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى الى الاحباط فى أمر هو أهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى أنه محبط لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبى أنه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يضره أى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه * أحدها أنه يحتمل انه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث انه قبل الفراغ * والثانى انه أراد أن يسر به للاقتداء به أو سرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به أجرا ولا ذهب من الامة الى أن للسرور بالمحمدة أجرا وغايته أن يعفى عنه فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائى أجران * والثالث انه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل الى أبى هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبى صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة فى الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر أثره فى العمل بل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام وأما الاخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق وأما ما ورد فى الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغى أن يفسد الصلاة ولا يبعد أيضا أن يقال ان الذى أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا فى كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ أو بعد الفراغ (القسم الثالث) الذى يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف فى أنه يقضى ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه فى أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة

الحافظ المقدسى قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى عطاء بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن أبى سعيد الخدرى قال أصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم انى صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا كم أخوكم وتكلف لكم ثم تقول انى صائم أفطر واقض يوما مكانه * وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال رسول الله نأكل رزقنا ورزق بلال فى الجنة

على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتفسد الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية وأولى الاوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فأما اذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلي الا أنه ظهر له الرغبة في المحمدة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا اما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء وأطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وان كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا فحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فأما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث أصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ أثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى

فاذا علم أن هنالك قلبا يتأذى أو نفضا لا يرجى من موافقته من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا المعنى لا ينبغي أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق أخيه * ومن أحسن آداب الفقير الطالب انه اذا أفطر وتناول الطعام ربما يجد باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن أداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها أو بآيات يتلوها أو باذكار واستغفار يأتي به فقد ورد في الخبر أذيبوا طعامكم بالذكر * ومن مهام آداب الصوم كتمانه مهما أمكن الا أن يكون

الخواطر وماذكرناه هو الاقتصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد فى ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا فى شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبى يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك فى نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء فى قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفى علاجه مقامان أحدهما قلع عروقه وأصوله التى منها انشعابه والثانى دفع ما يخطر منه فى الحال *(المقام الاول)* فى قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة أصول وهى حب لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما فى أيدى الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائى ما روى أبو موسى أن اعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر فى القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع فى الدنيا وقال عمر رضى الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتى راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبغى الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهى الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كى لا يبخل وهو ليس يطمع فى الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع فى الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلى ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع فى الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفتى بغير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هى التى تحرك المرائى الى الرياء وعلاجه ماذكرناه فى الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الانسان انما يقصد الشئ ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ اما فى الحال واما فى المآل فان علم أنه لذيذ فى الحال ولكنه ضار فى المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن اذا بان له أن فيه سما أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه فى الحال من التوفيق وفى الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزى الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائى يا مغبون اذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فمهما تفكر العبد فى هذا الخزى وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم فى الدنيا بما يفوته فى الآخرة وبما يحبط

متمكنا من الاخلاص فلا يبالى ظهر ام بطن

(الباب الثانى والاربعون فى ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة)

الصوفى بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه واتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة والصوفى موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه أمراله قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين فيدخل على الصوفى أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته ويحف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات ولهذا ورد نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل

عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا أفسد بالرياء
حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوى الى النار فلو لم يكن فى الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان
ذلك كافيا فى معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند
الله فى زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا
مع ما يتعرض له فى الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل
ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم فى سخط بعضهم ومن طلب رضاهم فى سخط الله سخط
الله عليه وأسخطهم عليه ثم أى غرض له فى مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا
أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما فى أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو
المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع فى الخلق لم يخل من
الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم
فاسد وقد يصيب وقد يخطئ واذا أصاب فلا تفى لذته بألم منته ومذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده
ذمهم شيأ ما لم يكتبه عليه الله ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار ان كان من أهل
الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة
لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر فى قلبه آفة هذه الاسباب
وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن
الناس لو علموا ما فى باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه
الى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم
له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال فى مدحهم ولا نقصان فى ذمهم كما قال شاعر من بنى تميم
ان مدحى زين وان ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذى لا اله الا هو
اذ لا زين الا فى مدحه ولا شين الا فى ذمه فأى خير لك فى مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار
وأى شر لك فى ذم الناس وأنت عند الله محمود فى زمرة المقربين فمن أحضر فى قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد
والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع
همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه أنوار على
قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق
واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له
منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه فى الشطر الاول هى الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء وأما
الدواء العملى فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون
الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد
روى أن بعض أصحاب أبى حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا
بعد هذا فلم يرخص فى اظهار هذا القدر لان فى ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء
وذلك يشق فى بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل
ألطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع
أجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما * (المقام الثانى) * فى دفع العارض منه
فى أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع

كبير يحتاج الى علوم
كثيرة لاشتماله على
المصالح الدينية والدنيوية
وتعلق أثره بالقلب والقالب
وبه قوام البدن باجراء
سنة الله تعالى بذلك
والقالب مركب القلب
وبهما عمارة الدنيا
والآخرة (وقد ورد)
أرض الجنة قيعان نباتها
التسبيح والتقديس
والقالب بمفرده على
طبيعة الحيوانات يستعان
به على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طبيعة
الملائكة يستعان بهما
على عمارة الآخرة
وباجتماعهما اصلحا العمارة
الدارين والله تعالى
ركب الآدمى بلطيف
حكمته من أخص جواهر
الجسمانيات والروحانيات
وجعله مستودع خلاصة
الارضين والسموات
وجعل عالم الشهادة وما
فيهما من النبات والحيوان
لقوام بدن الآدمى قال

الطمع واسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه فى أثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحى بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة فى قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثانى حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة فى دفع الخاطر الاول ورده قبل أن يتلوه الثانى فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة فى علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد يذكر ما رسخ فى قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله فى القيامة وخيبته فى أحوج أوقاته الى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تفيد شهوة ورغبة فى الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما فاذا لا بد فى رد الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التى كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى فى القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع فى القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه أشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين حتى نودى يا أصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا وأكثر الشهوات التى لا تهجم فجأة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرته الداخلة فى عقد الايمان ومهما نسى المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الخاطر الذى خطر له هو خاطر الرياء الذى يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر فى ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد اذ قبل داعى الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينتفع بكراهيته اذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا فى اجتماع الثلاث وهى المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل فى آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هى التى تغصب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر فى العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير

الله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا فكون الطبائع وهى الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للآدمى يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل الى المعدة وفى المعدة طباع أربع وفى الطعام طباع أربع فاذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة البرودة والرطوبة اليبوسة فيعتدل المزاج ويأمن الاعوجاج واذا أراد الله تعالى افناء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم

خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا أنه كاره لحبه ولميله اليه وغير مجيب اليه فهل يكون
في زمرة المرائين فاعلم أن الله لم يكلف العباد الا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا
قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من
معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف
ويدل على ذلك من الاخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض
لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب الينا من أن
نتكلم بها فقال عليه السلام أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس
والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة
للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة
فان يندفع بها ضرر الاصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه
قال الحمد لله الذى رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك
فلا يضرك ماهو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة
الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم
والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من
النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا أن للشيطان ههنا مكيدة وهي أنه اذا عجز عن حمله
على قبول الرياء خيل اليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى
يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر
المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله * والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء
على أربع مراتب * الاولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل
الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذى
هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك
* الثانية أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته
* الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة
الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا الكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة
* الرابعة أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهما
نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان
وذلك هو الذى يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع * يروى عن الفضيل بن
غزوان أنه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من أمره قيل ومن أمره قال الشيطان اللهم اغفر
له أى لاغيظه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد
في حسناته * وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند
ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال أيضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما ملك
وقلاك وضرب الحرث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا أحسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا
من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن
يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فأبى فلما عرف اباءه شغله
بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره

(روى) عن وهب بن منبه قال وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام انى خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لانى خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الاول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم باذنى وبهن قوامه فلا يقوم الجسم الا بهن ولا تقوم منهن واحدة الا بأخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن

فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة أخرى يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فاذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه وانتظار الورود أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة الى أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد فى الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام الى أن الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون الا ما أراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى وأسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره الا بخير فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الامن والسرور بعد أن قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع أنه لم ينه الا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فاذا لم يأمن نبي من الانبياء وهو فى الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن فى دار الدنيا وهى منبع المحن والفتن ومعدن اللذات والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من أوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه وأخذ الحذر حيث أمر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار الى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفى اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم أن ذلك قادح فى التوكل

البرودة فى البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التى جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأهم الامور فى الطعام ان يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر الامر وأتعب طلب الحلال ٭ ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأن يبتدئ بغسل اليد قبل الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وانما كان موجبا

فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل
ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت
هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادى والمضل هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما
ذكرناه فى التوكل وهذا ما اختاره الحرث المحاسبى رحمه الله وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وما قبله
يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الاحوال فى بعض
الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه فى
كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغى أن يكون شئ أغلب على قلوبنا من ذكره
والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدى الى خلو القلب
عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا
ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث
لا نحتسب وان تجردنا للذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان
أما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا
عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدى ذلك الى خلو
القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى
وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره
وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الأولى اذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل
القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره
فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن
الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد
معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من
التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه
الحذر وينام على أن يتنبه فى ذلك الوقت فيتنبه بالليل مرات قبل أوانه لما أسكن فى قلبه من الحذر مع
أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذى يقوى على دفع العدو
اذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة
الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره
بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو فمثال القلب
مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافى فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء
القذر والذى جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه يجرى
اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذى جعل لمجرى الماء القذر
سدا وملأها بالماء الصافى فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

(بيان الرخصة فى قصد اظهار الطاعات)

اعلم أن فى الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب
الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين ولكن فى الاظهار

لنفى الفقر لان غسل
اليد قبل الطعام استقبال
النعمة بالادب وذلك من
شكر النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستوجبا للنعمة
مذهبا للفقر وقد روى
أنس بن مالك رضى الله
عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال من
أحب أن يكثر خير بيته
فليتوضأ اذا حضر غداؤه
ثم يسمى الله تعالى فقوله
تعالى ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه
تفسيره تسمية الله تعالى
عند ذبح الحيوان واختلف
الشافعى وأبو حنيفة
رحمهما الله فى وجوب
ذلك وفهم الصوفى من
ذلك بعد القيام بظاهر
التفسير ان لا يأكل
الطعام الا مقرونا بالذكر
فقرنه فريضة وقته وادبه
ويرى أن تناول الطعام
والماء ينتج من اقامة
النفس ومتابعة هواها

أيضا فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان أحدهما فى نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل

(القسم الاول) اظهار نفس العمل كالصدقة فى الملا لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصارى الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وتجرى سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء فى الصدقة على الطباع أغلب نعم الغازى اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لان الغزو فى أصله من أعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته فى الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ويرغب الناس فى الصدقة فالسر أفضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس فى الافضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وان كان فى العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له أجرها وأجر من عمل بها وقد روى فى الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا الاوجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد فى الحالتين فما يقتدى به أفضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف فى أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محلته وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل الاقتداء به الثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغى أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء فى الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء فى الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك فى السر مثل أجر الاعلان فان مال قلبه الى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم فى الخير فانهم قد رغبوا فى الخير بالنظر الى غيره وأجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغى

ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه (روت) عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام فى ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابى فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه لو كان يسمى الله لكفاكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسى ان يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره ويستحب ان يقول فى أول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة يتم ويشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول فى أول نفس الحمد لله اذا شرب وفى الثانى الحمد لله رب العالمين وفى الثالث الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما ان للمعدة طباعا تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فللقلب أيضا مزاج

أن يعدل بالسلامة شيأ والسلامة فى الاخفاء وفى الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء *(القسم الثانى)* أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر فى هذا أشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة فى اظهار الدعاوى عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر فى افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس فى عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب فى الخير والترغيب فى الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسى بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ما هى قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت أنه حق وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى أصبحت على عسر أو يسر لانى لا أدرى أيهما خير لى وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها وقال عثمان رضى الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغداء وقال أبو سفيان لاهله حين حضره الموت لا تبكوا على فانى ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما قضى الله لى بقضاء قط فسرنى أن يكون قضى لى بغيره وما أصبح لى هوى الا فى مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراآة اذا صدرت ممن يرائى بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التى ذكرناها فلا ينبغى أن يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائى للعبادة اذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روى أنه كان يجتاز الانسان فى سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا فى دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائى فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما ورد فى الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم

(بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له)

اعلم أن الاصل فى الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحى منه وقال أبو مسلم الخولانى ما عملت عملا أبالى ان يطلع الناس عليه الا اتيانى أهلى والبول والغائط الا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه وبجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر فى الشهوات والامانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع وأنه خائف من الله مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى وأما الصادق الذى لا يرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه *(الاول)* هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك الله ستره فى القيامة اذ ورد فى الخبر أن من ستر الله عليه فى الدنيا ذنبا ستره الله عليه فى الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان *(الثانى)* أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصى

وطباع لارباب التفقد والرعاية واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض الى الفضول وتارة تحدث فى القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف الى القلب أسرع منه الى القالب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت كموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب ينفى الاسواء ويذهب

ويجب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب لم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه * (الثالث) * أن يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغله عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان * (الرابع) * أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده أن يترك الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا أمر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر * (الخامس) * أن يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع * (السادس) * أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه * (السابع) * مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبي مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء أنه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا أنه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال * احداها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من

الداعو بجلب الشفاء * حكي أن الشيخ محمد الغزالي لما رجع الى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصده زائرا فصادفه وهو في صحرائه يبذر الحنطة في الارض فلما رأى الشيخ محمدا جاء اليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال لاني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيأ فلا أحب أن أسلمه الى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر (وكان) بعض الفقراء عند الاكل شرع في تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام

لاحياء له فان المستحيي اما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال * أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء * الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج داعي الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه * الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طالبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب والاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات أيضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدء أو ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعيف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من شيبته أن تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحيي من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب * (الثامن) * أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفي العاصي أيضا معصيته من أهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل الى الناس أنه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا أحب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

* (بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات) *

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو أكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة * (القسم الاول) الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها

بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام بكروه وتغيير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول أنا آكل وأنا أصلي يشير الى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه وقت الاكل ويرى الذكر وحضور القلب في الاكل أثرا كبيرا لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الاكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كان شحما حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك

لان احداهاما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا
ينبغى أن يترك لانه معصية لاطاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على
أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين
بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء
وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية أن ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا
ينبغى أن يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع فى العمل وليجاهد نفسه فى دفع الرياء وتحسين
الاخلاص بالمعالجات التى ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة أن يعقد على
الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغى أن يجاهد فى الدفع ولا يترك العمل لكى يرجع الى عقد
الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك أولا الى ترك العمل فاذا لم تجب
واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء
وتعبك ضائع فأى فائدة لك فى عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد
حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال
خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا
صافيا نقيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل أن
يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا انه مراء فيعصوا الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه أولا أساء
الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك
العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا انه
مراء أو قالوا انه مخلص وأى فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال انه مراء وبين أن يحسن العمل
خوفا من أن يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد
الجهال ثم كيف يطمع فى أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن
يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهى الشهرة فيضطرك بذلك الى أن تهرب فان
هربت ودخلت سربا تحت الارض ألقى فى قلبك حلاوة معرفة الناس بتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم
لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا أن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر
فى الآخرة ولا نفع فيه فى الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالى وان
نزغ العدو ونازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما
دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله تعالى
اذا دعتك نفسك الى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك
وأنك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على أن تزيد فى العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل
فان قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف فى قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك
منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد فى قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث دينى بل تجرد باعث
الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع فى العمل لله فلا بد ان يبقى معه أصل قصد الثواب
فان قلت فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة روى أن ابراهيم النخعى دخل عليه انسان وهو
يقرأ فأطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمى اذا أعجبك
الكلام فاسكت واذا أعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان أحدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من رفعه
الا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد فى ذلك آثار كثيرة

على المضغ والسوغ وكيف
جعل القوة الهاضمة
مسلطة على الطعام تفصله
وتجزئه متعلقا مددها
بالكبد والكبد بمثابة
النار والمعدة بمثابة القدر
وعلى قدر فساد الكبد
تقل الهاضمة ويفسد
الطعام ولا ينفصل ولا
يصل الى كل عضو نصيبه
وهكذا تأثير الاعضاء كلها
من الكبد والطحال
والكليتين ويطول
شرح ذلك فمن أراد
الاعتبار فليطالع تشريح
الاعضاء ليرى العجب
من قدرة الله تعالى من
تعاضد الاعضاء وتعاونها
وتعلق بعضها بالبعض
فى اصلاح الغذاء
واستجذاب القوة منه
للاعضاء وانقسامه الى
الدم والثفل واللبن
لتغذية المولود من بين
فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين فتبارك الله
أحسن الخالقين فالفكر

قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات ممن لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق يقل ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الاعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء وأما اطباق ابراهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بكلامه فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك وأما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا لمجرد خوف الرياء وأما قول التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها * (القسم الثاني) * ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال * أما الخلافة والامارة فهي من أفضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه أبو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو أعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشيرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر علي قال أجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خر لي قال أجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وان أوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد

في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عونا لنا على ما تحب وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغا لنا فيما تحب

* (الباب الثالث والاربعون في آداب الاكل) *

فمن ذلك أن يبتدئ بالملح ويختم به روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس

الولايات وان الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأعني بالقوى الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع
ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة
الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا
الحق ولو زهقت فيه أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة
فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير
الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل
فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون
لا يجب لان هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق وترك لذات
النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما
لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من
العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى
المداهنة واهمال الحق وتهوى به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا أن يعزل قهرا وكان
فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب
فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولي أمرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوى
والضعيف علمت أن نهي أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض * وأما القضاء فهو وان كان
دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية أمير له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب
في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة وقال عليه السلام من استقضي فقد ذبح بغير سكين
فحكمه حكم الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقوياء الذين
لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال
بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه فليس له أن
يتقلد القضاء وان تقلد فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال
أصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك
فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار
* وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه
ويعظم به القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى
ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن
بشر كذا كذا قمطرا من الحديث وقال يمنعني من الحديث أني أشتهي أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث
لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة
لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا
ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام
ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه به من حيث انه يصلح لان يذكره على
رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين
ليعمل به أولا ثم يقول اذا أنعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني في نفعها اخواني
المسلمون فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة

وروت عائشة رضي الله عنها قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال علي بذلك الابيض الذي يكون في العجين فجئنا بملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها (روى جابر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدي وروى أنه قيل يارسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الاكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا)

والا كل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه الى أن ترتاض نفسه وتقوى
فى الدين منته و يأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم
تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة وندامة يوم القيامة
الا من أخذها بحقها وقال نعمت المرضعة و بئست الفاطمة ومعلوم أن السلطنة والامارة لو تعطلت
لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق و زال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم
نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضى الله عنه أبى بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو فى ذلك
يقول أبى سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة
على التابع وعمر كان بنفسه يخطب و يعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس اذا فرغ من
صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من نصح الناس فقال اخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل
الرغبة فى جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه فى دينهم كالوعظ والتدريس
والفتوى وفى كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدى الى
اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطل القضاء بل
الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق
وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التى فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا
السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس
فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم انى أقول مع هذا اذا كان فى البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا
فليس فى النهى عنه الا امتناع بعضهم والا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن
فى البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته فى الظاهر وتخييله الى
العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد
نفسك فان قال لست أقدر على نفسى فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم
اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من
سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذى يرغب فى الآخرة و يزهد فى الدنيا بكلامه
و بظاهر سيرته فأما ما أحدثه الوعاظ فى هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة
بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف المسلمين بل فيه الترجئة والتجرئة على المعاصى
بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا فى واعظ
حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن فى نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه فى كتاب العلم
من الوعيد الوارد فى حق العلماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولهذا قال المسيح عليه
السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون
فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم
دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب و يبقى فيه النخالة كذلك أنتم
تخرجون الحكم من أفواهكم و يبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من
لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا
تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا

الشيخ أبو زرعة عن
المقومي باسناده الى ابن
ماجه الحافظ القزويني
قال أنا محمد بن المثنى قال
ثنا معاذ بن هشام قال ثنا
أبي عن يونس بن الفرات
عن قتادة عن أنس بن
مالك قال ما أكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا فى سكرجة
قال فعلام كانوا
يأكلون قال على السفر
و يصغر اللقمة و يجود
الاكل بالمضغ وينظر بين
يديه ولا يطالع وجوه
الآكلين و يقعد على
رجله اليسرى و ينصب
اليمنى و يجلس جلسة
التواضع غير متكئ ولا
متعز نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن
يأكل الرجل متكئا
(وروى) أنه أهدى
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم شاة فجثا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
ركبتيه يأكل فقال

أحب اليكم من صلاح الآخرة فأي ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق
للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني
عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور
العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا
ان تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم
يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم
بسوء أعمالكم وقد روى الحرث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين
الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا
فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في
العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من
الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه
الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراآة الخلق كما يقال لمن خالجه
الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره
عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لأحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما
الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له أيضا اتركه ما دام يجد في
نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل
الصلوات اذا تجرد باعث الرياء وجب تركها أما اذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره
فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب
الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث * الأولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من
السلف خوفا من الآفة * الثانية الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف
وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها
مع اتمام العمل لله بأدنى قوة * الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى
والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي ان
لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء رأسا دون
الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات مناصب العلم علم أنه بالولاة أشبه وان الحذر منه في حق
الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق
واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة
ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد
أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال أبو الدرداء
ما يسرني أني أقمت على درج مسجد دمشق أصبت كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما اني لا أحرم
البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف
العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات
والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح
عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر بها تركك لها أبر وقال أقل ما فيه أن يشغله اصلاحه عن ذكر الله
وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر

اعرابي ما هذه الجلسة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني عبدا ولم يجعلني جبارا عنيدا ولا يبتدي بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ : روى حذيفة قال كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطي بشماله وان كان المأكول تمرا أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمي وما يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه

والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه أفضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب أن يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الاكثر أضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الاحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب أن الافضل ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من امساكه بكل حال فان قلت فبأى علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم أن لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى أن الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لا يكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه أن يزيد في كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا فما افتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الامير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم

ويرميه ولا يأكل من ذروة الثريد روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل في وسطه * ولا يعيب الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه واذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الاذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلعق أصابعه فقد روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه فانه لا يدري في أي طعامه تكون البركة وهكذا أمر عليه السلام بإسلات

الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانكم تظنون أن الخيانة ليست الا فى الدينار والدرهم ان الخيانة ذا الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار انى أتيت هذا رجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا اغزى أخاه أغزاه كذا الا أبالك تعرض علينا الناس أما أنا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة وتسالون عن شئ والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين

(بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم فى موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلى مع انه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا وكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث النشاط فى الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن أنه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب فى عبادة الله تعالى وفى قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق والاشتغال فى بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل فى منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع فى منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التى تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفى منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه فى منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم فى منزله ومعه أطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل فى بيتك ولا تزيد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته فى الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلى لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه الا على ذوى البصائر فاذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغى أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصى بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل

القصعة وهو مسحها من الطعام قال أنس رضى الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلات القصعة ولا ينفخ فى الطعام فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال النفخ فى الطعام يذهب بالبركة وروى عبد الله بن عباس انه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ فى طعام ولا فى شراب ولا يتنفس فى الاناء فليس من الادب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل روت أم سعد رضى الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها وأنا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال

من وراء حجاب وهو فى ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة فى الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم أن الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغى أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغى أن يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكى جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر فى ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من أن يقال انه قاسى القلب فينبغى أن يترك التباكى قال لقمان عليه السلام لابنه لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجارى الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهى الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون أصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد فى رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها فى حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيى ان يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وانما هى كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل فى المشى ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشى فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها أن يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه فى الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كما روى عن ذى النون رحمه الله انه قام وزعق فقام معه شيخ رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذى يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء فى الخبر تعوذوا بالله من خشوع المنافقين وانما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراآة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهى مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك فى كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شئ من الرياء الذى هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهى مقبولة أم لا لخوفك على الاخلاص

عليه السلام نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل فانه كان ادام الانبياء قبلى ولم يقفر بيت فيه خل ولا يصمت على الطعام فهو من سيرة الاعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهى ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له فى الطعام حاجة * واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الاشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات

فيها واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر فى اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب أما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التى كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك ان يرى الناس انى أخشاك وأنت لى ماقت وكان من دعاء على بن الحسين رضى الله عنهما اللهم انى أعوذ بك ان يحسن فى لامعة العيون علانيتى ويقبح لك فيما اخلو سريرتى محافظا على رياء الناس من نفسى ومضيعا ما أنت مطلع عليه منى أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى اليك بأسوأ عملى تقربا الى الناس بحسناتى وفرارا منهم اليك بسيآتى فيحل بى مقتك ويجب على غضبك أعذنى من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففى الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه أغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ماهو أخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع فى ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه واحسانه

(بيان ماينبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه فى سائر أوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله فان كان فى هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التى لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما فى الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الامر ينبغى أن يثبت قدمه ويتذكر فى مقابلة عظم عمله ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لى على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغى أن ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة فى الاخلاص لان المخلط الى ذلك أحوج من المتقى لان المتقى ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص أحوج * وقد روى تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فالقى فى النار فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده فى جبر الفرائض وتكفير السيآت ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل وأما المتقى فجهده فى زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقى من حسناته ما يترجح على السيآت فيدخل الجنة وانما ينبغى أن يلزم قلبه خوف اطلاع الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغى أن يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا فى قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته

السماء والارض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الادب وأهمه أن لا يأكل الا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم اذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم خادمه بطعام فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولى حره ودخانه واذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى أبو سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل طعاما قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وروى عن رسول الله

بها او رد عمله بسببها او يكون هذا الشك والخوف فى دوام عمله و بعده لا فى ابتداء العقد بل ينبغى أن
يكون متيقنا فى الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة
يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب
أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك أنه هل أفسد
برياء فيكون رجاء القبول أغلب و بذلك تعظم لذته فى المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء
شك وخوفه لذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذى يتقرب
الى الله بالسعى فى حوائج الناس وافادة العلم ينبغى أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على
قلب من قضى حاجته فقط و رجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من
المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فهما توقع من المتعلم مساعدة فى شغل وخدمة أو مرافقة فى المشى
فى الطريق ليستكثر باستتباعه أو تردد امنه فى حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو
ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو أن
لا يحبط ذلك أجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء
يحذرون هذا حتى أن بعضهم وقع فى بئر فجاء قوم فادلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم أن لا يقف معهم
من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره وقال شقيق البلخى أهديت لسفيان
الثورى ثوبا فرده على فقلت له يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذلك
ولكن أخوك يسمع منى الحديث فأخاف أن يلين قلبى لاخيك أكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى
سفيان ببدرة أو بدرتين وكان أبوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا أبا عبد الله فى
نفسك من أبى شئ فقال يرحم الله أباك كان وكان فاثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار
هذا المال الى فاحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده يا
مبارك الحقه فرده على فرجع فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته
مع أبيه فى الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسى ان جئت اليه فقلت ويلك
أى شئ قلبك هذا حجارة عد انه ليس لك عيال اما ترحمنى اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالك فاكثرت
عليه فقال الله يا مبارك تأكلها أنت هنيأ مريأ وأسئل عنها أنا فاذا يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب
الثواب من الله فى اهتداء الناس به فقط و يجب على المتعلم ان يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة
عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما ظن أن له ان يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو
خطأ لان ارادته بطاعته غير الله خسران فى الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر فى الحال
عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغى أن يتعلم لله و يعبد لله و يخدم المعلم لله لا ليكون له فى
قلبه منزلة ان كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم
غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغى أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله عنه فى
رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية فى الحال
وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغى
أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس
الرياء فى صدره حتى تتيسر عليه العبادات فى خلوته به وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم
لمحله وهو لا يدرى انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له
سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت يا سمعان منذ كم أنت فى صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت

صلى الله عليه وسلم انه
قال من أكل طعاما فقال
الحمد لله الذى أطعمنى
هذا ورزقنيه من غير
حول منى ولا قوة غفر له
ما تقدم من ذنبه و يتخلل
فقد روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تخللوا فانه نظافة والنظافة
تدعو الى الايمان والايمان
مع صاحبه فى الجنة
و يغسل يده فقد روى
أبو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من بات وفى يده غمر لم
يغسل فاصابه شئ فلا
يلومن الا نفسه ومن
السنة غسل الايدى فى
طست واحد روى ابن
عمر رضى الله عنهما انه
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أترعوا
الطسوس وخالفوا المجوس
و يستحب مسح العين
ببلل اليد (روى) أبو
هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم

طعامك قال ياحنيفي ومادعاك الى هذا قلت أحببت ان أعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج من
قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير بحذائك قلت نعم قال انهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا
فيزينون صومعتى ويطوفون حولها ويعظمونى فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها عز تلك
الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل ياحنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر فى قلبي المعرفة فقال
حسبك أو أزيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى أدخل
الدير فقد رأوا ما أدليت اليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا ياحنيفي ما الذى أدلى اليك
الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فأعطونى عشرين
دينارا فرجعت الى الشيخ فقال ياحنيفي ما الذى صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال
أخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده
ياحنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة فى القلوب يكون
باعثا فى الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده
والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها
فى قلبه فيردها فى الحال بعقله وايمانه فانه لو كان فى عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا
ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده
بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى له أن لا يخيب سعيه
الا أن يزيد عند مشاهدتهم فى الخشوع والانقباض كى لا ينبسطوا اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور
اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها فى دعواها قصد
الانقباض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو كثيرا أو يضحك كثيرا
أو يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها
المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر فى قلبه انه ليس فى الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل
من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق
عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان
أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغنى زيادة هزة فى نفسه لاكرامه الا اذا كان فى الغنى
زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة
الاغنياء أكثر فهو مراء أوطماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد فى الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب
المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر الى الغنى أكثر مما يستروح الى الفقير وقد
حكى أنه لم ير الاغنياء فى مجلس أذل منهم فيه فى مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف ويقدم
الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء فى مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغنى اذا كان أقرب اليك أو كان
بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة فى فقير لكنت
لا تقدم الغنى عليه فى اكرام وتوقير البتة فان الفقير أكرم على الله من الغنى فايثارك له لا يكون الا طمعا
فى غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما فى المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر
مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السماك لجارية له مالى اذا أتيت بغداد
فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغنى بما لا ينطلق به
عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها فى هذا الفن
لا تنحصر ولا ينجيك منها الا أن تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا

اذا توضأتم فاشربوا أعينكم
الماء ولا تنفضوا أيديكم
فانها مراوح الشيطان
قيل لابى هريرة فى
الوضوء وغيره قال نعم
فى الوضوء وغيره وفى
غسل اليد بأخذ الاشنان
باليمين وفى الخلال لا يزدرد
ما يخرج بالخلال من
الاسنان واما ما يلوكه
باللسان فلا بأس به
ويجتنب التصنع فى
أكل الطعام ويكون أكله
بين الجمع كأكله منفردا
فان الرياء يدخل على
العبد فى كل شئ وصف
لبعض العلماء بعض
العباد فلم يثن عليه قيل
له تعلم به بأسا قال نعم
رأيته يتصنع فى الاكل
ومن تصنع فى الاكل
لا يؤمن عليه التصنع
فى العمل وان كان
الطعام حلالا فليقل الحمد
لله الذى بنعمته تتم
الصالحات وتنزل البركات
اللهم صل على محمد وعلى

ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة فى أيام متقاربة وتكون فى الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن فى بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه فى كل ساعة لو اتسع فى الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر فى توالى الاوجاع والآلام عليه وأداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعمه فى عيش هنىء وبدن صحيح وقلب رخى وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه فيخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة أمره وبما أعد له من النعيم المقيم فى رضوان الله أبدا الآبادثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب فى بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم أشد شوقا فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته
تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

(كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر فى جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدفعه عن مراده دافع الغنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدى القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وارجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا *(أما بعد)* فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذ كان القصد فى هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من

قبائح

آل محمد اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك وليكثر الاستغفار والحزن ويبكى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش ويجتنب الدخول على قوم فى وقت أكلهم فقد ورد من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما وسمعنا القفا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا الا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير اذن صاحب الدار ويجتنب المضيف

فالج المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب

(الشطر الاول) من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبر يائي ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم أخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والارضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى

التكلف الا أن يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا واذا أكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه ان كان بعد المغرب أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (وروي أيضا) عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الادب ان لا يستحقر ما يقدم له من الطعام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه * ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للاعراس والتعازي فما عمل للنوائح لا يؤكل وما عمل لاهل العزاء

الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال ان أباك حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول ❊(الآثار)❊ قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل فى وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن على ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سلمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالى وفخوخا وان من مصالى الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

❊(بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب)❊

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى بردته اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى ارفع ازارك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء و روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه و وضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابى هى مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان (الآثار) عن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حميق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أن يمشى أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون فى كل عضو من أعضائه لله نعمة

لا بأس به وما يجرى مجراه واذا علم الرجل من حال أخيه انه يفرح بالانبساط اليه فى التصرف فى شئ من طعامه فلا حرج ان يأكل من طعامه بغير اذنه قال الله تعالى أو صديقكم (قيل) دخل قوم على سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا فدخل سفيان ففرح وقال ذكرتمونى أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعى الى طعام فالاجابة من السنة وأوكد ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وان عمل ذلك تصنعا و رياء فهو أقل من التكبر (روى) أن الحسن بن على مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الارض وهو على بغلته فلما مر بهم

الشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الى وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم * وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خراء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدرى من أنت أما أمك فاشتريتها بمائتى درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بل أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتبختر واذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وعن أبى سلمة المدينى عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيأ من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيأ من عسل فوضعه وقال أما انى لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله * وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدرى

سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المتكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الاكل مع الاخوان أفضل من الاكل مع العيال (روى) أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم

(الباب الرابع والاربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه)

قد تقشر فجعل لايجلس الى أحد الاقام من جنبه فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى
الله عليه وسلم انه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشئ فى يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال
النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال
التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين
فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار (الآثار) قال عمر رضى الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله
حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدى طوره رهصه الله فى الارض وقال اخسأ خسأك الله فهو
فى نفسه كبير وفى أعين الناس حقير حتى انه لأحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت
مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل
استيقظ فاذا هو سلمان الفارسى فذكرت له ما صنعت فقال لى يا جرير تواضع لله فى الدنيا فانه من تواضع
لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدرى ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال انه ظلم الناس بعضهم
بعضا فى الدنيا وقالت عائشة رضى الله عنها انكم لتغفلون عن أفضل العبادة التواضع وقال يوسف بن
اسباط يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد
سئل عن التواضع ماهو فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته ولو سمعته من أجهل
الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه
أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه
عليك فضل وقال قتادة من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة
وقيل أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك
وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا أعطاه الله نفعها فى الدنيا
ورفع له بها درجة فى الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منعه
الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء أو يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان أى
الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على
هرون فقال يا أمير المؤمنين ان تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال
يا أمير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله
وواسى من ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون بدواة وقرطاس
وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا أصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجئ
الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره أن يراك الاغنياء فى الثياب
الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء فى الثياب المرتفعة وروى انه خرج يونس وأيوب والحسن
يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما
الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت
وتواضع الجودى فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال أبو سليمان ان الله عز وجل اطلع
على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام
وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك فى الرحمة لولا أنى كنت معهم انى أخشى انهم
حرموا بسببى ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند
الله أرفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النمرى الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر وقال
مالك بن دينار لو أن مناديا ينادى بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان أحد يسبقنى الى الباب

اللباس من حاجات النفس
وضرورتها لدفع الحر
والبرد كما ان الطعام من
حاجات النفس لدفع
الجوع وكما ان النفس
غير قانعة بقدر الحاجة
من الطعام بل تطلب
الزيادات والشهوات
فهكذا فى اللباس تتفنن
فيه ولها فيه أهوية
متنوعة ومآرب مختلفة
فالصوفى يرد النفس فى
اللباس الى متابعة صريح
العلم (قيل) لبعض
الصوفية ثوبك ممزق قال
ولكنه من وجه حلال
وقيل له وهو وسخ قال
ولكنه طاهر فنظر
الصادق فى ثوبه ان يكون
من وجه حلال لانه ورد
فى الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال من اشترى ثوبا بعشرة
دراهم وفى ثمنه درهم من
حرام لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا أى لا
فريضة ولا نافلة ثم بعد

الا رجل بفضل قوة أو سعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل
من أحب الرياسة لم يفلح أبدا وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن
مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم
قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل
وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء
فقال له الشبلي أباداك الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل
اليهود ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رأيت علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني فقال له ما أحسن التواضع بالاغنياء في
مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل
وقال أبو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد مادام العبد يظن أن في الخلق من هو
شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على
قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال أبو سليمان لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي
عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها
صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم
وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي
الاغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء أقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل
ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من
الله عز وجل وقال أبو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى
هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت
في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة
مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل * وعن
الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد أيضا التواضع عند أهل التوحيد
تكبر ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها
أو يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه
غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا أنا برجل
حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر اليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل
رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع
يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير
وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد
وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي
يقول سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه
فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما
فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فان ثقل فانا كريم وان
خف فانا لئيم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في

ذلك نظره فيه أن يكون
طاهر الان طهارة الثوب
شرط في صحة الصلاة وما
عداه ذين النظرين
فنظره في كونه يدفع الحر
والبرد لان ذلك مصلحة
النفس وبعد ذلك
ماتدعو النفس اليه
فكله فضول وزيادة
ونظر الى الخالق والصادق
لا ينبغي أن يلبس الثوب
الا لله وهو ستر العورة
أو لنفسه لدفع الحر
والبرد (حكي ان سفيان
الثوري) رضي الله عنه
خرج ذات يوم وعليه
ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل
له ولم يعلم بذلك فهم أن
يخلعه ويغيره ثم تركه
وقال حيث لبسته نويت
أني ألبسه لله والآن
فما غيره الا لنظر الخلق
فلا أنقض النية الاولى
بهذه والصوفية خصوا
بطهارة الاخلاق وما
رزقوا طهارة الاخلاق
الا بالصلاحية والاهلية

التواضع نسأل الله الكريم حسن التوفيق

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فان العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفى أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفى أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغى أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفى الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر أخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذى استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس فى قوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضى أعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمرات يسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه فى مضايق الطرق وارتفع عليه فى المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره فى قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف فى النصح وان رد عليه شئ من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهى أكثر من أن تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هى أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شئ من العزة ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ

والاستعداد الذى هيأه الله تعالى لنفوسهم فى طهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمنامهم لان التناسب الواقع فى النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل فى الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشئ من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع الى التناسب رشح حال سلفهم فى وجود التناسب * قال أبو سليمان الدارانى يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم

ه عزه ومامن خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لامحالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التى فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم أخبر ان أشد أهل النار عذابا أشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قيل فى التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفى بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها و يعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل فى قلب المتواضع ولا تعمل فى قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن تطأطأ أظله وأكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق فى حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال سفه الحق وغمص الناس

(بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه)

اعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الاعلى اذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثانى التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى فى ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقال فرعون فيما أخبر الله عنه أو جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفى طلبوا من هو أعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أى استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت

وشهوته فى بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغى أن يكون مأكوله من جنسه واذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى أحد الطرفين اما فى طرف الثوب لوضع نظر الخالق واما فى طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس أبو سليمان الدارانى ثوبا غسيلا فقال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبى فى القلوب مثل قميصى فى الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما

قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء أشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله ما عليك من حسابهم وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذلم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله * القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين * أحدهما أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شئ فمن أين يليق بحاله الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته أي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه والخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك * الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو الى مخالفة الله تعالى في أوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على أمر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من أحواله الا ليعتبر به فانه قال أنا خير منه وهذا الكبر

بالنسب

كانت رقاعهم من المزابل
كانت لقمهم من الابواب
(كان) أبو عبد الله
الرفاعي مثابرا على الفقر
والتوكل ثلاثين سنة
وكان اذا حضر للفقراء
طعام لا يأكل معهم
فيقال له في ذلك فيقول
أنتم تأكلون بحق
التوكيل وأنا آكل بحق
المسكنة ثم يخرج بين
العشاءين يطلب الكسر
من الابواب وهذا شأن
من لا يرجع الى معلوم
ولا يدخل تحت منة
(حكي) ان جماعة من
أصحاب المرقعات دخلوا
على بشر بن الحرث فقال
لهم يا قوم اتقوا الله ولا
تظهروا هذا الزي فانكم
تعرفون به وتكرمون
له فسكتوا كلهم فقال له
غلام منهم الحمد لله الذي
جعلنا ممن يعرف به
ويكرم له والله ليظهرن
هذا الزي حتى يكون
الدين كله لله فقال له بشر

الكبر لانه قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدأه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن الشماس فقال يا رسول الله اني امرؤ حبب الي من الجمال ماترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من ان يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله

❊(بيان ما به التكبر)❊

اعلم انه لايتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجميع ذلك يرجع الى كمال ديني أو دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب ❊(الاول)❊ العلم وما أسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدؤه بالسلام فان بدأ واحدا منهم بالسلام أو رد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه أكرمهم وفعل بهم مالا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له عن صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال ❊ فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا فاعلم ان لذلك سببين ❊ أحدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فأما ماوراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا ❊ السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيئ الاخلاق فانه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا

أحسنت ياغلام مثلك من يلبس المرقعة فكان أحدهم يبقى زمانه لايطوى له ثوب ولايملك غير ثوبه الذي عليه (وروى) أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رؤس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب ان أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع (وحكى) عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لاتكاد تجده الا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا

صافيافتشربه الاشجار بعروقهافتحوله على قدرطعومهافيزداد المرمرارة والحلوحلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدرهممهاوأهوائهافيزيدالمتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجدمايتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفامع علمه فازداد علما علم أن الحجة قدتأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم مايتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظاغليظ القلب لانفضوامن حولك ووصف أولياءه فقال أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيمارواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون قدقرأنا القرآن فمن أقرأ مناومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لاتكونوا جبابرة العلماء فلايفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الدارى عمر رضي الله عنه فى القصص فأبى أن يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم أنه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال انى أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلماسلم من صلاته قال لتلتمسن اماماغيرى أولتصلن وحدانافانى رأيت فى نفسى انه ليس فى القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لايسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الامة فما أعزعلى بسيط الارض عالما يستحق أن يقال له عالم ثم انه لايحركه عزالعلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهوصديق زمانه فلاينبغى أن يفارق بل يكون النظراليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله ولوعرفنا ذلك ولوفى أقصى الصين لسعينا اليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته وسجيته وهيهات فأنى يسمح آخرالزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا فى القرن الاول ومن يليهم بل يعزفى زماننا عالم يختلج فى نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا امامعدوم واماعزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشرما أنتم عليه نجا لكان جديرابنا أن نقتحم والعياذبالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء أعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشرما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشرعشره فنسأل الله تعالى أن يعاملنا بماهوأهله ويسترعلينا قبائح أعمالنا كمايقتضيه كرمه وفضله

❊(الثانى)❊ العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبرمنهم فى الدين والدنيا أمافى الدنيافهوانهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم فى المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائرالناس فى الحظوظ الى جميع ماذكرناه فى حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأمافى الدين فهوان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهمارأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذاسمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على أنه مزدربخلق الله مغتربالله آمن من مكره غيرخائف من سطوته وكيف لايخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا أن يحقرأخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوله مالايرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنومنه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فماأجدرهم اذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله الى درجته فى العمل وما أجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كماروى أن رجلا فى بنى اسرائيل كان يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده مربرجل آخر يقال له عابدبنى اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلمامرالخليع به فقال

بجماعة من الملائكة أخذوابيدى وأقامونى وقالوالى هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان فلاتجلس معهم فانتبهت ونذرت ان لاألبس الاثوباواحدا الى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات أبويزيد ولم يترك الاقميصه الذى كان عليه وكان عارية فردوه الى صاحبه (وحكى) لناعن الشيخ حماد شيخ شيخنا انه بقى زمانا لايلبس الثوب الامستأجرا حتى انه لم يلبس على ملك نفسه شيأ (وقال أبوحفص الحداد) اذا رأيت وضاءة الفقير فى ثوبه فلاترجوخيره وقيل مات ابن الكرنبى وكان استاذ الجنيد وعليه مرقعته قيل كان وزن فردكمه وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع من

الخليع فى نفسه أنا خليع بنى اسرائيل وهذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمنى فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل فكيف يجلس الى فانف منه وقال له قم عنى فأوحى الله الى نبى ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفى رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصى اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجلا فى بنى اسرائيل أتى عابدا من بنى اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله اليه أيها المتألى على بل أنت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرز الخزاى ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك فى انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم الى أن يتحدى ويقول سترون ما يجرى عليه واذا أصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم فى الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه أكرم على الله من أنبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به ولعله فى مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين وأما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببى ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كونى فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصى وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر بخير للنبى صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس فى القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما يستكن فى قلبه سفعة فى وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات ٭ الدرجة الاولى أن يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية ٭ الثانية ان يظهر ذلك على أفعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه وأدنى ذلك فى العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفى العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أن الورع ليس فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا فى الخد حتى يصعر ولا فى الرقبة حتى تطأطأ ولا فى الذيل حتى يضم انما الورع فى القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزى الفقراء ويكون نيتهم فى ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل اعلم كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون ان يجعلوا بينهم وبين التراب حائلا ويكون لبس أبى حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى بحتها وهكذا الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم فى ذلك فلا يعترض عليهم غير أن لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل

التقوى ههنا وأشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم
خلقا وأكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا
أكثر الله فى المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فاحوالهم أخف حالا
هو فى الرتبة الثالثة وهو الذى يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية
النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير فى العلم والعمل أما العابد فانه يقول فى معرض
التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالنقص ثم يثنى على نفسه
ويقول انى لم أفطر منذ كذا كذا ولا أنام الليل وأختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة
وما يجرى مجراه وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول قصدنى فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجرى
مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان
يصلى وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك
يشتد فى العبادة خوفا من أن يقال غيره أعبد منه او أقوى منه فى دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول
أنا متفنن فى العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت
وما الذى سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه وأما مباهاته فهو أن يجتهد فى المناظرة أن
يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار فى تحصيل علوم يتجمل بها فى المحافل كالمناظرة والجدل
وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ
الاحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ويفرح مهما
أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق
الكبر وآثاره التى يثمرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعرى
من الذى عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من فى
قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انه من أهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم
الذى فهم أن الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا
ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا
التكبر بالعلم والعمل * (الثالث) * التكبر بالحسب والنسب فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس
له ذلك النسب وان كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موال وعبيد ويأنف
من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطى ويا هندى ويا أرمنى من
أنت ومن أبوك فانا فلان بن فلان وأين لمثلك أن يكلمنى أو ينظر الى ومع مثلى تتكلم وما يجرى مجراه
وذلك عرق دفين فى النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند
اعتدال الاحوال فان غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبى ذر أنه قال قاولت
رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف
الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت
للرجل قم فطأ على خدى فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى لنفسه فضلا بكونه
ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه

الجنة وأما لبس الناعم
فلا يصلح الا لعالم بحاله
بصير بصفات نفسه
متفقد لخفى شهوات
النفس يلقى الله تعالى
بحسن النية فى ذلك
فلحسن النية فى ذلك
وجوه متعددة يطول
شرحها ومن الناس من
لا يقصد لبس ثوب بعينه
لا لخشونته ولا لنعومته
بل يلبس ما يدخله الحق
عليه فيكون بحكم الوقت
وهذا حسن وأحسن من
ذلك انه يتفقد نفسه فيه
فان رأى للنفس شرها
وشهوة خفية أو جلية فى
الثوب الذى أدخله الله
عليه يخرجه الا أن
يكون حاله مع الله ترك
الاختيار فعند ذلك
لا يسعه الا أن يلبس
الثوب الذى ساقه الله
اليه وقد كان شيخنا أبو
النجيب السهروردى
رحمه الله لا يتقيد بهيئة
من الملبوس بل كان

تعرف أن العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ماروى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان
عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام قل للذى افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدوف
بآنافها القذر * (الرابع) * التفاخر بالجمال وذلك اكثر ما يجرى بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص
والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس من ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت دخلت امرأة
على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا أى انها صغيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها
وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها لو كانت أيضا صغيرة لما ذكرتها بالصغر فكأنها أعجبت بقامتها
واستصغرت المرأة فى جنب نفسها فقالت ماقالت * (الخامس) * الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك
فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم
ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وانا لو أردت لاشتريت مثلك
واستخدمت من هو فوقك ومن انت ومامعك وأثاث بيتى يساوى أكثر من جميع مالك وانا أنفق فى
اليوم مالا تأكله فى سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر
وآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا وأعز نفرا حتى أجابه
فقال ان ترنى انا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من
السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد
ثم بين الله عاقبة أمره وهو قوله ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى اخبارا عن
تكبره فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو
حظ عظيم * (السادس) * الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف * (السابع) * التكبر
بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود
وبين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ماهو نعمة وأمكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه
كمالا أمكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين
لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة
الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به
العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشئ منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه فى
اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه انه هو
الاعلم ولحسن اعتقاده فى نفسه نسأل الله العون بلطفه ورحمته انه على كل شئ قدير

* (بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له) *

اعلم ان الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهى ثمرة ونتيجة وينبغى ان تسمى تكبرا
ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له
موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالمتكبر كما سيأتى معناه فانه اذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشئ
من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما التكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب فى المتكبر وسبب فى المتكبر
عليه وسبب يتعلق بغيرهما أما السبب الذى فى المتكبر فهو العجب والذى يتعلق بالمتكبر عليه هو
الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد

يلبس ما يتفق من غير
تعمد وتكلف واختيار
وقد كان يلبس العمامة
بعشرة دنانير ويلبس
العمامة بدانق وقد كان
الشيخ عبد القادر رحمه
الله يلبس هيئة مخصوصة
ويتطيلس وكان الشيخ
على بن الهيتى يلبس لبس
فقراء السواد وكان أبو
بكر الفراء بزنجان
يلبس فروا خشنا كآحاد
العوام ولكل فى لبسه
وهيئته نية صالحة
وشرح تفاوت الاقدام
فى ذلك يطول (وكان)
الشيخ أبو السعود رحمه
الله حاله مع الله ترك
الاختيار وقد يساق اليه
الثوب الناعم فيلبسه
وكان يقال له ربما يسبق
الى بواطن بعض الناس
الانكار عليك فى لبسك
هذا الثوب فيقول
لا ألقى الا أحد رجلين
رجل يطالبنا بظاهر حكم
الشرع فنقول له هل

والحسد والرياء* أما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر بالظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال* وأما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه فلا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به* وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه* وأما الرياء فهو أيضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى أن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس انه أفضل منه فيكون باعثه عليه الرياء ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه* وأما الذي يتكبر بالعجب والحسد والحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم

(بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا أو متكئا وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها أن لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها أن لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء

سفيان

ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يحب أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ الى الله والافتقار اليه ويسأله أن يريه أحب الزي الى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في زي بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزي فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما يبسطه الله فيلبس الثوب عن علم وايقان ولا يبالى

سفيان فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال أردت ان أنظر كيف تواضعه ومنها ان
يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست
الى عبد العزيز بن أبي رواد فمس فخذى فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لي لم
تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة وانى لا أعرف رجلا منكم شرا مني وقال أنس كانت الوليدة من ولائد
المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان
يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من اصحابه يا كلون فما جلس الى احد الا قام من جنبه
فاجلسه النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يحبس عن طعامه
مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا فى بيته والتواضع
خلافه روى ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف اقوم
الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افأنبه الغلام فقال هى اول نومة
نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت
وانا عمر ورجعت وانا عمر ما نقص منى شئ وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا يأخذ متاعه
ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال على
كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شئ الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح
وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابى مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق
يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابى مالك وعن الاصبغ
بن نباتة قال كانى انظر الى عمر رضى الله عنه معلقا لحما فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة يدور فى الاسواق
حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله فى ملحفته فقلت
له احمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع
قال النبى صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان فقال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من
اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار
فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب على كرم الله وجهه فى ازار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن
ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس انى لاغسل ثوبى هذين
فانكر قلبى ماداما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة
بالف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول
ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال ان لى نفسا ذواقة تواقة
وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التى فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهى أرفع الطباق
تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك فلو لبست
فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان أفضل القصد عند الجدة وان أفضل العفو عند القدرة وقال صلى
الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله أن يدخر
له عبقرى الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى
الله عليه وسلم عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف
طريق الجمع بينهما فاعلم أن الثوب الجيد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر فى حق كل أحد فى كل

بما لبسه ناعما لبس أو
خشنا وربما لبس
ناعما ولنفسه فيه اختيار
وحظ وذلك الحظ فيه
يكون مكفرا له مردودا
عليه موهو باله يوافقه
الله تعالى فى ارادة نفسه
ويكون هذا الشخص
تام التزكية تام الطهارة
محبوبا مرادا يسارع الله
تعالى الى مراده ومحابه
غير ان ههنا مزلة قدم
لكثير من المدعين (حكى)
عن يحيى بن معاذ الرازى
انه كان يلبس الصوف
والخلقان فى ابتداء أمره
ثم صار فى آخر عمره
يلبس الناعم فقيل لابى
يزيد ذلك فقال مسكين
يحيى لم يصبر على الدون
فكيف يصبر على التحف
ومن الناس من يسبق
اليه علم ما سوف يدخل
عليه من الملبوس فيلبسه
محمولا فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
تنوعها مستحسنة قل كل

حال وهو الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال انى امرؤ حبب الى من الجمال ما ترى فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالى اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال فى كل شئ ولو فى خلوته وحتى فى ستور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعنى ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزنى ألبسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى ألبسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الاصل وقد أوردنا مانقل عن السلف فى احتمال الاذى فى كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به ومنه ينبغى ان يتعلم وقد قال ابن أبى سلمة قلت لابى سعيد الخدرى ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله وكل شئ من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا أعيا ويشترى الشئ من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه وينقلب الى أهله يصافح الغنى والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير اسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيى من أن يجيب اذا دعى وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد فى غير عنف متواضع فى غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذى قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده من طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد فى زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى أحد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتى من الجوع فأمسح بطنه بيدى وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحيى ان ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب الى من أن ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ أحب الى من اللحوق باخوانى واخلائى قالت عائشة رضى الله عنها فوالله ما استكمل بعد

يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو الاحب والاولى والاسلم للعبد والابعد من الآفات (قال مسلم ابن عبد الملك) دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت نفعل ان شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوه قالت والله ماله قميص غير هذا (وقال سالم) كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم اليه الخلافة فلما سلم اليه الخلافة ضرب براسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا باطمار له رثة فلبسها (وقيل) لما مات ابو الدرداء وجد فى ثوبه اربعون رقعة وكان عطاؤه

ذلك

ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال أبو الدرداء اعلم أن لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم أوتاد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيأ ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا منهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة وقلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في أسباب الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها الا ان تكون تبغض الدنيا فانك اذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي ان ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يا رب العالمين فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❁ (بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له) ❁

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب الثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره ❁ (المقام الاول) ❁ في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما أما العلمي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره فقد أشارت الآية الى أول خلق الانسان والى آخر أمره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو انه لم يكن شيأ مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الاشياء ثم من أقذرها اذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من

أربعة آلاف (وقال زيد بن وهب) لبس علي ابن ابي طالب قيصارا زايا وكان اذا مده بلغ اطراف اصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال اتعيبوني على لباس هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي بي المسلم (وقيل) كان عمر رضي الله عنه اذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة واياكم ان تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين فلما نظر اليهما اعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل له في ذلك فقال خشيت ان يعرض عني ربي فتواضعت

علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيأ مذكورا
فما صار شيأ مذكورا الا وهو على أخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا
ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته
وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته
قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره
ومعنى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه
كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له فى مدة حياته الى الموت
وكذلك قال من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه
انه أحياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا أولا ونطفة ثانيا وأسمعه بعدما كان أصم وبصره بعدما كان
فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد
الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره
وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما أكفره والى جهل الانسان كيف أظهره
فقال أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم
بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة
والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد
الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان فى ذاته لا شئ
وأى شئ أخس من لا شئ وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيأ وانما خلقه من التراب الذليل
الذى يوطأ بالاقدام والنطفة القذرة بعد عدمها المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما أكمل
النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك امتن
عليه فقال ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته أولا فقال ألم يك نطفة من منى
يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم
وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر
والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الاخساء وأضعف الضعفاء ولكن هذه عادة
الخسيس اذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة الا بالله نعم لو أكمله
وفوض اليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام
وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح
والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها
ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد أن يعلم الشئ فيجهله ويريد أن يذكر الشئ
فينساه ويريد أن ينسى الشئ ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد أن يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول فى أودية
الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه نفسه تشتهى الشئ وربما يكون هلاكه فيه وتكره
الشئ وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهى تنفعه وتحييه
ولا يأمن فى لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه
ويسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على
شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا أوسط
أحواله فليتأمله وأما آخره وموره فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره

له لا جرم لا يبيتان فى منزلى
لما تخوفت المقت من
الله تعالى من اجلهما
فاخرجهما فدفعهما الى
اول مسكين لقيه ثم امر
فاشترى له نعلان
مخصوفتان وروى ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبس الصوف
واحتذى المخصوف واكل
مع العبيد واذ كانت
النفس محل الآفات
فالوقوف على دسائسها
وخفى شهواتها وكامن
هواها عسر جدا فالاليق
والاجدر والاولى الاخذ
بالاحوط وترك ما يريب
الى ما لا يريب ولا يجوز
للعبد الدخول فى السعة
الا بعد اتقان علم السعة
وكمال تزكية النفس وذلك
اذا غابت النفس بغيبة
هواها المتبع وتخاصت
النية وتسدد التصرف
بعلم صريح واضح وللعزيمة
اقوام يركبونها
ويراعونها لا يرون

ومعناه

ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان
أول مرة لا يبقى الا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة
قذرة كما كان فى الاول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه ويصير رميما رفاتا
ويأكل الدود أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر أجزائه فيصير روثا فى
أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان
وأحسن أحواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا
بعدما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا كما كان فى أول أمره أمدا مديدا وليته بقى كذلك
فما أحسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلا فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه
المتفرقة ويخرج الى أهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال
مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر
اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل
بك فى حياتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك
ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت
ذلك وأحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب أو تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من
هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا مال هذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء أنشره فما
لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح فى لحظة واحدة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له أول
حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم
ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا أو يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه
وأطيب وأرفع اذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير
يهرب منه الخلق ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته
ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يسقى منه فى بحار الدنيا لصارت أنتن
من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة الا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو فكيف يفرح ويبطر
وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيأ حتى يعتقد له فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به
العقوبة الا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا
قوة الا بالله أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط فحبس فى السجن وهو
ينتظر أن يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدرى أيعفى عنه أم لا كيف
يكون ذله فى السجن أفترى انه يتكبر على من فى السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق
العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا
فهذا هو العلاج العلمى القامع لاصل الكبر * وأما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق
بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم
لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما أنا عبد فاذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به الى العتق فى الآخرة ولا
يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة
جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة أسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع

النزول الى الرخص خوفا
من فوت فضيلة الزهد فى
الدنيا واللباس الناعم
من الدنيا (وقد قيل)
من رق ثوبه رق دينه
وقد يرخص فى ذلك ان
لا يلتزم بالزهد ويقف على
رخصة الشرع (روى)
علقمة عن عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يدخل الجنة
من كان فى قلبه مثقال
ذرة من الكبر فقال رجل
ان الرجل يحب ان يكون
ثوبه حسنا ونعله حسنا
فقال النبى عليه السلام
ان الله جميل يحب الجمال
فتكون هذه الرخصة
فى حق من يلبسه لا يهوى
نفسه فى ذلك غير مفتخر
به ومختال فاما من لبس
الثوب للتفاخر بالدنيا
والتكاثر بها فقد ورد
فيه وعيد (روى)
ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال

بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا أخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت *(المقام الثانى)* فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا فى كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقى هو العلم والعمل فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل فى جميع الاسباب السبعة

* الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا فى صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذى ينسب اليه حيا لكان له أن يقول الفضل لى ومن أنت وانما أنت دودة خلقت من بولى افترى ان الدودة التى خلقت من بول انسان أشرف من الدودة التى من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثانى ان يعرف نسبه الحقيقى فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن أصله التراب المهين الذى يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر وأخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة أقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن أين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فاذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقى للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ أخبره عدول لا يشك فى قولهم أنه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيأ من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزى لخسته فى شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر فى أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف اذا عرف أنه فى نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التى يتنزه عنها هو فى نفسه * السبب الثانى التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار فى جميع أجزائه الرجيع فى امعائه والبول فى

مثانته

ازرة المؤمن الى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار من جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر فى ردائه اذ أعجبه رداؤه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة والاحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته فى مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه وفى كل الاحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى

(الباب الخامس والاربعون فى ذكر فضل قيام الليل)

قال الله تعالى اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء

تانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فيه والوسخ فى أذنيه والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان
تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين و يتردد كل يوم الى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من
بطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا فى حال توسطه
فى أول أمره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الاقذار اذ
خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر
انس رحمه الله كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر الينا أنفسنا و يقول خرج أحدكم من
مجرى البول مرتين و كذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ماهذه مشية من فى بطنه خراء اذ رآه يتبختر
كان ذلك قبل خلافته وهذا أوله و وسطه ولو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدها بالتنظف والغسل
ثار منه الانتان والاقذار وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التى لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر أنه
من أقذار وأسكن فى أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذى هو
خضراء الدمن وكلون الازهار فى البوادى فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان
جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه
ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو فى كل حين يتصور أن يزول بمرض
او جدرى أو قرحة أو سبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه
الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها ✽ السبب الثالث الكبر بالقوة والايد ويمنعه
من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد فى يده لصار أعجز من كل
عاجز وأذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيأ لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت فى أنفه أو نملة دخلت
فى أذنه لقتلته أو ان شوكة لو دخلت فى رجله لأعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجبر فى مدة فمن
لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى ان يفتخر بقوته ثم ان قوى
الانسان فلا يكون أقوى من حمار او بقرة أو فيل أو جمل وأى افتخار فى صفة يسبقك فيها البهائم ✽ السبب
الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفى معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن
من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا أقبح أنواع
الكبر فان المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر
بتمكن السلطان و ولايته لا بصفة فى نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان
أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى فى اليهود
من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق
فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست فى ذاته وما هو فى ذاته ليس اليه دوام
وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشئ من
هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان أبقاه بقى لك وان استرجعه زال عنك وما أنت الا عبد مملوك
لا يقدر على شئ ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ومثاله أن يفخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته
واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق
لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما فى يده وهو مع
ذلك يخشى أن يعاقبه و ينكل به لتفريطه فى أمواله وتقصيره فى طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ثم نظر
العبد فرأى نفسه محبوسا فى منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو فى كل حال على وجل من
كل واحدة منها وقد بقى لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا فى الخلاص البتة افترى من هذا حاله

ليطهركم به و يذهب
عنكم رجز الشيطان
نزلت هذه الآية فى
المسلمين يوم بدر حيث
نزلوا على كثيب من
الرمل تسوخ فيه الاقدام
وحوافر الدواب وسبقهم
المشركون الى ماء بدر
العظمى وغلبوهم عليها
وأصبح المسلمون بين
محدث وجنب وأصابهم
الظمأ فوسوس اليهم
الشيطان انكم تزعمون
انكم على الحق وفيكم نبى
الله وقد غلب المشركون
على الماء وأنتم تصلون
محدثين ومجنبين
فكيف ترجون الظفر
عليهم فأنزل الله تعالى
مطرا من السماء سال
منه الوادى فشرب المسلمون
منه واغتسلوا وتوضؤا
وسقوا الدواب وملؤا
الاسقية ولبد الارض
حتى ثبتت به الاقدام قال
الله تعالى و يثبت به
الاقدام اذ يوحى ربك

هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه
كذلك فلا يملك رقبته و بدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي
كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة
فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان
في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره
* السبب السادس التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة
شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال
والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم
طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن
لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر
الا بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره
من العالم فانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور
الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر
وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال جل وعز مثل الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل
عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث قال ابن عباس رضي الله عنهما أوتي بلعم كتابا فأخلد الى شهوات الارض أي سكن حبه اليها فمثله
بالكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي سواء آتيته الحكمة أو لم تؤته لا يدع شهوته ويكفي
العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره
بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن
قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه اذا أخذ وقهر
اشتهى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا
الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا
ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول ياليتني لم تلدني
أمي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول ياليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت
طيرا أوكل ويقول الآخر ليتني لم أك شيأ مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون
أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره
ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها وترك بعضها وأدخل النقصان
في بعضها وشك في بعضها انه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبر ان سيده أرسل اليه رسولا
يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق
عليه الامر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به الى سجن
ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن
بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره
وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول

الى الملائكة أني معكم أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل النعاس رحمة وأمنة للصحابة خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين والنعاس قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو أمنة لقلوبهم عن منازعات النفس لان النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب اذ في شكايتها وتعبها تكدير القلب وباستراحتها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطأة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون

العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب فى باطنه
من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ماهو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة
الامر الثانى أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وأنه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله
بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له ان لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك
قدرا فلا قدر لك عندى فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان
يستيقن أنه لا ذنب له مثلا أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا أن من نازع
الله تعالى فى رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا
أيضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق والمبتدع وكيف
يرى نفسه دونه وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر
العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر فى خطر الخاتمة بل لو نظر الى
كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر
والكبير من هو كبير عند الله فى الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار
وهو لا يدرى ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضى الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه
الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا أبا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى
العاقبة وجميع الفضائل فى الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى
جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر منى وان نظر الى عالم قال هذا قد علم مالم أعلم
فكيف أكون مثله وان نظر الى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلى فكيف أكون مثله
وان نظر الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وان نظر الى مبتدع أو كافر قال ما يدرينى
لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى
فبملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفى الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم ان الكمال فى سعادة الآخرة
والقرب من الله لا فيما يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر
عليه ولكن حق كل واحد أن يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل
بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة فى جناية ووعدوا
أن تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن
الالتفات الى هم غيره حتى كأن كل واحد هو وحده فى مصيبته وخطره فان قلت فكيف أبغض المبتدع
فى الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا
أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال
بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه
بكبر باطن فى نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على
المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان
الغضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما
ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند
مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور أحدها التفاتك
الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك والثانى أن تكون ملاحظتك لما
أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه

ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد فى أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره فى الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك اذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والانس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث فى المزاج فان نقص عن الثلث يضر بالدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر نقصانه لان طبيعة الروح والانس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تقصر مدة طول الليل بوجود

لالك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك
وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف من التكبر عليه فان قلت فكيف
أغضب مع هذه الاحوال فأقول تغضب لمولاك وسيدك اذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك وأنت في غضبك
لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من
خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على
المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام
بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا
مطيعا لمولاه فلا يجد بدا من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه أمره
به ولانه يريد التقرب بامتثال أمره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من
غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد أعز لا محالة من الغلام
فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق
وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك
من سوء القضاء في الازل وأنت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع
التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينضم
اليه الخوف والتواضع وأما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة
وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم
الامر (السبب السابع) التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله أن يلزم قلبه
التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه
من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل
العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العالم فان قال العابد ذلك
لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات وكما أن العلم يمكن ان يكون
حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار
بما يشهد لذلك واذا كان هذا الامر غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له فان قلت فان
صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي
على أدنى رجل من أصحابي فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل
ان يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند
الله عظيم ومقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كان كل واحد من العابد والعالم
خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق
غيره الرجاء وذلك يمنعه من الكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في
حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة
وأشد منه حبا لله وأما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد على ذنوبك في طول عمرك فلا
ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو أكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك
في طول العمر لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل
والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل
واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطا في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى

الروح فتصير بالروح
أوقات الليل الطويلة
كالقصيرة كما يقال سنة
الوصل سنة وسنة الهجر
سنة فيقصر الليل لاهل
الروح (نقل) عن على
ابن بكار انه قال منذ
أربعين سنة ما أحزنني
الا طلوع الفجر وقيل
لبعضهم كيف أنت
والليل قال ما راعيته قط
يريني وجهه ثم ينصرف
وما تأملته وقال أبو سليمان
الداراني أهل الليل في
ليلهم أشد لذة من أهل
اللهو في لهوهم وقال
بعضهم ليس في الدنيا
شئ يشبه نعيم أهل الجنة
الا ما يجده أهل التملق
في قلوبهم بالليل من
حلاوة المناجاة فحلاوة
المناجاة ثواب عاجل لاهل
الليل (وقال) بعض
العارفين ان الله تعالى
يطلع على قلوب المستيقظين
في الاسحار فيملؤها نورا
فترد الفوائد على قلوبهم

عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ماصرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات
القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف
الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى ان يكون
قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه
لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك
شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون
فيه عشر خصال فعد تسعا حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى
الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هى أفضل منه وارفع وفرقة هى شر منه وأدنى فهو
يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به وان رأى من هو شر منه
قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدرى
لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الاعمال وبرى ظاهر
فذلك شر لى فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فاحبطتها قال فحينئذ كمل عقله
وساد أهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء فى الازل بشقوته
فماله سبيل الى أن يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو
الفضيلة كما روى ان عابدا أوى الى جبل فقيل له فى النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فأتاه
فسأله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول
ان هذا الحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى فى النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له
ما هذا الصفار الذى بوجهك فأتاه فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس الا وقع لى انه سينجو وأهلك أنا
فقال العابد بهذه والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى
ربهم راجعون أى انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام
مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات بالدؤب بالاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الازل
وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر
دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار
الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن
القلب لا غير الا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة فاذا
وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغى أن يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل
ينبغى أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه أن يمتحن
النفس بخمس امتحانات هى أدلة على استخراج ما فى الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة ۞ الامتحان
الاول ان يناظر فى مسألة مع واحد من أقرانه فان ظهر شىء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله
والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا
دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان
الكبر لا يليق الا بالله تعالى وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وان يطلق
اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد

فيستنير ثم تنتشر من
قلوبهم الفوائد الى
قلوب الغافلين وقد ورد
ان الله تعالى أوحى فى
بعض ما أوحى الى بعض
أنبيائه ان لى عبادا
يحبونى وأحبهم ويشتاقون
الى وأشتاق اليهم
ويذكرونى وأذكرهم
وينظرون الى وأنظر
اليهم فان حذوت طريقهم
أحببتك وان عدلت
عن ذلك مقتك قال يارب
وما علامتهم قال يراعون
الظلال بالنهار كما يراعى
الراعى غنمه ويحنون الى
غروب الشمس كما تحن
الطير الى أوكارها فاذا
جنهم الليل واختلط الظلام
وخلا كل حبيب بحبيبه
نصبوا الى أقدامهم
وافترشوا لى وجوههم
وناجونى بكلامى وتملقوا
لى بانعامى فبين صارخ
وباكى وبين متأوه وشاكى
بعينى ما يتحملون من
أجلى وبسمعى ما يشكون

كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله
عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما
ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه فى الخلوة ويثقل عليه فى الملا فليس
فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعته
فى كماله فى ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من أدوية الرياء وان ثقل عليه فى الخلوة والملاء جميعا
ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثانى فليعالج كلا الداءين
فانهما جميعا مهلكان * الامتحان الثانى أن يجتمع مع الاقران والامثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه
ويمشي خلفهم ويجلس فى الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط
عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس فى صف النعال أو يجعل بينه وبين
الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ
يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن
يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذى يخرج خبث الكبر من الباطن
* الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق فى حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه
فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث فى
الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التى تزيل داء الكبر
* الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك
فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة
الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد أهمل الناس طب
القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة
الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل
له يا أبا يوسف قد كان فى غلمانك وبنيك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت ان أجرب نفسي هل تنكر ذلك
فلم يقنع منها بما أعطيته من العزم على ترك الانفة حتى جربها أهى صادقة أم كاذبة وفى الخبر من حمل
الفاكهة أو الشيء فقد برئ من الكبر * الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك فى
الملا رياء وفى الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله
عليه وسلم انما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف وأعقل البعير والعق أصابعي واجيب دعوة المملوك
فمن رغب عن سنتى فليس منى وروى ان أبا موسى الاشعرى قيل له ان أقواما يتخلفون عن الجمعة
بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو رياء
وما يكون فى الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

(بيان غاية الرياضة فى خلق التواضع)

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذى يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذى
يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع فى غير مذلة ومن غير
تخاسس فان كلا طرفى قصد الامور ذميم وأحب الامور الى الله تعالى أوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو
متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أى وضع شيأ من قدره الذى يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف
فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل
وهو أيضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطى كل ذى حق حقه فينبغي أن يتواضع

من حبي أول ما أعطيهم
أن أقذف من نورى فى
قلوبهم فيخبرون عنى
كما أخبر عنهم والثانى
لو كانت السموات السبع
والارضون وما فيهما فى
موازينهم لاستقللتها لهم
والثالث أقبل بوجهى
عليهم افترى من أقبلت
بوجهى عليه أيعلم أحد
ما أريد ان أعطيه
فالصادق المريد اذا خلا فى
ليله بمناجاة ربه انتشرت
أنوار ليله على جميع أجزاء
نهاره ويصير نهاره فى
حماية ليله وذلك لامتلاء
قلبه بالانوار فتكون
حركاته وتصاريفه بالنهار
تصدر من منبع الانوار
المجتمعة من الليل
ويصير قالبه فى قبة من
قباب الحق مسددا
حركاته موفرة سكناته
* وقد ورد من صلى بالليل
حسن وجهه بالنهار
ويجوز أن يكون لمعنيين
أحدهما أن المشكاة

هذا الاقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق فى السؤال
واجابة دعوته والسعى فى حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه
على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره فاذا سبيله فى اكتساب التواضع أن يتواضع
للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف
عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه ذلك وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع
بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل
عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن
أن يذل نفسه الى أن يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر
الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما
أن الميل الى طرف التبذير فى المال أحمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية
البخل مذمومان وأحدهما أفحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما
أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف
ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع

(الشطر الثانى من الكتاب)* فى العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ذكر ذلك فى معرض الانكار وقال عز وجل وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم
من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ
فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقال لابى ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب وانما جمع
بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعى والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد
أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة فى اعتقاد
المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم قال
ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن أسلم لا تبروها أى لا تعتقدوا أنها بارة وهو
معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه
فكأنه أعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال ما زال يعرف فى طلحة
نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو هو العجب فى اللغة الا أنه لم ينقل فيه انه
أظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه
نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم قال مطرف
لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقال صلى الله عليه وسلم لو لم
تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب فجعل العجب أكبر الذنوب وكان بشر بن منصور
من الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل

تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين فى القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح اشراقا وتكتسب مشكاة القالب نورا وضياء كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وقال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فنور اليقين من نور الله فى زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب وأيضا يلين القلب بنار النور ويسرى لينه الى القالب فيلين القالب للين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذى عمهما قال الله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وصف الجلود

خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا

(بيان آفة العجب)

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له وأما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون المعجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطاياه فان كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وان كان في أمر ديني لاسيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

(بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما)

اعلم أن العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بأنه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه أن له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيأ فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر

بالليل كما وصف القلوب باللين فاذا امتلأ القلب بالنور ولان القلب بما يسري فيه من الانس والسرور يندرج الزمان والمكان في نور القلب ويندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الارض أرض القلب بنور ربها اذ يصير القلب سماء والقلب أرضا ولذة تلاوة كلام الله في محل المناجاة تستر كون الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود في مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع للهاجس حس وفي مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحته الى خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم * الوجه الثاني لقوله عليه السلام من صلى بالليل حسن

أى لا تدل بعملك وفى الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكى وأنت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه والله تعالى أعلم

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والعز وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب ومالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذى به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه أو من حيث أنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له فى الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغى أن يتأمل فى قدرته وارادته وأعضائه وسائر الاسباب التى بها يتم عمله انها من أين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغى أن يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغى أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من أين وما سببه ولم ينبغى أن يعجب هو بنفسه نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا بسبب فلولا أنه تفطن فى الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرنى بها فيقال وتلك الصفة أيضا هى من خلعة الملك وعطيته التى خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هى عطية غيره فان كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما أعطانى غلاما لانى صاحب فرس فأما غيرى فلا فرس له فيقال وهو الذى أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغى أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور فى حق الملوك ولا يتصور فى حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان عجبت بعبادتك وقلت وفقنى للعبادة لحبى له فيقال ومن خلق الحب فى قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضا من فضله وجوده فان قلت لا يمكننى أن أجهل أعمالى وانى أنا عملتها فانى انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لى الثواب وان كانت الاعمال منى وبقدرتى فكيف لا أعجب بها فاعلم أن جوابك من وجهين أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة أما صريح الحق فهو انك وقدرتك

وجهه بالنهار معناه ان وجوه أموره التى يتوجه اليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه ويكون معانا فى مصدره ومورده فيحسن وجه مقاصده وأفعاله وينتظم فى سلك السداد مسددا أقواله لان الاقوال تستقيم باستقامة القلب

(الباب السادس والاربعون فى ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم)

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل القبلة منتظرا مجىء الليل وصلاة المغرب مقيما فى ذلك على أنواع الاذكار ومن أولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى

وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة أوضح من ابصار العين
بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة
ولو أردت أن تنفى شيأ من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى أعضائك مستبدا باختراعها
من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع الا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق فى العضو
قوة وفى القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل
العلم فتدريجه فى الخلق شيأ بعد شئ هو الذى خيل لك انك أوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك
وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه أليق به فارجع اليه ونحن
الآن نزيل اشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو ان تحسب أن العمل حصل بقدرتك
فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك و وجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك
وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم
يعطك المفتاح لا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة
والعلم وهى بيد الله لا محالة أرايت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو
جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح
لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك
منها فمددت يدك وأخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح أو بما اليك من مد اليد وأخذها فلا
تشك فى انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة فى تحريك اليد باخذ المال قريبة وانما الشان كله
فى تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث
وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك
وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله ليس شئ منها اليك فمن العجائب ان
تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى ايثاره اياك على الفساق
من عباده اذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم
وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات و زواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه
وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة
سابقة من الفاسق العاصى بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصى واشقاه بعدله فما أعجب
اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد
سبيلا الى مخالفتها فكأنه الذى اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتى
فى كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا
خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وأفقره ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف
منعنى قوت يومى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا
ظلما ولا يدرى المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه فى ظاهر الحال
اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهما لى أو هلا رزقتنى
أحدهما والى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب
عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل
تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر

والابكار ومن ذلك أن
يواصل بين العشاءين
بالصلاة أو بالتلاوة أو
بالذكر وأفضل ذلك
الصلاة فانه اذا واصل
بين العشاءين تنغسل
عن باطنه آثار الكدورة
الحادثة فى أوقات النهار
من رؤية الخلق ومخالطتهم
وسماع كلامهم فان
ذلك كله له أثر وخدش
فى القلوب حتى النظر
اليهم يعقب كدرا فى القلب
يدركه من يرزق صفاء
القلب فيكون أثر النظر
الى الخلق للبصيرة
كالقذى فى العين للبصر
وبالمواصلة بين العشاءين
يرجى ذهاب ذلك الاثر
ومن ذلك ترك الحديث
بعد العشاء الآخرة فان
الحديث فى ذلك الوقت
يذهب طراوة النور
الحادث فى القلب من
مواصلة العشاءين ويقيد
عن قيام الليل سيما اذا
كان عريا عن يقظة

فانه يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدرى المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لوخيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتنى الدنيا وأعطيتها الجهال كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطينى الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لولم أعطك الفرس فهب انى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتى عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفى العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ماتأتى ليلة الا وانسان من آل داود قائم ويأتى يوم الا وانسان من آل داود صائم وفى رواية ماتمر ساعة من ليل أونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلى واما يصوم واما يذكرك فأوحى الله تعالى اليه ياداود ومن أين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بى ولولا عونى اياك ماقويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ أضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا أورثه الحزن والندم وقال داود يارب ان بنى اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال انى ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا ان ابتليتنى صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فانى لم أخبرهم باى شئ ابتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى يوم وأنا مخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى أنفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال الهى انك ابتليتنى بهذا البلاء وما ورد على أمر الا آثرت هواك على هواى فنودى من غمامة بعشرة آلاف صوت ياأيوب أنى لك ذلك أى من أين لك ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس مامنكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذى بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالى أن يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال والله تعالى أعلم

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالاسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأى الخطا الذى يزين له بجهله فما به العجب ثمانية أقسام * الاول أن يعجب ببدنه فى جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه

القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا معين على قيام الليل * حكى لى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل فى الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الآخرة ومرة فى اثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر فى تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فان التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه الا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيتمهل للنوم ويستجلبه ليقوم فى وقته المعهود والا فالنوم عن الغلبة هو الذى يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبوب قيل نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة

وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال فى كل حال وعلاجه ماذكرناه فى الكبر بالجمال وهو التفكر فى أقذار باطنه فى أول أمره وفى آخره وفى الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت فى التراب وأنتنت فى القبور حتى استقذرتها الطباع * الثانى البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم من أشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت فى عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما أراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتنى صبرت وكان اعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم فى الحروب والقاء النفس فى التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ماذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وانه اذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه * الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى أهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقارهم واهانتهم وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يأمن ان يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما أوتى من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدرى فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغى ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا * الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم انه مهما خالف آباءه فى أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر فكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى أى لا تفاوت فى أنسابكم لاجتماعكم فى أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس من أكيس الناس لم يقل من ينتمى الى نسبى ولكن قال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية حيث أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبى صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا تأتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم فبين أنهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عم

فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس اذا أطمعت وطمنت على النوم استرسلت فيه واذا أزعجت بصدق العزيمة لاتسترسل فى الاستقرار وهذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع لان الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظران نظر الى تحت لاستيفاء الاقسام البدنية ونظر الى فوق لاستيفاء الاقسام العلوية الروحانية فارباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم الى فوق الى الاقسام العلوية الروحانية فاعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فالنفس بما فيها مركوز من

رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لا نفسكما فانى لا أغنى عنكما من الله شيأ فمن عرف هذه الامور وعلم
ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع والا كان طاعنا
فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت
فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية انى لا أغنى عنكما من الله شيأ الا ان لكما رحما سابلها
ببلالها وقال عليه الصلاة والسلام أترجو سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه
سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب أيضا
جدير ان يرجوها لكن بشرط أن يتقى الله أن يغضب عليه فلا يأذن لاحد فى شفاعته فان الذنوب منقسمة
الى ما يوجب المقت فلا يؤذن فى الشفاعة له والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا
فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجى منه
الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
وبقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب
الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة
لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها عن المعصية ولكان
يأذن لها فى اتباع الشهوات لتكمل لذاتها فى الدنيا ثم يشفع لها فى الآخرة لتكمل لذاتها فى الآخرة
فالانهماك فى الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهى انهماك المريض فى شهواته
اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لان سعى الطبيب وهمته
وحذقه تنفع فى ازالة بعض الامراض لا فى كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل
للطبيب أثر على الجملة ولكن فى الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغى ان تفهم عناية
الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر
وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من
خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع
قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم * الخامس العجب
بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر فى
مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد فى دين الله وانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى
صورهم فى النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه
اليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم فى القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون
بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم فى مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب
والخنزير أحب اليه من الانتساب اليهم فحق أولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى
على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فأما العجب بنسبهم فجهل محض * السادس
العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار
نحن أكثر أموالا وأولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه فى الكبر
وهو ان يتفكر فى ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن فى قبره ذليلا مهينا
وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان

الترابية والجمادية
ترسب وتستحلس وتستلذ
النوم قال الله تعالى هو
الذى خلقكم من تراب
والآدمى بكل أصل من
أصول خلقته طبيعة
لازمة له والرسوب صفة
التراب والكسل والتقاعد
والتناوم بسبب ذلك
طبيعة فى الانسان فارباب
الهمة أهل العلم الذين
حكم الله تعالى لهم بالعلم فى
قوله تعالى أمن هو
قانت آناء الليل ساجدا
وقائما حتى قال قل هل
يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون حكم
لهؤلاء الذين قاموا بالليل
بالعلم فهم لموضع علمهم
أزعجوا النفوس عن
مقار طبيعتها ورقوها
بالنظر الى اللذات
الروحانية الى ذرا حقيقتها
فتجافت جنوبهم عن
المضاجع وخرجوا من
صفة الغافل الهاجع
(ومن ذلك) أن يغير

ولا يغنون عنه شيأ وهو فى أحوج أوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من أخيه
وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه الآية فأى خير فيمن يفارقك فى أشد أحوالك و يهرب منك وكيف تعتمد
به ولا ينفعك فى القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك
وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك * السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن
صاحب الجنتين اذ قال أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا
جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت أن يعدو اليك فقره وذلك العجب
بالغنى وعلاجه أن يتفكر فى آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله و ينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم
الى الجنة فى القيامة والى ان المال غاد و رائح ولا أصل له والى أن فى اليهود من يزيد عليه فى المال والى
قوله عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر فى حلة له قد أعجبته نفسه اذ أمر الله الارض فأخذته فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيامة أشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال أبو ذر كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع
رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب خلقان فقال لى يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض
مثل هذا وجميع ما ذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف
الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من
تقصيره فى القيام بحقوق المال فى أخذه من حله و وضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزى
والبوار فكيف يعجب بماله * الثامن العجب بالرأى الخطا قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك
يغلب على آخر هذه الامة و بذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما
لديهم فرحون وجميع أهل البدع والضلال انما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو
استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لان
صاحب الرأى الخطا جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذى لا يعرف والجهل داء لا يعرف
فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله و يزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه
و جهله فانه لا يصغى الى العارف و يتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن
علاجه وكيف يطلب الهرب عما هو سبب سعادته فى اعتقاده وانما علاجه على الجملة أن يكون متهما
لرأيه أبدا لا يغتر به الا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الادلة ولن
يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد
وتشمر فى الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك
فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم أن لا يخوض فى
المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه ليس كمثله شئ
وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به و يتبع سنة السلف و يؤمن بجملة ما جاء به الكتاب
والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا و يشتغل بالتقوى واجتناب
المعاصى وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب
فى العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل فى عمره بشئ غير العلم فأما الذى
عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين
والمعرفة فى أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز

العادة فان كان ذا وسادة
يترك الوسادة وان كان
ذا وطاء يترك الوطاء وقد
كان بعضهم يقول لأن
أرى فى بيتى شيطانا أحب
الى من أن أرى وسادة
فانها تدعونى الى النوم
ولتغيير العادة فى الوسادة
والغطاء والوطاء تأثير فى
ذلك ومن ترك شيأ من
ذلك والله عالم بنيته
وعزيمته يثيبه على ذلك
بتيسير ما رام (ومن
ذلك) خفة المعدة من
الطعام ثم تناول ما يأكل
من الطعام اذا اقترن
بذكر الله ويقظة الباطن
أعان على قيام الليل لان
بالذكر يذهب داؤه فان
وجد للطعام ثقلا على
المعدة ينبغى أن يعلم أن
ثقله على القلب أكثر فلا
ينام حتى يذيب الطعام
بالذكر والتلاوة
والاستغفار (قال)
بعضهم لأن أنقص من
عشائى لقمة أحب الى

وجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج أوليائه من الظلمات الى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور *(أما بعد)* فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعى اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء والمغرور هو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا واذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجارى الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادى الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغنى عن الاستقصا وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الاموال والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته)

اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين

من أن أقوم ليلة والاحوط أن يوتر قبل النوم فانه لا يدرى ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم الا وهو على الطهارة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق والمريد المتأهل اذا نام فى الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه بالمس ولا يفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة مالم يسترسل فى التذاذ النفس بالمس ولا يعدم يقظة القلب فاما اذا استرسل فى الالتذاذ وغفل تحجب الروح أيضا لمكان صلافته ومن الطهارة التى تثمر صدق الرؤيا طهارة

أفضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ماورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم
الغرور لان الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشئ ويراه على خلاف ماهو
به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا
ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل
شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون
النفس الى مايوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما
فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون
فيه فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان
غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة
والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور * (المثال الاول) * غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا
ومنهم من غره بالله الغرور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد
والآخرة نسيئة فهى اذا خير فلابد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات
الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال أنا خير منه
خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما
بالبرهان أما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى فى قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفى
قوله عز وجل وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وأبقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور
وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه
وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم
فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبى والده فى ان
حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدرى وجه معرفة كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان
والبرهان فهو ان تعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره
سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان
صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما
ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس
فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان أقل منها فالنسيئة
خير فان الكافر المغرور يبذل فى تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا
أتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من ألم المرض فى المستقبل
فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون فى الاسفار نقدا لاجل الراحة
والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى
مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من
الآخرة فانه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ مالا نهاية له ولاحد وان نظر من حيث النوع رأى
لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط فى قوله
النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص فغفل به المغرور

الباطن عن خدش الهوى
وكدورة محبة الدنيا
والتنزه عن انجاس الغل
والحقد والحسد وقد ورد
من أوى الى فراشه
لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد
على أحد غفر له ما اجترم
واذا طهرت النفس عن
الرذائل انجلت مرآة القلب
وقابل اللوح المحفوظ فى
النوم وانتقش فيه عجائب
الغيب وغرائب الانباء
ففى الصديقين من يكون
له فى منامه مكالمة
ومحادثة فيأمره الله تعالى
وينهاه ويفهمه فى المنام
ويعرفه ويكون موضع
مايفتح له فى نومه من
الامر والنهى كالامر
والنهى الظاهر يعصى
الله تعالى ان أخل بهما
بل تكون هذه الاوامر
آكد وأعظم وقعا لان
المخالفات الظاهرة تمحوها
التوبة والتائب من
الذنب كمن لاذنب له
وهذه أوامر خاصة تتعلق

من خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة أراد به خير من نسيئة هي مثله وان لم يصرح به
وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا
القياس أكثر فسادا من الاول لان كلا أصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر
في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد
في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك
ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي
قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة
الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من
شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر أياما قلائل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة
الى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم
من الازل الى الآن لا أتنعم فاحسب أني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبد الآباد
وهذا لا يطاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا
وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على
قدر عقله وبين له أنه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور وأما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة
شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق تقليدا
للانبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال
مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني
فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل
به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال أنهم أكثر منه عددا
وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر
في علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين
بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير
خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وتبعهم
عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع
فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء
فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول
هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من
الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به وأما المدرك
الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن أن معرفة النبي لأمر الآخرة
ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى
تكون معرفتك مثل معرفته وانما يختلف المقلد فقط وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح
والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما
تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم
عن حقيقة الروح وانه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك
الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشأن حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان

بحاله فيما بينه وبين الله
تعالى فاذا أخل بها يخشى
أن ينقطع عليه طريق
الارادة ويكون في ذلك
الرجوع عن الله
واستجاب مقام المقت
فان ابتلي العبد في بعض
الاحايين بكسل وفتور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد
الحدث يمسح أعضاءه
بالماء مسحا حتى يخرج
بهذا القدر عن زمرة
الغافلين حيث تقاعد
عن فعل المتيقظين وهكذا
اذا كسل عن القيام
عقيب الانتباه يجتهد أن
يستاك ويمسح أعضاءه
بالماء مسحا حتى يخرج
في تقلباته وانتباهاته
عن زمرة الغافلين ففي
ذلك فضل كثير لمن كثر
نومه وقل قيامه (روي)
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يستاك
في كل ليلة مرارا عند كل
نوم وعند الانتباه منه

ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات
الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود منزه عن
الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار أكثر الخلق
بسماعه كسر القدر الذى منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد
عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان
هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد
على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى اليق به بمقتضى ذاته
فانها فى جوار الرب تعالى وانه أمر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعى ذاتى الى ان يصرفه عن
مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم
نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن
مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه
اشارة الى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فانها تضرهم
كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب
من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهى مبادى مقامات
الانبياء وآخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء * ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود ان
غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن
والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات
والمعاصى فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف
لان أصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم أيضا من
المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان
لا يكفى للفوز قال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب
من المحسنين ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه وقال تعالى والعصر ان
الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فوعد المغفرة فى جميع
كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء أيضا مغرورون
أعنى المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات
الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر
للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى
أنفسهم وبألسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر
الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن
خيرا منها منقلبا وجملة أمرهما كما نقل فى التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا
بألف دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت
قصرا يفنى ويخرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى ألا اشتريت
بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد
عليه الكافر ويقول ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لى فى الجنة خير من
هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لأوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا

ويستقبل القبلة فى نومه
وهو على نوعين فاما على
جنبه الايمن كالملحود وأما
على ظهره مستقبلا للقبلة
كالميت المسنجى ويقول
باسمك اللهم وضعت
جنبى وبك أرفعه اللهم
ان أمسكت نفسى فاغفر
لها وارحمها وان أرسلتها
فاحفظها بما تحفظ به
عبادك الصالحين اللهم
انى أسلمت نفسى اليك
ووجهت وجهى اليك
وفوضت أمرى اليك
والجأت ظهرى اليك
رهبة منك ورغبة اليك
لا ملجأ ولا منجى منك
الا اليك آمنت بكتابك
الذى أنزلت ونبيك الذى
أرسلت اللهم قنى عذابك
يوم تبعث عبادك الحمد لله
الذى حكم فقهر الحمد لله
الذى بطن فخبر الحمد لله
الذى ملك فقدر الحمد لله
الذى هو يحيي الموتى
وهو على كل شئ قدير
اللهم انى أعوذ بك من

عليه أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروى عن خباب بن الارت أنه قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لى فقلت انى آخذه فى الآخرة فقال لى اذا صرت الى الآخرة فان لى هناك مالا وولدا أقضيك منه فأنزل الله تعالى قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا وقال الله تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من أقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك أنهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه فى قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر

لقد أحسن الله فيما مضى ❊ كذلك يحسن فيما بقى

وانما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا أنى كريم عند الله ومحبوب لما أحسن الى والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد فى الخبر عن سيد البشر وكان أرباب البصائر اذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه اذ قال فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمنى وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن فأجاب الله عن ذلك كلا أى ليس كما قال انما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمته بطاعتى غنيا كان أو فقيرا والمهان من أهنته بمعصيتى غنيا كان أو فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة أو بالتقليد أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام فى منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله فقد قال تعالى أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفى تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما أحدثوا ذنبا

غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس آيات من البقرة الاربع من الاول والآية الخامسة ان فى خلق السموات والارض وآية الكرسى وآمن الرسول وان ربكم الله وقل ادعوا الله وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وان أضاف الى ما قرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال اليك التى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى اللهم

أحدثنالهم نعمة ليزيدغرورهم وقال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لايأمن مكره ولايغتر بامثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض وماجرى لهم كيف أحسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون وقال عزوجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فكما لايجوز للعبد المهمل أن يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغى أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبأن يجب ذلك فى حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذا من أمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند ذلك المنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لايوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى مايوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور * (المثال الثانى) * غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود فى الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصى العباد فى بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم فى الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من أحب انسانا أحب أولاده وان الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلاتحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه فى السفينة فلم يرد فكان من المغرقين فقال رب ان ابنى من أهلى فقال تعالى يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وأن ابراهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن فى أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار فجلس يبكى على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصى فكما أنه لايبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصى فكذلك لايحب الولد العاصى بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسرى من الاب الى الولد لاوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لاتزر وازرة وزر أخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروى بشرب أبيه ويصير عالما بتعلم أبيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشى أبيه فالتقوى فرض عين فلايجزى فيه والد عن ولده شيأ وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن فى الشفاعة له كما سبق فى كتاب الكبر والعجب فان قلت فأين الغلط فى قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا فما هذا الا كلام صحيح مقبول الظاهر فى القلوب فاعلم أن الشيطان لايغوى الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمنى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به

لاتؤمنى مكرك ولاتولنى غيرك ولاترفع عنى سترك ولاتنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين (ورد) أن من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى اليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك فى الهواء وكتب له ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتمم المائة بلا اله الا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

* (الباب السابع والاربعون فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل) *

اذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلى ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين فى البيت

الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعنى ان الرجاء بهم أليق وهذا لانه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أفترى ان من استؤجر على اصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يفى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاوانى وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم أن المستأجر كريم افتراه العقلاء فى انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وكما أن الذى يرجو فى الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وأنزل بقى مترددا فى الولد يخاف ويرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى أن يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقى مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصى فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون ما أخبر الله عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون أى علمنا أنه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل فى الآخرة ثواب وأجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك فى قولك وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وكلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير أى ألم يسمعكم سنة الله فى عباده وانه توفى كل نفس بما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذى غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم أنه محمود فى موضعين أحدهما فى حق العاصى المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله يغفر الذنوب جميعا وان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم أمرهم بالانابة وقال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو فى السوق فخطر له أن يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الامام للصلاة لاجله الى وسط الوقت أو لاجل غيره أو بسبب من الاسباب التى لا يعرفها فهو مغرور والثانى ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء

يعملون بهما قبل الخروج الى الجماعة كيلا يظن الناس انهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنا منهم انهما سنة واذا صلى المغرب يصلى ركعتى السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبا فى صحيفتى أنى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط والميزان حق وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتى

الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو
رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له أن يترك الذنب
ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر
بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه
بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد
الكفار في النار أبد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر
والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف
لا أخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على
العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم
عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور وقد أخبر صلى الله عليه وسلم وذكر ان
الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في
الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يخافون
على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات
ويبكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع
اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى
وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون انهم عرفوا من فضله وكرمه مالم يعرفه الانبياء والصحابة
والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلى ماذا كان بكاء أولئك وخوفهم
وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على
الأبدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل مني وان أساء قال يغفر لي فأخبر
انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله أخبر عن النصارى اذ قال
تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه
انهم ورثوا الكتاب أي هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو
حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله
الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه
وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها
وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور
يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف
لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن
ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام
ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو
يتكل عليه ويظن ان كل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن
وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى ألفا وأراد ان يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة
وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه
واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب

اليها اللهم احطط بها
وزري واغفر بها ذنبي
وثقل بها ميزاني وأوجب
لي بها أماني وتجاوز عني
يا أرحم الراحمين فان
واصل بين العشاءين في
مسجد جماعته يكون
جامعا بين الاعتكاف
ومواصلة العشاءين وان
رأى انصرافه الى منزله
وان المواصلة بين
العشاءين في بيته أسلم
لدينه وأقرب الى
الاخلاص وأجمع لهمه
فليفعل * وسئل رسول
الله عليه السلام عن قوله
تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع فقال هي
الصلاة بين العشاءين
وقال عليه السلام عليكم
بالصلاة بين العشاءين
فانها تذهب بملاغاة النهار
وتهذب آخره ويجعل
من الصلاة بين العشاءين
ركعتين بسورة البروج
والطارق ثم ركعتين بعد
ركعتين يقرأ في الاولى

المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به من فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

(بيان أصناف المغترين وأقسام كل صنف وهم أربعة أصناف)

(الصنف الاول) أهل العلم والمغترون منهم فرق (ففرقة) أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فلو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيأ هيهات هيهات لو كتب ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيأ الا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما يعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه أصلا فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه عنها وأحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضل العلم فان كان المسكين معتوها

عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين والهكم اله واحد الى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الاخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلي بعد ذلك ما شاء فان أراد أن يقرأ شيأ من حزبه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وان شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما فحسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا للقرآن حزبه أو مكررا آية فيها الدعاء والتلاوة مثل أن يقرأ مكررا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير أو آية أخرى في معناها فيكون جامعا بين التلاوة

مغرور واوافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه وأهمل العمل وان كان كيسا فيقول الشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ماورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى وكقوله عليه الصلاة والسلام شر الناس العلماء السوء وقول أبي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات أي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى الا أن هذا مما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى مايهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ماذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف مايحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع مايحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع مايكرهه الملك عاطلا عن جميع مايحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ماعرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة مايكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ماعرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم لله ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين واذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين (وفرقة أخرى) أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلا وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من

والصلاة والدعاء ففي ذلك جمع للهم وظفر بالفضل ثم يصلي قبل العشاء أربعا وبعدها ركعتين ثم ينصرف الى منزله أو الى موضع خلوته فيصلي أربعا أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته أول مايدخل قبل أن يجلس أربعا ويقرأ في هذه الاربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وان أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسي وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ويصلي بعد الاربع احدى عشرة ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية من القرآن من والسماء والطارق الى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وان أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من

كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله عليه الصلاة والسلام حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التى أوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجز رؤسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت لان مغارس المعاصى هى الاخلاق الذميمة فى القلب فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقى يتناول ما يزيد فى المادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التى فى الباطن (وفرقة أخرى) علموا أن هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بأنفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام أنف المخالفين من المبتدعين فانى لو لبست الدون من الثياب وجلست فى الدون من المجالس لشمت بى أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلى ذلا على الاسلام ونسى المغرور أن عدوه الذى حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبى صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضى الله عنه فى بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز فى غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقى والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد فى أقرانه أو فيمن رد عليه شيأ من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل فى عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن فى غيره من اهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن فى عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائى بأعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضى من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا الى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول انما ذلك لانه اذا اهتدوا بى كان الاجر والثواب لى فانما فرحى بثواب الله لا بقبول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو أخبره نبى بأن ثوابه فى الخمول واخفاء العلم أكثر من ثوابه فى الاظهار وحبس مع ذلك فى سجن وقيد بالسلاسل لاحتال فى هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذى به تظهر رياسته

الركعات وان قرأ من سورة الملك الى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القرآن يقرأ فى كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد الى عشر مرات الى أكثر ولا يؤخر الوتر الى آخر التهجد الأن يكون واثقا من نفسه فى عادته الانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر الى آخر التهجد حينئذ أفضل (وقد كان بعض العلماء) اذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلى ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ماشاء ويوتر فى آخر ذلك واذا كان الوتر من أول الليل يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما اذا زلزلت والهاكم وقيل فعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى اذا أراد التهجد يأتى به

من تدريس أو وعظ أوغيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثنى عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع فى مالهم فاما أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه فى كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهى غرور بعضهم الى أن يأخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس فى ثلاثة أمور أحدها فى أنه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الامر وقوع الخلط فى أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلا خلاف فى انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له و يجب أن يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثانى فى قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا فى طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا فى الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت فى فم الوادى فلا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع وأصناف غرور أهل العلم فى هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير (وفرقة أخرى) أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصى وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم فى التبرى منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت فى زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه الا انه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن أنه قلعها فاذا هو بها فى غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدرى فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك و يذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى هو طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له فى المهمات وايثاره فى الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن فى الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته فى الباطن بما انتظم

و يوتر فى آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك وكثيرا رأيت الناس يتفاوضون فى كيفية نيتهما وان قرأ فى كل ليلة المسبحات وأضاف اليها سورة الاعلى فتصير ستا فقد كان العلماء يقرؤن هذه السور ويترقبون بركتها فاذا استيقظ من النوم فمن أحسن الادب عند الانتباه أن يذهب بباطنه الى الله و يصرف فكره الى أمر الله قبل أن يجول الفكر فى شئ سوى الله و يشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشئ اذا نام ينام على محبة ذلك الشئ واذا انتبه يطلب ذلك الذى كان كلفا به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام الى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه

من أمر وإمارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما
يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه
وربما يحتاج الى أن يكذب فى تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع
وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله
وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه فى الفضل والورع وانما ذلك لانه أطوع
له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد اصغاء اليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون
فى العلم وهو يظن أن قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه
من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بنيل ذلك
الثواب فى ايثاره الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده فى العزلة واختفاء لذة القبول وعزة
الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم انه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع
فى حبائلى وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن
التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة
من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ولعله فى تصنيفه لا يخلو من
الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن فى غيره ليستبين من طعنه فى
غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان فى غنية عن الطعن فيه ولعله يحكى من الكلام
المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن أنه من كلامه فينقله
بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذى يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ولعله
يجتهد فى تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى أن غرضه ترويج
الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روى أن بعض الحكماء وضع
ثلثمائة مصحف فى الحكمة فأوحى الله الى نبى زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا وانى لا أقبل من نفاقك
شيأ ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا وظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب
القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه
أكثر تبعا أو غيره فيفرح ان كان أتباعه أكثر وان علم أن غيره أحق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا
واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على
قلبه ووجد فى نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من
قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة أخرى كان
أنفع له فى دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه فى هذه الفئة وسلامته عنها فى تلك الفئة ومع ذلك
لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادى الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل
بالطعن فى دينه وفى ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسى ومهما ذكرت
عيوبه بين يديه ربما فرح له وان أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه
يظهر أنه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه فى ذلك فهذا وأمثاله من خفايا
القلوب لا يفطن له الا الاكياس ولا يتنزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا أن أقل
الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا أراد الله
بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من المغرور
المزكى لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن

من النوم ما همه فانه
هكذا يكون عند القيام
من القبر ان كان همه
الله فهمه هو والا فهمه
غير الله والعبد اذا انتبه
من النوم فباطنه عائد
الى طهارة الفطرة فلا
يدع الباطن يتغير
بغير ذكر الله تعالى حتى
لا يذهب عنه نور الفطرة
الذى انتبه عليه ويكون
فارا الى ربه بباطنه خوفا
من ذكر الأغيار ومهما
وفى الباطن بهذا المعيار
فقد اتفق فى طريق
الانوار وطرق النفحات
الالهية فجدير أن
تنصب اليه أقسام
الليل انصبابا ويصير
جناب القرب له موئلا
ومآبا ويقول باللسان
الحمد لله الذى أحيانا بعد
ما أماتنا واليه النشور
ويقرأ العشر الاواخر
من سورة آل عمران
ثم يقصد الماء الطهور
قال الله تعالى وينزل

المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور والذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور والذين قنعوا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه (فمنهم فرقة) اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال انهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على أنه لا بد وأن يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء

عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال عز وجل انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الماء القرآن والاودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ما وسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير أجدر فالماء يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسده فالماء الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير ان يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك ان الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الارض فكانت القبضة جلدة الارض والجلدة ظاهرها بشرة

وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا ضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه فى
المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم
يحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التى تجرى
بين المتصارعين فى الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم فى علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا
بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل فى الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما أدلة
الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل
الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما أبدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة
سوق الجدل بها وغرور هؤلاء أشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام
والمجادلة فى الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا
بتعلم الطرق فى مناظرة أولئك وافحامهم وافترقوا فى ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل الا
بايمان ولا يصح ايمان الا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته
منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة
ومحقة فالضالة هى التى تدعو الى غير السنة والمحقة هى التى تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم
وأما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما أتيت
من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل
شبهة وأما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل أنه أهم الامور وأفضل القربات
فى دين الله وزعمت أنه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث
وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها
فى تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى
عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند
الله وأفضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى
عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد
أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما
اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث رأوا حاجة
وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه
وأعرضوا عنه وأبغضوه فى الله ولم يلزموا الالحاح معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة
ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة الى السنة اذ روى أبو أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على
أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان حمرة من الغضب
فقال ألهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم
عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد بعث الى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم فى مجالس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع
سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لان ذلك يشوش
القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم
بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس وأهل الحزم لم
يغتروا بهذا وقالوا لو نجا أهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس

وباطنه أدمة قال الله تعالى
انى خالق بشرا من طين
فالبشرة والبشر عبارة عن
ظاهره وصورته والادمة
عبارة عن باطنه وآدميته
والآدمية مجمع الاخلاق
الحميدة وكان التراب
موطئ أقدام ابليس
ومن ذلك اكتسب ظلمة
وصارت تلك الظلمة
معجونة فى طينة الآدمى
ومنها الصفات المذمومة
والاخلاق الرديئة ومنها
الغفلة والسهو فاذا
استعمل الماء وقرأ
القرآن أتى بالمطهرين
جميعا ويذهب عنه رجز
الشيطان وأثر وطأته
ويحكم له بالعلم والخروج
من حيز الجهل فاستعمال
الطهور أمر شرعى له
تأثير فى تنوير القلب
بازاء النوم الذى هو الحكم
الطبيعى الذى له تأثير فى
تكدير القلب فيذهب
نور هذا بظلمة ذلك ولهذا
رأى بعض العلماء الوضوء

علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير
مجادلاتهم فمالنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على
أنفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة
تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى هذا لو كنت
لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو الى السنة بترك السنة فالاولى أن أتفقد
نفسي وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لاتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه (وفرقة
أخرى) اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف
والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون
يظنون بأنفسهم أنهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات
وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور
لانهم يعجبون بأنفسهم غاية الاعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا
على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون
ولولا أنه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في
طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين
وهو من المغترين المضيعين ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين
على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين
بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد
فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة
رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى
وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم
الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن
مجالسه التي يدعو الناس فيها الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق
ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أثنى أحد من المترددين
اليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله اليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه
والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها
وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل
تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف
بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو ان يدعي مثلا حب الله فأين
الذي تركه من محاب نفسه لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي
تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة
الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل
رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات
ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بأنفسهم
الظنون واذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم فيدور
بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن
ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيأ ضعيفا من أصول هذه المعاني

مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للاثم والاثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان في هذه المواطن ولو أن المتحفظ المراعي المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس في مباح من كلام أو مساكنة الى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعني قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء ثبت القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذي لا يزال بخفة حركته يجلو البصر وما يعقلها الا العالمون فتفكر

وحب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدر وامع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني
ظنوا أنهم ماقدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه ومانفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها
ذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير
الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف
بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال
مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لايقدر على
وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لايفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما
فارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف
والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق
بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لاعيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج
وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم (وفرقة أخرى) منهم عدلوا عن
المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل الزمان كافة الامن عصمه الله على الندور في بعض أطراف
البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع
والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغلوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم
بالاسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو
على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون
الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لاسيما اذا
كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على
الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لايصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولايخفى وجه
كونه مغرورا (وفرقة أخرى) منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون
الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في
المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ
حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له وأمن عقاب الله من غير أن
يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام أهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء أظهر
من غرور من قبلهم (وفرقة أخرى) استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعني في سماعه وجمع الروايات
الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا
أروي عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعي من الاسناد ماليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة
الاسفار فانهم لايصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون أن
ذلك يكفيهم ومنها أنهم اذا لم يفهموا معانيها لايعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولايعملون به ومنها
أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب
العالي منها ولاحاجة بهم الى شئ من ذلك ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لايقومون
بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث
اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد الفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء
اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث
يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ

فيما انتهك عليه تجدد
بركته وأثره ولو اغتسل
عند هذه المتجددات
والعوارض والانتباه من
النوم لكان أزيد في
تنوير قلبه ولكان
الاجدر أن العبد يغتسل
لكل فريضة باذلا مجهوده
في الاستعداد لمناجاة الله
ويجدد غسل الباطن
بصدق الانابة وقد قال
الله تعالى منيبين اليه
واتقوه وأقيموا الصلاة
قدم الانابة للدخول في
الصلاة ولكن من رحمة
الله تعالى وحكم الحنيفية
السهلة السمحة أن
رفع الحرج وعوض
بالوضوء عن الغسل
وجوز أداء مفترضات
بوضوء واحد دفعا للحرج
عن عامة الامة وللخواص
وأهل العزيمة مطالبات
من بواطنهم تحكم عليهم
بالاولى وتلجئهم الى
سلوك طريق الاعلى فاذا
قام الى الصلاة وأراد

الذى يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغى ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذى يقرأ
عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور واذ الاصل فى الحديث
أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن
الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة
أو التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصغى
لتسمع فتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غيره غيرك منه حرفا وأخطأ
علمت خطأه ولحفظك طريقان * أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى
على سمعك فى مجارى الاحوال * والثانى أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه
يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفى خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم
تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه
من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس
ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التى سمعتها لم يجز
لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدرى لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيأ يخالف ما فيه ولو فى كلمة
فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك
وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم فى هذا الزمان انا سمعنا ما فى هذا الكتاب
اذا لم يوجد الشرط الذى ذكرناه فهو كذب صريح وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع
نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جاز أن يكتب سماع الصبى والغافل والنائم والذى ينسخ لجاز أن
يكتب سماع الصبى فى المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبى وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف فى
عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين فى البطن فان كان لا يكتب سماع الصبى فى المهد
لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبى الذى يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان
استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبى فى المهد فليكتب سماع الجنين فى البطن فان فرق بينهما بأن
الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر
اذا صار شيخا على أن يقول سمعت بعد بلوغى انى فى صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع
سمعى صوته ولا أدرى ما هو فلا خلاف فى أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو
جاز اثبات سماع التركى الذى لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبى فى المهد وذلك
غاية الجهل ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ
سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها وكيف يؤدى كما سمع من لا يدرى ما سمع فهذا أفحش أنواع الغرور
وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه
مع الغفلة الا أن للمحدثين فى ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع
لذلك فى حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضا أحاديثهم التى قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك
وافتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط الا أن يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدرى ما يجرى وصحة
السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع
به فى قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين فى اقتصارهم
على النقل وفى افناء أعمارهم فى جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة
معانى الاخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره
كما روى عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام

استفتاح التهجد يقول
الله أكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة
وأصيلا و يقول سبحان
الله والحمد لله الكلمات
عشرة مرات و يقول الله
أكبر ذو الملك والملكوت
والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال والقدرة
اللهم لك الحمد أنت نور
السموات والارض ولك
الحمد أنت بهاء السموات
والارض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والارض ولك الحمد أنت
رب السموات والارض
ومن فيهن ومن عليهن
أنت الحق ومنك الحق
ولقاؤك حق والجنة حق
والنار حق والنبيون حق
ومحمد عليه السلام حق
اللهم لك أسلمت
وبك آمنت وعليك
توكلت وبك خاصمت
واليك حاكمت فاغفرلى
ما قدمت وما أخرت وما
أسررت وما أعلنت أنت

من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره فهكذا يكون
سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب
اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام
الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب
اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها
الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ
كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع
عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود
الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب
فأما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة
معانى الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى
القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعانى وانما الحروف ظروف وأدوات ومن
احتاج الى أن يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه
السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والادب والقراآت والتدقيق فى
مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى
فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة
الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة الى المعرفة
ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج
الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا
بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه
وزجى عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود
المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل
من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب أو فى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة
بعلوم الشرع اغتر بها أربابها فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا
يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع
لان العلوم الشرعية مشتركة فى أنها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه
هو المنتهى والثانى محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به
(وفرقة أخرى) عظم غرورهم فى فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه فى مجلس
القضاء فوضعوا الحيل فى دفع الحقوق وأساؤا تأويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطؤا فيها
وهذا من قبيل الخطأ فى الفتوى والغرور فيه والخطأ فى الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة
الا الاكياس منهم فنشير الى أمثلة فمن ذلك فتواهم بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برئ الزوج بينه
وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسىء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق
فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا على طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن
لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا تطيب
به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالابراء لا عن
ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن

المقدم وأنت المؤخر لا اله
الا أنت اللهم آت نفسى
تقواها وزكها أنت
خير من زكاها أنت وليها
ومولاها اللهم اهدنى
لاحسن الاخلاق
لا يهدى لاحسنها الا أنت
واصرف عنى سيئها
لا يصرف عنى سيئها الا
أنت أسألك مسئلة
البائس المسكين وادعوك
دعاء الفقير الذليل فلا
تجعلنى بدعائك رب شقيا
وكن بى رؤفا رحيما يا خير
المسؤلين ويا أكرم
المعطين ثم يصلى ركعتين
تحية الطهارة يقرأ فى
الاولى بعد الفاتحة ولو
أنهم اذ ظلموا أنفسهم
الآية وفى الثانية ومن
يعمل سوأ أو يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما ويستغفر
بعد الركعتين مرات ثم
يستفتح الصلاة بركعتين
خفيفتين ان أراد أن يقرأ
فيهما باية الكرسى وآمن

نعم القاضى فى الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانه لم يكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضى الاكبر فى صعيد القيامة للقضاء يكن هذا محسوبا ولا مفيدا فى تحصيل الابراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله فى خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الالمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار أهون الالمين والسؤال فى مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذى يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما فى القلب وكذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألم تر ما جاء فى قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لى بخصمى فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بندائه فى صخرة بيت المقدس فنادى ياأوريا فأجابه لبيك يانبى الله أخرجتنى من الجنة فماذا تريد فقال انى أسأت اليك فى أمر فهبه لى قال قد فعلت ذلك يانبى الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يانبى الله فقال انى أذنبت اليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال ألا تسألنى ما ذلك الذنب قال ماهو يانبى الله قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال ياأوريا ألا تجيبنى قال يانبى الله ماهكذا يفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدى الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه فى الآخرة فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون فى الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة فى آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به ان مطالبة السلطان والساعى سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم فى القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة ا مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الامانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها فى العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء فى أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول

(الصنف الثانى) أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلاة ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم (فمنهم فرقة) أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف

الرسول وان أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الاوليين وهكذا يدرج الى أن يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك فان فى ذلك فضلا كثيرا والله أعلم

(الباب الثامن والاربعون فى تقسيم قيام الليل)

قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل فى تفسير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل فى تفسير قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة

كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع
ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة
بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أشبه بسيرة
الصحابة اذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع
أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الأسراف في صب الماء وذلك
منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة و يخرجها عن وقتها وان لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو
مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور
لتضييعه العمر الذي هو أعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق
خفي ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك (وفرقة أخرى) غلب
عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته
الجماعة و يخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون
في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون
في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم و يغترون بذلك و يظنون انهم اذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية
في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم (وفرقة أخرى) تغلب
عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات
والفرق بين الضاد والظاء و تصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه
ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف
الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال
من حمل رسالة الى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة و يتأنق في مخارج
الحروف و يكررها و يعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس
فما أحراه بأن تقام عليه السياسة و يرد الى دار المجانين و يحكم عليه بفقد العقل (وفرقة أخرى) اغتروا
بقراءة القرآن فيهذونه هذا و ربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في
أودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره و يتعظ بمواعظه و يقف عند أوامره ونواهيه
و يعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو
مغرور يظن أن المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه
ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على
حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه الا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو
مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور و نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه
وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه و يلتذ به
و يغتر باستلذاذه و يظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد
ألحانه بشعر وكلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله
تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته (وفرقة أخرى) اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر
أو صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء و بطونهم عن
الحرام عند الافطار وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير
فيهمل الفرائض و يطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور (وفرقة أخرى) اغتروا بالحج
فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد

النفس ومصابرة العدو
(وفي الخبر) عليكم بقيام
الليل فانه مرضاة لربكم
وهو دأب الصالحين
قبلكم ومنهاة عن الاثم
وملغاة للوزر ومذهب
كيد الشيطان ومطردة
للداء عن الجسد (وقد
كان) جمع من الصالحين
يقومون الليل كله حتى
نقل ذلك عن أربعين
من التابعين كانوا
يصلون الغداة بوضوء
العشاء منهم سعيد بن
المسيب وفضيل بن
عياض و وهيب بن الورد
وأبو سليمان الداراني
وعلي بن بكار وحبيب
العجمي وكهمس بن المنهال
وأبو حازم ومحمد بن
المنكدر وأبو حنيفة رحمه
الله وغيرهم عدهم
وسماهم بأنسابهم الشيخ
أبو طالب المكي في كتابه
قوت القلوب فمن عجز
عن ذلك يستحب له قيام
ثلثيه أو ثلثه وأقل

يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام و يضيعون فى الطريق الصلاة والفرائض و يعجزون عن طهارة
الثوب والبدن و يتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون فى الطريق من الرفث
والخصام و ربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء فى الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء
فيعصى الله تعالى فى كسب الحرام اولا وفى انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه فى
حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع
ذلك يظن انه على خير من ربه فهو مغرور (وفرقة أخرى) أخذت فى طريق الحسبة والامر بالمعروف
والنهى عن المنكر ينكر على الناس و يأمرهم بالخير و ينسى نفسه واذا أمرهم بالخير عنف وطلب
الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس
الى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره
لحرد عليه بل منهم من يؤذن و يظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن فى وقت غيبته قامت عليه القيامة
وقال لم أخذ حقى و زوحمت على مرتبتى وكذلك قد يتقلد امامة مسجد و يظن أنه على خير وانما غرضه
أن يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان أورع وأعلم منه ثقل عليه (وفرقة أخرى) جاوروا بمكة
والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم و باطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم
ملتفتة الى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدى و يقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا
سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور و يمد عين طمعه
الى أوساخ أموال الناس واذا جمع من ذلك شيأ شح به وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير
فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب
المحمدة وأن يقال انه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور ومامن
عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الاوفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو
مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور فى الصلاة
من كتاب الصلاة وفى الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التى رتبناها فيها وانما
الغرض الآن الاشارة الى مجامع ماسبق فى الكتب (وفرقة أخرى) زهدت فى المال وقنعت من
اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب فى
الرياسة والجاه اما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الامرين وباء بأعظم المهلكين فان الجاه
أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب فهذا مغرور اذ ظن أنه من الزهاد فى
الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا
وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة و يؤثر الخلوة والعزلة
وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء و يخشن معهم الكلام و ينظر اليهم بعين الاستحقار
و يرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم و يعجب بعمله و يتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدرى
و ربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه فى الظاهر ورده
فى الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب فى حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا و يرى
نفسه انه زاهد فى الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء
والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور
من الشيطان نعوذ بالله منه وفى العباد من يشدد على نفسه فى أعمال الجوارح حتى ربما يصلى فى اليوم
والليلة مثلا ألف ركعة و يختم القرآن وهو فى جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء
والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدرى أن ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه

الاستحباب سدس الليل
فاما أن ينام ثلث الليل
الاول و يقوم نصفه و ينام
سدسه الآخر أو ينام
النصف الاول و يقوم
ثلثه و ينام السدس (روى)
ان داود عليه السلام قال
يارب انى أحب ان أتعبد
لك فأى وقت أقوم
فأوحى الله تعالى اليه
ياداود لا تقم أول الليل
ولا آخره فانه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم وسط
الليل حتى تخلو بى وأخلو
بك وارفع الى حوائجك
و يكون القيام بين نومتين
والا فيغالب النفس من
أول الليل و يتنفل فاذا
غلبه النوم ينام فاذا انتبه
يتوضأ فيكون له قومتان
ونومتان و يكون ذلك
من أفضل ما يفعله ولا
يصلى وعنده نوم يشغله
عن الصلاة والتلاوة
حتى يعقل ما يقول (وقد
ورد) لا تكابدوا الليل

ذلك توهم أنه مغفور له اهماله الظاهر وانه غير مؤاخذ بأحوال القلب وان توهم فيظن أن العبادات
الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الاكياس أفضل
من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن
الرياء وحب الثناء فاذا قيل له أنت من أوتاد الارض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به
وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدرى أن ذلك لجهل الناس
بخبائث باطنه (وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح
بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها فى
أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب المتقربون الى بمثل أداء ما افترضت
عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان أحدهما يفوت
والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان
مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم
بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض
الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه
وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقيل له من أبر يا رسول الله قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال
أباك قال ثم من قال أدناك فأدناك فينبغى ان يبدأ فى الصلة بالاقرب فان استويا فبالأحوج فان
استويا فبالأتقى والاورع وكذلك من لا يفى ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغى
أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد
ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة فى نفسه وكذلك
قد يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور
والحذر من الايذاء أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك
الترتيب فى جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور فى غاية الغموض لان المغرور فيه فى طاعة الا انه
لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هى أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب
والخلاف من الفقه فى حق من بقى عليه شغل من الطاعات والمعاصى الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح
والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره فى حوائجه فمعرفة ما يحتاج هو اليه فى قلبه
أولى به الا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمى عليه حتى يغتر به مع
نفسه ويظن انه مشغول بهم دينه * (الصنف الثالث) * المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون
منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة والمنطق
فساعدوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئتهم وفى ألفاظهم وفى آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفى
أحوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس
وادخاله فى الجيب كالمتفكر وفى تنفس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث الى غير ذلك من الشمائل
والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط فى
المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من
أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا أنفسهم فى الصوفية كيف ولم يحوموا
قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيأ منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين
ويتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض

(وقيل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى رسول الله عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليتم (وقال عليه السلام) لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ولا يليق بالطالب ولا ينبغى له ان يطلع الفجر وهو نائم الا أن يكون قد سبق له فى الليل قيام طويل فيعذر فى ذلك على انه اذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق فى الليل يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم الى بعد طلوع الفجر فاذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما صلى بالليل يجلس قليلا بعد

بعض مهما خالفه فى شئ من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان
والابطال من المقاتلين تثبت أسماؤهم فى الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من أقطار المملكة فتاقت
نفسها الى أن تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال أبياتا
وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم فى الميدان وكيفية
تحريكهم الايدى وتلقفت جميع شمائلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر
ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر أنفذت الى ديوان العرض وأمر بان تجرد عن
المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها فى الشجاعة فلما
جردت عن المغفر والدرع فاذا هى عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت
للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم أخذوها فألقوها قدام الفيل لفضيحتها
فألقيت الى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف فى القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على
القاضى الاكبر الذى لا ينظر الى الزى والمرقع بل الى سر القلب (وفرقة أخرى) زادت على هؤلاء فى
الغرور وادشق عليها الاقتداء بهم فى بذاذة الثياب والرضا بالدون فأرادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد
بدا من التزيى بزيهم فتركوا الحرير والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات
المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الحرير والابريسم وظن أحدهم مع ذلك انه متصوف
بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ
وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط
الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة
المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال
السلاطين ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء
مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته فى أهل التصوف كافة
ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان فى الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم
(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود
والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ لانه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات
فهو يرددها ويظن ان ذلك أعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين
وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته
ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحى ويخبر
عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم أجراء متعبون ويقول فى
العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند
الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب
عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه (وفرقة أخرى) وقعت فى الاباحة وطووا
بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم
أتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال
فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا وأدركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق
ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل انما كلفوا تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد
منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب
وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة

كل ركعتين ويسبح
ويستغفر ويصلى على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه يجد بذلك
ترويحا وقوة على القيام
وقد كان بعض الصالحين
يقول هى أول نومة فان
انتبهت ثم عدت الى نومة
أخرى فلا أنام الله عينى
(وحكى) لى بعض الفقراء
عن شيخ له انه كان يأمر
الاصحاب بنومة واحدة
بالليل وأكلة واحدة
لليوم والليلة (وقد جاء)
فى الخبر قم من الليل ولو
قدر حلب شاة وقيل يكون
ذلك قدر أربع ركعات
وقدر ركعتين (وقيل)
فى تفسير قوله تعالى
تؤتى الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء هو
قيام الليل ومن حرم
قيام الليل كسلا وفتورا
فى العزيمة أو تهاونا به لقلة
الاعتداد بذلك أو
اغترارا بحاله فليبك عليه
فقد قطع عليه طريق

الحضرة الربوبية فهم مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء أصنافهم يطول (وفرقة أخرى) جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن ايثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدرى أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها (وفرقة أخرى) ضيقت على نفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق فى غير ذلك وليس يدرى المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن أن بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور (وفرقة أخرى) ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه (وفرقة أخرى) جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم

كبير من الخير وقد يكون من أرباب الاحوال من يكون له ايواء الى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وقوف فى مقام الشوق وهذا يغالط فيه ويهلك به خلق من المدعين والذى له ذلك ينبغى أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه وقد يقول بعض من يحاج فى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم أن رؤية الفضيلة فى ترك القيام وادعاء الايواء الى جناب القرب واستواء النوم واليقظة

غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك (وفرقة أخرى) جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار فى الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين فى السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب فى الطريق الا ويظن أنه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها فى الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهى كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون أن الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذى لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التى هى من حجب الله عز وجل وهى على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهى حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه فى أول ما كان يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذى لا وصول الا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى فى حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا أحب الآفلين انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر ربانى وهو نور من أنوار الله تعالى أعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو فى أول الامر محجوب بمشكاة هى كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه فى هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ما فى الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر ۞ فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح ۞ وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة أو فى ماء فيظن أن الكوكب فى المرآة أو فى الماء فيمد اليه اليد ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور فى طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه أيضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى أن يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق بأن الامر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى

امتلاء وابتلاء حالى وهو
تقيد بالحال وتحكيم
للحال وتحكم من الحال
فى العبد والاقوياء
لا يتحكم فيهم الحال
ويصرفون الحال فى
صور الاعمال فهم
متصرفون فى الحال
لا الحال متصرف فيهم
فليعلم ذلك فانا رأينا من
الاصحاب من كان فى ذلك
ثم انكشف لنا بتأييد الله
تعالى أن ذلك وقوف
وقصور (قيل) للحسن
يا أبا سعيد انى أبيت
معافى وأحب قيام الليل
وأعد طهورى فما بالى
لا أقوم قال ذنوبك
قيدتك فليحذر العبد فى
نهاره ذنوبا تقيده فى ليله
(وقال النورى) رحمه الله
حرمت قيام الليل سبعة
أشهر بذنب أذنبته فقيل
له ما كان الذنب قال
رأيت رجلا بكى فقلت
فى نفسى هذا مراء (وقال
بعضهم) دخلت على

من المكاشفات التى أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل

(الصنف الرابع) * أرباب الاموال والمغترون منهم فرق (ففرقة منهم) يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين أحدهما انهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع من كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما بأعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير * والوجه الثانى انهم يظنون بأنفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذى أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك (وفرقة أخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهى أيضا مغرورة من وجهين * أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون فى جواره أو بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وانما يخف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس * والثانى انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التى هى منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة أبصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثلى لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغى أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتى أمتى بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا أهلكه بذنوب أهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التى تعجبكم شيأ وان أحب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث انه رأى المنكر معروفا واتكل عليه (وفرقة أخرى) ينفقون الاموال فى الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء بالمعروف ويكرهون التصدق فى السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا

كرزين وبره وهو يبكى فقلت ما بالك أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد فقلت وماذاك قال بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحة وماذاك الا بذنب أحدثته (وقال بعضهم) الاحتلام عقوبة وهذا صحيح لان المراعى المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام الا على جاهل بحاله أو مهمل حكم وقته وأدب حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام وضع الرأس على الوسادة اذا كان ذا عزيمة فى ترك الوسادة وقد يتمهد للنوم ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على

ولذلك قال ابن مسعود فى آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور الى جنبه لا يواسيه وقال أبو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرنى بشئ فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألفى درهم قال بشر فأى شئ تبتغى بحجك تزهدا أو اشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت فى منزلك وتنفق ألفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يحيى عياله ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب مسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا أبا نصر سفرى أقوى فى قلبى فتبسم بشر رحمه الله تعالى وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل الا عمل المتقين (وفرقة أخرى) من أرباب الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل فى ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء (وفرقة أخرى) غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردئ الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم أو من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستسخار فى خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الاموال أيضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور (وفرقة أخرى) من عوام الخلق وأرباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكى ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى أو الجائع الذى يحضر عنده من يصف الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيأ فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغنى من الله شيأ فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى اقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه

وهذا

القيام وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة الى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الاحوال فانها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يرتفق بأنواع الرفق من الفراش الوطئ والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله اذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم من نائم يسبق القائم لوفور علمه وحسن نيته (وفى الخبر) اذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة وان توضأ انحلت عقدة أخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلانا خبيث النفس (وفى خبر آخر) ان من

وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فأقول الانسان اذا فترت همته في شئ أظهر اليأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى أن الانسان اذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله واذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه واذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه واذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا أراد أن يأخذ الحيات والافاعي ويعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها واذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لان همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * وهذا شئ لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه مع انك أكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها أما العقل فأعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن أبي الدرداء أنه قال قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال أنس أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال أرجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال لم يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في

نام حتى يصبح بال الشيطان في اذنه والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بامور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط واهمال القيلولة والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل

(الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار والادب فيه والعمل)

قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار أجمع المفسرون على أن أحد الطرفين أراد به الفجر وأمر بصلاة الفجر واختلفوا في الطرف الآخر قال قوم أراد به المغرب وقال آخرون صلاة العشاء وقال قوم صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل

كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف
النفس والى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم
المكاشفة ولم نطنب فى هذا الكتاب الا فى علوم المعاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما
ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليبين له أن لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه
وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها
وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه فى الآخرة واذا غلبت
هذه الارادة على قلبه صحت نيته فى الامور كلها فان أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه
الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الاغراض
والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا أحب اليه من الآخرة
وهوى نفسه أحب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه
بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم أعنى العلم بمعرفة كيفية
سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله
وجميع ذلك قد أودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها
فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر اليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه
فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة فى طريق الله فان المانع من الله الصفات
المذمومة فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التى
لابد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الانواع التى أشرنا
اليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به
الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التى ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذى
يخاف عليه فأقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى
ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من
جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق
فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد
عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين
ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى
العبيد فيراهم حيارى فى أمرهم سكارى فى دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون
وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم
ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة
فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا
يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فى
تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه
بعد نهاية الكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة
بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء أنينهم فتذكر أن دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر
على شفائهم بأسهل ما يكون وفى أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى
عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى الى الطريق وشفى من أمراض القلوب

صلاة العشاء ثم ان الله
تعالى أخبر عن عظيم
بركة الصلاة وشرف
فائدتها وثمرتها وقال ان
الحسنات يذهبن السيئات
أى الصلوات الخمس
يذهبن الخطيئات
(وروى) أن أبا اليسر
كعب بن عمرو الانصارى
كان يبيع التمر فأتت
امرأة تبتاع تمرا فقال لها
ان هذا التمر ليس بجيد
وفى البيت أجود منه
فهل لك فيه رغبة قالت
نعم فذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها
فقالت له اتق الله فتركها
وندم ثم أتى النبى عليه
السلام وقال يارسول الله
ما تقول فى رجل راود
امرأة عن نفسها ولم يبق
شئ مما يفعل الرجال
بالنساء الا ركبه غير أنه لم
يجامعها فقال عمر بن
الخطاب لقد ستر الله عليك
لو سترت على نفسك ولم
يرد رسول الله صلى الله

...ادا الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل دواؤهم وقرب هلاكهم واشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم
فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا
للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا أخفى من دبيب النمل
لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ
والنغمات والحركات والتصنع فى الزى والهيئة فأقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا
يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب اليهم من
آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فآثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم فخدموه
وقدموه فى المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت
لذة يالها من لذة وأصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع فى أعظم
لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذة
وأمارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو أخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب فاذا
أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه أن ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد
المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور فربما أخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع
فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه
بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الاوراد جزعت
النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد فى الاعمال
والاوراد لاجل ذلك والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله
فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة
ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو
ظهر من أقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد أثر كلامه فى القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن
النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من اخوانه
وقعوا فى بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء
ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاء من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه
فيعظم بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه
المسلمين من النار فاذا ظهر من أعانه وكفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان
ينبغى أن يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك فى
نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب
بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فأقول اذا
لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية
طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح
بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم أما الى السادات فمن
حيث انه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة وأما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن
طلب المنزلة فى قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى الماشية انما
غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التى
لا يلتفت الى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه

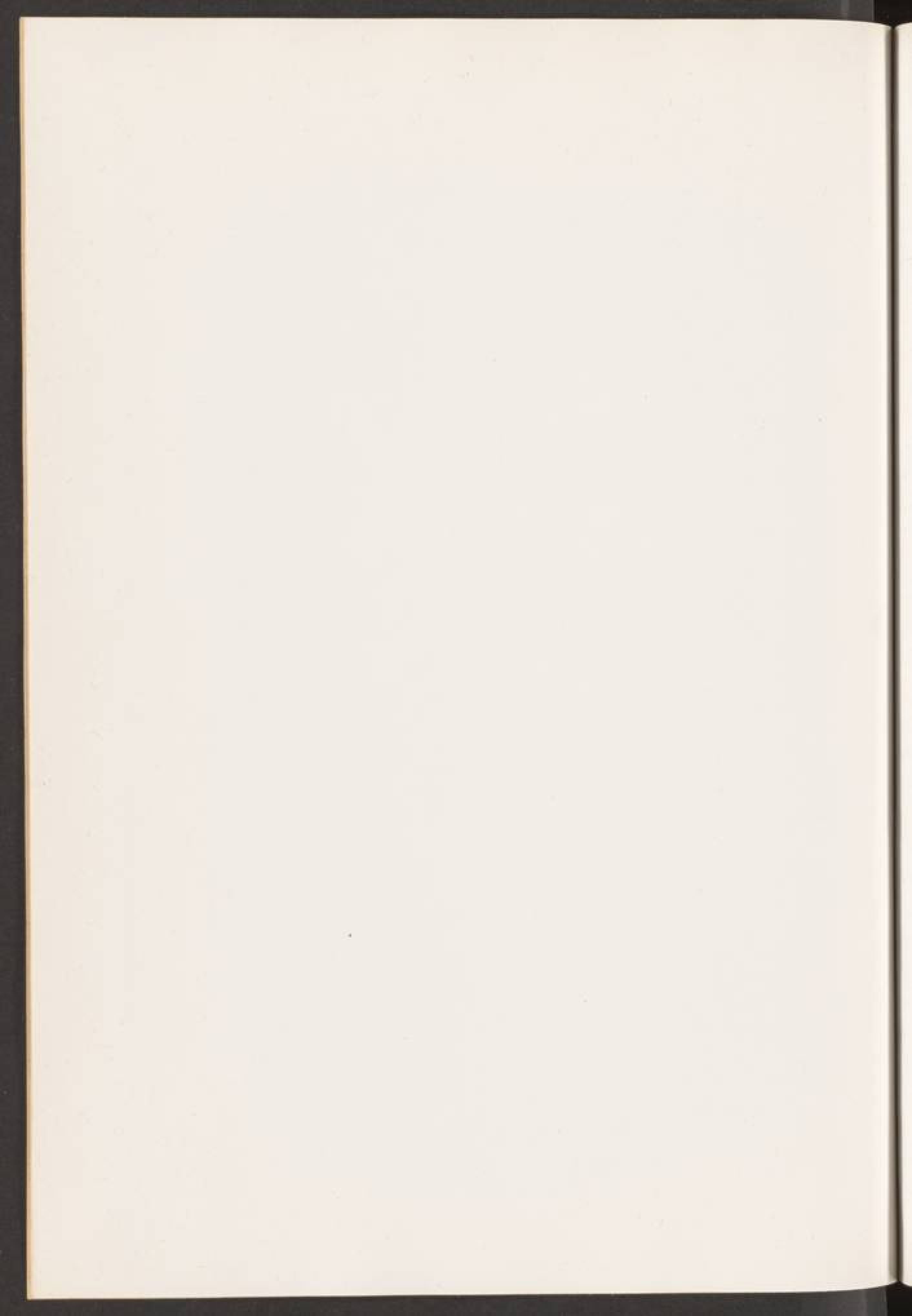
عليه وسلم عليه شيأ وقال
أنتظر أمر ربى وحضرت
صلاة العصر وصلى النبى
عليه الصلاة والسلام
العصر فلما فرغ أتاه
جبريل بهذه الآية فقال
النبى عليه السلام أين
أبو اليسر فقال ها أنا ذا
يا رسول الله قال شهدت
معنا هذه الصلاة قال
نعم قال اذهب فانها
كفارة لما عملت فقال
عمر يا رسول الله هذه له
خاصة أو لنا عامة فقال
بل للناس عامة * فيستعد
العبد لصلاة الفجر باستكمال
الطهارة قبل طلوع
الفجر ويستقبل الفجر
بتجديد الشهادة كما
ذكرنا فى أول الليل ثم
يؤذن ان لم يكن أجاب
المؤذن ثم يصلى ركعتى
الفجر يقرأ فى الاولى بعد
الفاتحة قل يا أيها
الكافرون وفى الثانية
قل هو الله أحد وان أراد
قرأ فى الاولى قولوا آمنا

باصلاحهم فيكون كالسراج يضىء لغيره و يحترق فى نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند
هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب
الدنيا رأس كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم و بطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان
جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب
الاكثرين لا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما فى حب الدنيا من الخطر
ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى
جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك
لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما
لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصى بقول الله تعالى و رسوله ان ذلك حرام
فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد
وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق
لهم فانما يخشى ان تنسد طريق الاتعاظ فأما ان تخرس ألسنة الوعاظ وو راءهم باعث الرياسة وحب
الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح
أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذى يخاف عليه وما الذى بقى بين يديه من الاخطار
وحبائل الاغترار فاعلم انه بقى عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتنى وأفلت منى بذكائك
وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله
قدرك ومحلك اذ قواك على قهرى ومكنك من التفطن لجميع مداخل غرورى فيصغى اليه و يصدقه
و يعجب بنفسه فى فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب
أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت أنك بعلمك تخلصت منى فبجهلك قد وقعت
فى حبائلى فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع
الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فاذا قدر على مثل ذلك
الامر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليه بعد نفى العجب فأقول يخاف
عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل
ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكر الله
ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه
أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا و رياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل
عنه و يكون خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهو
خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء
فى وقت النزع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا
العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر
عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب
أولياء الله أبدا فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم كتاب ذم
الغرور و به تم ربع المهلكات و يتلوه فى أول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أولا وآخرا
وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

* (تم الجزء الثالث من كتب احياء علوم الدين و يليه الجزء الرابع) *

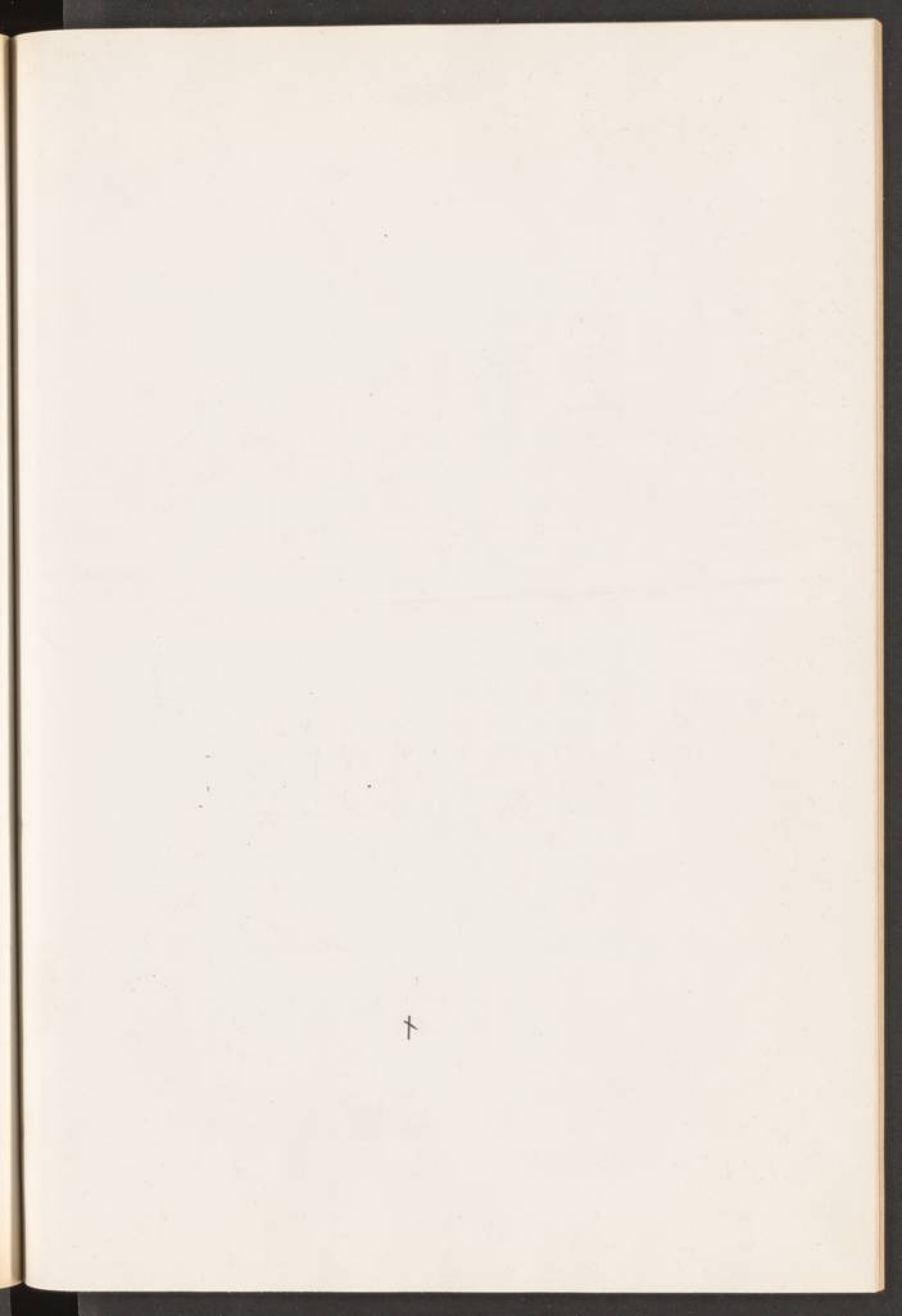
بالله وما أنزل الآية فى
سورة البقرة وفى الاخرى
ربنا آمنا بما أنزلت
واتبعنا الرسول ثم يستغفر
الله و يسبح الله تعالى
بما يتيسر له من العدد
وان اقتصر على كلمة
أستغفر الله لذنبى سبحان
الله بحمد ربى أتى
بالمقصود من التسبيح
والاستغفار (ثم يقول)
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد اللهم انى أسألك
رحمة من عندك تهدى
بها قلبى وتجمع بها شملى
وتلم بها شعثى وترد بها
الفتن وتصلح بها دينى
وتحفظ بها غائبى وترفع
بها شاهدى وتزكى بها
عملى وتبيض بها وجهى
وتلقنى بها رشدى
وتعصمنى بها من كل
سوء اللهم اعطنى ايمانا
صادقا ويقينا ليس بعده
كفر ورحمة أنال
بها شرف كرامتك
فى الدنيا والآخرة

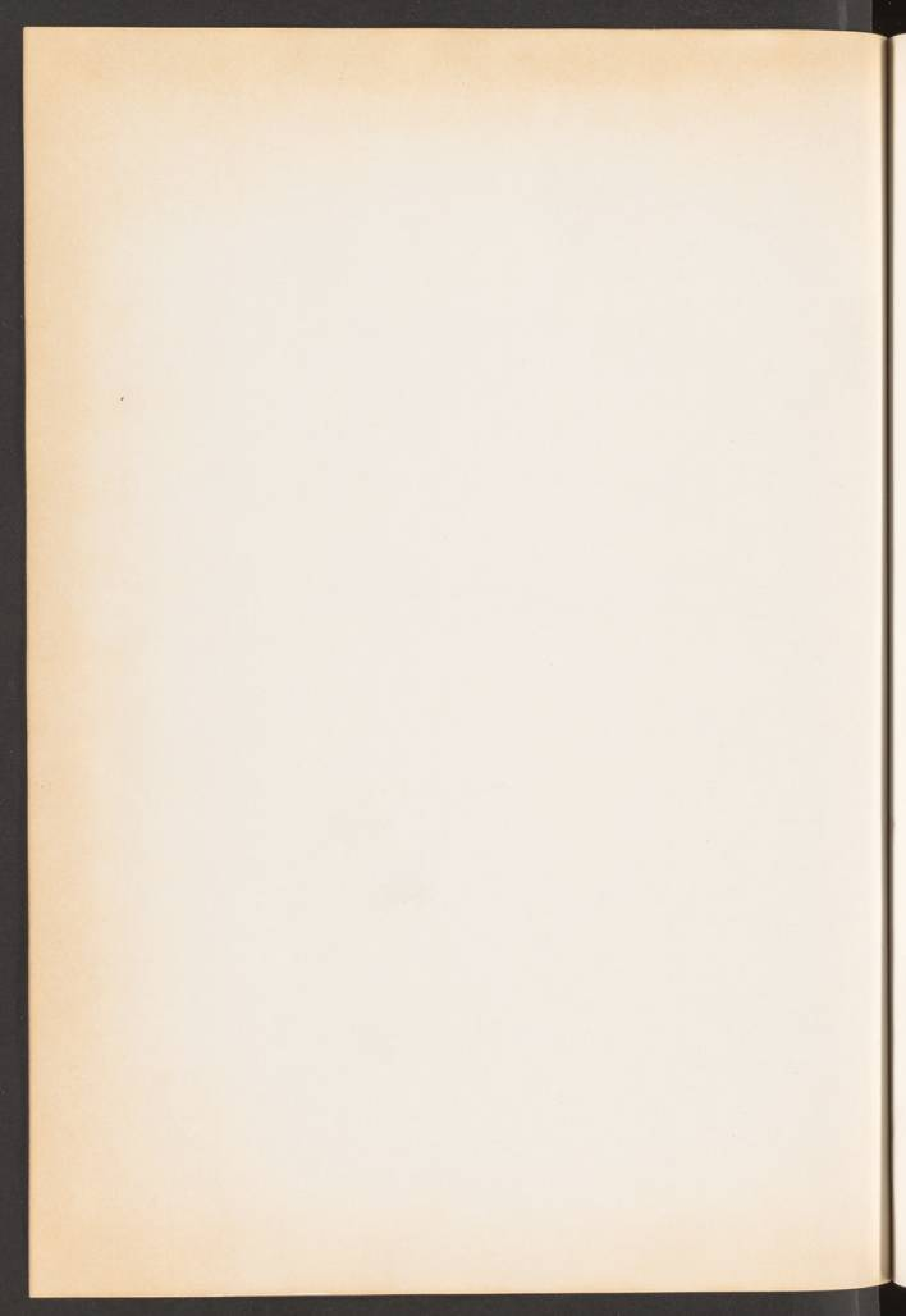


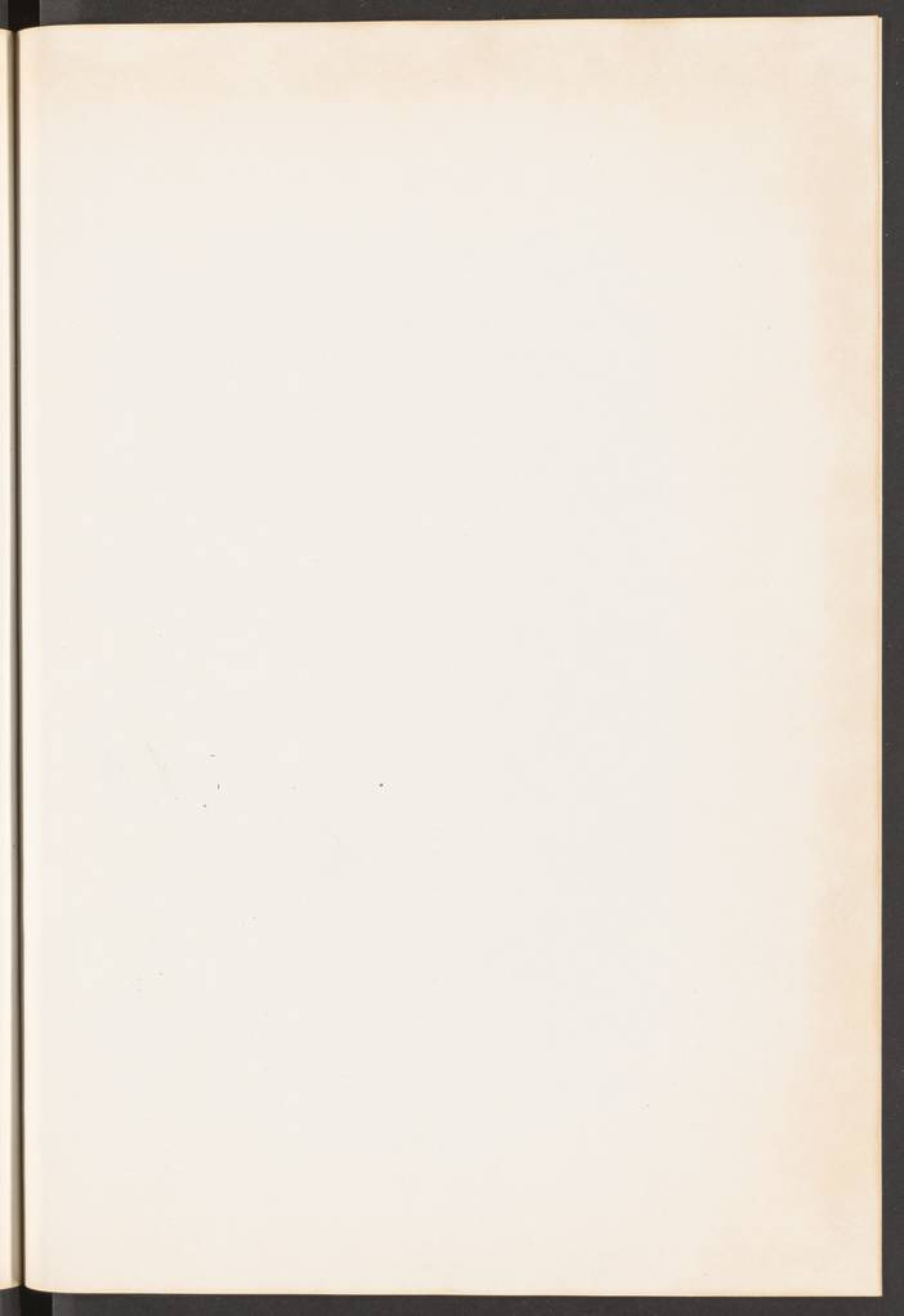


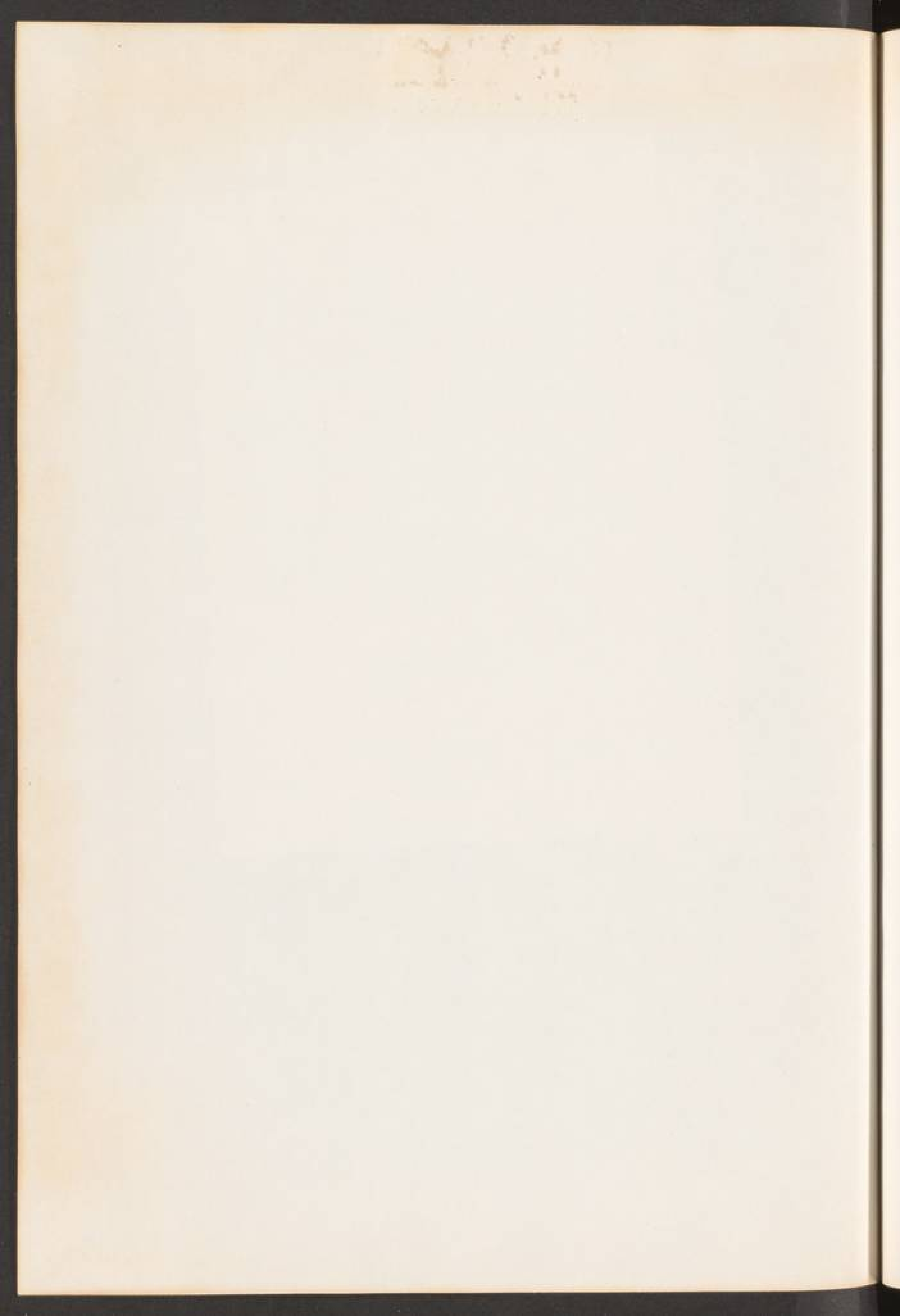




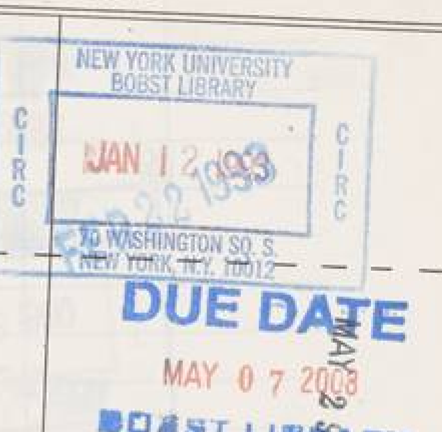


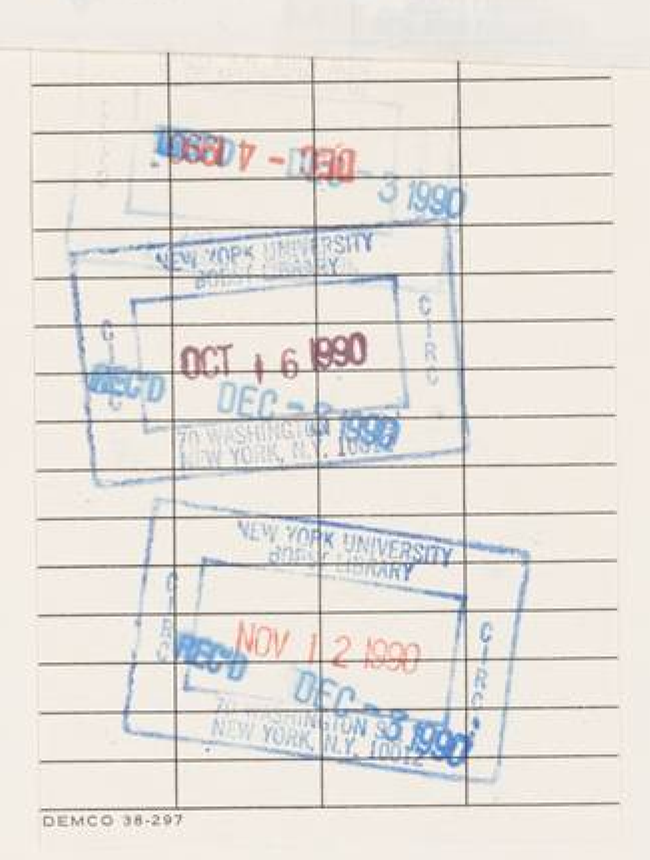











NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
OCT 16 1990
DEC - 3 1990
70 WASHINGTON SQ.
NEW YORK, N.Y. 10012
NOV 12 1990
DEMCO 38-297

